اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة واسط / كلية التربية

قسم التاريخ

# عقائد الخصب
# في حضارتي بلاد الرافدين ووادي النيل
## دراســـة مقارنـــة

رسالة تقدم بها الطالب

قتيبة أحمد سلمان

إلى مجلس كلية التربية في جامعة واسط

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

آداب في التاريخ القديم

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

سعد عبود سمار

١٤٣١ هـ ٢٠١٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

((وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً))

صدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

(الإسراء: الآية ٨٥)

# إلى

**كلّ من أمضى أيّامه ولياليه**

**يسعى إلى**

**تحقيق فكرةٍ نافعةٍ، أو عملٍ مجدٍ**

**ليرفد الإنسانية بعطاءٍ**

**يُعمّق حبّ الإنسان لأخيه الإنسان**

**بدلاً من**

**اقتياده إلى هاوية التردّي والسقوط**

أُهدي جهدي المتواضع هذا

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

((إذا كان يوم القيامة وُزن مداد العلماء بدماء الشهداء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء))

من هذا الحديث النبوي الشريف أنطلق وأسجل شكري واعترافي وامتناني لكل أستاذٍ جليلٍ عالمٍ سعى في تعليمنا منذ نعومة أظافرنا حتى أكمالنا السنة التحضيرية.

وانطلاقا من واجبي العلمي، ووفاءً وعرفاناً بالفضل والجميل، يُسعدني أن أقدم شكري وتقديري واحترامي إلى المشرف على هذه الرسالة أستاذي الفاضل الدكتور سعد عبود سمار، لما قدمه لي من مساعدةٍ قيمةٍ في إتمام هذه الرسالة ومتابعته خطوات إعدادها خطوةً خطوةً، فجزاه الله عني خير الجزاء و وفقه لما يُريد ويطمح.

وكذلك أتقدم بشكرٍ خاصٍّ للأستاذ الدكتور طالب منعم حبيب الشمري جزءاً من وفائي لجهده الكبير وصبره الطويل وتوجيهاته السديدة التي أغنت الرسالة، وعرفاناً لفضله الكبير في سفري إلى سوريا بمعيته؛ مما أفاد الرسالة لما تحقق من لقاءاتٍ علميةٍ مع كبار المتخصصين في التاريخ القديم والآثار من الجامعات العربية والأجنبية الذين كانوا مدعوين لحضور مؤتمرٍ تاريخيٍّ حول القدس، وأخص بالذكر منهم الأستاذ: الدكتور نائل حنون من جامعة دمشق، والأستاذ الدكتور فاروق ناصر الراوي من جامعة مانشستر، والأستاذ الدكتور أحمد سعيد من جامعة القاهرة، والأستاذ الدكتور زيدان كفافي من جامعة اليرموك، والأستاذ فراس السواح؛ فشكري لهم جميعاً لما قدموه لهذه الرسالة من معلوماتٍ قيمةٍ، وتقديمهم التوجيه والمصادر المهمة عن طريق البريد الإلكتروني، وشكري الجزيل للدكتور نصار سليمان السعدون لما قدمه من مصادر مهمة للرسالة.

وعرفاناً بالجميل أتقدم بشكري الجزيل لأساتذة الأفضل ، وأخص منهم بالذكر أولاً الأستاذ الدكتور جواد مطر الموسوي رئيس جامعة واسط، والأستاذ المساعد الدكتور طالب محيبس الوائلي، والأستاذ المساعد الدكتور مهدي علوان لما قدموه لي من معلومات و توجيهاتٍ وآراءٍ في السنة التحضيرية ، وكذلك شكري وتقديري للدكتور أحمد مجيد الجبوري الذي كان لي خير عونٍ بتوجيهاته المفيدة للرسالة، كما أقدم

شكري للأستاذ المساعد الدكتور فاهم نعمة الياسري رئيس قسم التاريخ، وشكري أيضاً لكل أساتذة القسم .

كما أقدم شكري إلى زملائي في الدراسات العليا من طلبة الدكتوراه، وأخص منهم عبد الهادي طعمة، و عزيز سلمان و محمد فهد ، ومن طلبة الماجستير أحمد بشار، و دعاء محسن، وكذلك الآنسة ليلى، والآنسة مياسة من جامعة دمشق لمساعدتهم في توفير المصادر الضرورية.

ولا يفوتني أن أسجل شكري وتقديري للعاملين في مكتبة كلية التربية في جامعة واسط ومكتبة المتحف العراقي ومكتبة مركز إحياء التراث، كما أتقدم بالشكر إلى كل من أفادني بتعلم حرفٍ أو كلمةٍ، ومن الله تعالى أسأل لكل أهل العلم وطلابه التوفيق والسداد.

**الباحث**

## ملخص الرسالة


ليس ثمة شك بان حضارتنا القائمة هي امتداد لحضارات تعاقبت منذ بزوغ فجر أولى الحضارات الإنسانية،وان ثمار المعرفة التي يجنيها عالم اليوم هي حصيلة ذلك الغرس الذي نما وترعرع خلال آلاف السنين التي قضتها الإنسانية في مسيرتها الحضارية ٠

وبما إن أقدم الحضارات على وجه البسيطة هي حضارة وادي الرافدين ووادي النيل ،التي قدمتا للإنسانية الكثير من الابتكارات والإبداعات، والتي ما كانت لتقدم لولا النضج الفكري والتطور المعرفي والتبادل الحضاري ، والوصول إلى فهم جذري ومعمق لأسلوب الفكر القديم التأملي من خلال الصور الرمزية التي اعتمدها الإنسان في التعبير عن تساؤلاته ووضع الحلول البسيطة التي استطاع من خلالها الوصول إلى فهم ولو بسيط للعالم المحيط به ، وتأثير العوامل المختلفة سواء أكانت بيئية أو اقتصادية أو سياسية في تباين الصور التي رسمها ما بين حضارة وأخرى ، ولان دراسة المعتقدات الدينية ركيزة أساسية في فهم تاريخ تلك الحضارات ولسعة موضوع دراسة المعتقدات الدينية ركزنا على أهم هذه المعتقدات (عقائد الخصب) لأنها تعنى بإشباع حاجتي الإنسان الأساسية الغذاء والتكاثر والتي بهما تستمر الحياة٠

ورغم وجود دراسات مهمة في عقائد الخصب مثل كتاب الدكتور نائل حنون عقائد الحياة والموت والتي تناول فيها عقائد الخصب في وادي الرافدين وكتاب السيد القمني اوزريس رب الثورة والذي تناول فيه عقيدة اوزريس في وادي النيل لكن هذه الدراسات تناولت كل حضارة بمعزل عن الأخرى دون المقارنة بين تلك الحضارتين الرائدتين بينما اتجهت كتابات أخرى مثل كتاب تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية للكاتب الفرنسي ميرسيا الياد إلى دراسة حضارات عديدة نشأة في عصور مختلفة وأماكن متباعدة دون التركيز على وادي الرافدين و وادي النيل منبع الفكر الإنساني وبين الأسلوب الأول المحدد بحضارة واحدة والأسلوب والثاني الذي يشمل حضارات عديدة كان يجب التركيز على دراسة مقارنة لعقائد الخصب بين حضارتي وادي الرافدين و وادي النيل فقد تم اختياري لهذا الموضوع الذي يتناول عقائد الخصب وتطورها عبر العصور وأوجه الشبه والاختلاف بين الحضارتين ومدى التأثيرات الحضارية في نقل هذه المعتقدات ٠

واعتمدت في موضوع الدراسة على طريقة التحليل للنصوص والمعلومات ذات العلاقة، وتوظيف الشواهد المادية وتحليل مدلولاتها الفنية لمعرفة مغزاها الفكري ، ولجأت في بعض الأحيان إلى طريقة السرد للأحداث والحقائق التاريخية، وقد واجهتني صعوبات في الحصول على المصادر بسبب حالة الإرباك التي يمر بها قطرنا العزيز٠

وتضمن هذا البحث أربعة فصول سبقها تمهيد تضمن مفهوم ثلاثة مواضيع أولاً: حضارة وادي الرافدين تناولنا فيه التسمية والموقع واثر البيئة على السكان ثانياً :حضارة وادي النيل ذكرنا فيه التسمية والموقع واثر البيئة على السكان ثالثاً مدخل إلى عقائد الخصب فصلنا فيه الخصب للغة واصطلاحاً ومتى ظهرت هذه العقائد وأين ظهرت والعوامل المؤثرة في عقائد الخصب٠

إما الفصل الأول فتناول آلهة الخصب في الحضارتين تضمن ثلاثة مباحث الأول إلهة الخصب في حضارة وادي الرافدين و الثاني آلهة الخصب في حضارة وادي النيل والثالث مقارنة بين آلهة الخصب في الحضارتين ٠

في حين كرس الفصل الثاني لدراسة عقائد الخصب في ضوء الأساطير وقسم على ثلاث مباحث الأول عقائد الخصب في ضوء الأساطير في حضارة وادي الرافدين والمبحث عقائد الخصب في ضوء الأساطير في حضارة وادي النيل و الثالث مقارنة عقائد الخصب في ضوء الأساطير في الحضارتين٠

وكان عنوان الفصل الثالث عقائد الخصب في ضوء الشواهد المادية الذي احتوى على ثلاثة مباحث الأول عقائد الخصب في ضوء الشواهد المادية في حضارة وادي الرافدين و الثاني عقائد

الخصب في ضوء الشواهد المادية في حضارة وادي النيل و الثالث مقارنة بين عقائد الخصب في ضوء الشواهد المادية للحضارتين.

وتطرق الفصل الرابع إلى كهنة وطقوس واعياد الخصب الذي توزع على ثلاثة مباحث الأول كهنة وطقوس وأعياد الخصب في حضارة وادي الرافدين والثاني كهنة وطقوس وأعياد الخصب في حضارة وادي النيل و الثالث مقارنة بين كهنة وطقوس وأعياد الخصب في الحضارتين وأخيراً خاتمة البحث الذي جائت فيه النتائج التي توصل لها البحث في عقائد الخصب والتي من اهمها ان مع انتشار الدمى الأنثوية التي ركز فيها على مواطن الخصوبة عند المرأة في مناطق متعددة من العالم القديم لكن عقيدة الخصب بآلهتها وطقوسها وأساطيرها وأعيادها تعد إبداع رافديني منذ إن ظهرت أولى تماثيل الخصب في العصر الحجري الحديث في القرى الزراعية في شمال وادي الرافدين إلى ان نضجت تلك العقيدة في الإلف الرابع قبل الميلاد في جنوب وادي الرافدين إن الإبداع الرافديني في عقائد الخصب هو تطور مهم في الفكر الإنساني بالانتقال من المجسد الى المجرد أي من الخوف من الطبيعة وفواعلها والتقرب لها إلا الانتقال إلى عبادة قوة مجردة للخصب وملكة للإلهة هي اينانا عشتار واهبة الحياة والمسؤولة عن خصب الطبيعة والإنسان كما دلت على ذلك رموز هذه الآلهة التي تطورت مع التطور الفكري في وادي الرافدين من تماثيل أنثوية الى رموز تدل على حزمة القصب إلى النجمة التي تدل على قوة الإلهة علامة الدنكر.

كذلك سبق واستمرارية طقوس الزواج المقدس في الحضارة الرافدينية أي حضارة أخرى بما فيها وادي النيل ومن الممكن إن يكون الإبداع الرافديني لعقائد الخصب يعود الى طبيعة الحكم والديمقراطية البدائية التي ابتدعت في ارض الرافدين على غير وادي النيل الذي كان فيه يسود فيه النظام الفردي في الحكم وتاليه الملوك.

إن تعدد العقائد والآلهة في وادي النيل لكنها خضعت لتأثيرات رافدينبية منذ عصر جمدت نصر، والذي شهد اتصال حضاري بين الحضارتين .ومع ان بعض عقائد الخصب في وادي النيل من إبداع مصري مثل عبادة الإله خنوم لكن أهم عقائد الخصب المصرية هي عقيدة الإله اوزير بتأثير رافديني.الاختلاف الرئيس بين عقائد الخصب في الحضارتين هو معتقد الخلود و ارتباطه بالخصب والذي لم يتمكن سكان وادي الرافدين من إبداعه مع محاولاتهم ذلك لكن لم يطمئنوا للموت ولم يثقوا بالخلود على غير سكان وادي النيل الذي أبدعوا الخلود وأوكلوا اله الخصب اوزير به فأصبح اله الخصب والانبعاث والخلود وقاضي الاموات.

وختاماً أتمنى إن أكون قد وفقت في تقديم هذه الدراسة بالشكل المنهجي المطلوب ومن الله تعالى "عز وجل" سداد العون والتوفيق .

| الرمز | معناه |
|---|---|
| ق ٠م | قبل الميلاد |
| ص | الصفحة |
| ج | الجزء |
| ط | الطبعة |
| مج | مجلد |
| ت | ترجمة |
| د ت | بدون تاريخ طبع |
| د م | بدون مكان طبع |
| ينظر | الإحالة على مصدر أو مرجع |
| **lbid** | **Ibidum** |
| **P** | **Page** |

## المقدمــة

ليس ثمة شك بأن حضارتنا القائمة إن هي إلا امتداد لحضاراتٍ تعاقبت منذ بزوغ فجر أولى الحضارات الإنسانية، وأن ثمار المعرفة التي يجنيها عالم اليوم ما هي إلا حصيلة ذلك الغرس الذي نما وترعرع منذ آلاف السنين التي أمضتها الإنسانية في مسيرتها الحضارية.

وبما أن أقدم الحضارات على وجه البسيطة حضارتان هما: حضارة بلاد الرافدين، وحضارة وادي النيل، اللتان قدمتا للإنسانية الكثير من الابتكارات والإبداعات التي ما كانت لتكون لولا النضج الفكري والتطور المعرفي والتبادل الحضاري، والوصول إلى فهمٍ جذريٍّ معمقٍ لأسلوب الفكر القديم التأملي في صورٍ رمزيةٍ اعتمدها الإنسان في التعبير عن تساؤلاته ووضع الحلول السهلة التي استطاع منها الوصول إلى فهمٍ بسيطٍ للعالم المحيط به، وتأثير العوامل المختلفة سواءً أكانت بيئيةً أو اقتصاديةً أو سياسيةً في تباين الصور التي رسمها مابين حضارة وأخرى.

ولأن دراسة المعتقدات الدينية ركيزةٌ أساسيةٌ في فهم تاريخ تلك الحضارات، ولسعة موضوع دراسة المعتقدات الدينية ركزنا البحث في أهم هذه المعتقدات (عقائد الخصب) لأنها تُعنى بإشباع حاجتي الإنسان الأساسيتين: الغذاء، والتكاثر اللتين بهما تستمر الحياة، وهناك دراساتٌ مهمةٌ في عقائد الخصب؛ مثل كتاب الدكتور نائل حنون (عقائد الحياة والموت) الذي تناول فيه عقائد الخصب في بلاد الرافدين، وكتاب السيد القمني (أوزريس رب الثورة) الذي تناول فيه عقيدة (أوزريس) إله الخصب في وادي النيل لكن هذه الدراسات تناولت كل حضارةٍ بمعزلٍ عن الحضارة الأخرى بلا مقارنةٍ بين الحضارات ـ ولا سيما الرائدتان من بين هذه الحضارات ـ واتجهت كتاباتٌ أخرى مثل كتاب (تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية) للكاتب الفرنسي (ميرسيا إلياد) إلى دراسة حضارات عدةٍ نشأت في عصورٍ مختلفةٍ وأماكن متباعدةٍ من غير التركيز في حضارتي بلاد الرافدين، ووادي النيل اللذين يُمثلان منبع الفكر الإنساني، وبين الأسلوب الأول المحدد بحضارة واحدة والأسلوب الثاني الذي يشمل حضاراتٍ عدةٍ لم تُفرد دراسةٌ مقارنةٌ لعقائد الخصب بين حضارتي بلاد الرافدين ووادي النيل، لذا كان اختياري لهذا الموضوع الذي يتناول عقائد الخصب وتطورها عبر العصور وأوجه الشبه والاختلاف بين الحضارتين ومدى التأثيرات الحضارية في نقل هذه المعتقدات.

وقد اعتمدت في موضوع الدراسة على طريقة التحليل للنصوص والمعلومات ذات العلاقة، وتوظيف الشواهد المادية، وتحليل مدلولاتها الفنية لمعرفة مغزاها الفكري، ولجأت أحياناً إلى طريقة السرد للأحداث والحقائق التاريخية، وقد واجهت صعوباتٍ بسبب سعة المادة التاريخية لدراسة حضارتين، وتتبع عقائد الخصب فيهما.

وقد وضعت الرسالة في مقدمةٍ وتمهيدٍ وأربعة فصولٍ وخاتمةٍ؛ على النحو الآتي:

التمهيد: وفيه توضيح ثلاثة مواضيع هي الحضارة والبيئة والسكان في كلٍّ من بلاد الرافدين ووادي النيل مع مدخلٍ لعقائد الخصب لغة واصطلاحاً.

الفصل الأول: تناول آلهة الخصب في الحضارتين مقسماً ثلاثة مباحث: المبحث الأول: آلهة الخصب في حضارة بلاد الرافدين، والمبحث الثاني: آلهة الخصب في حضارة وادي النيل، والمبحث الثالث: مقارنةٌ بين آلهة الخصب في الحضارتين.

الفصل الثاني: تناول عقائد الخصب في ضوء الأساطير، وانقسم ثلاثة مباحث: المبحث الأول: عقائد الخصب في ضوء الأساطير في حضارة بلاد الرافدين، والمبحث الثاني: عقائد الخصب في ضوء الأساطير في حضارة وادي النيل، والمبحث الثالث: مقارنة عقائد الخصب في ضوء الأساطير في الحضارتين.

الفصل الثالث: تناول عقائد الخصب في ضوء الشواهد المادية، وكان في ثلاثة مباحث، المبحث الأول: عقائد الخصب في ضوء الشواهد المادية في حضارة بلاد الرافدين، والمبحث الثاني: عقائد الخصب في ضوء الشواهد المادية في حضارة وادي النيل، والمبحث الثالث: مقارنةٌ بين عقائد الخصب في ضوء الشواهد المادية للحضارتين.

الفصل الرابع: تناول الكهنة والطقوس وأعياد الخصب في الحضارتين، ووقع في ثلاثة مباحث، المبحث الأول: الكهنة والطقوس وأعياد الخصب في حضارة بلاد الرافدين، والمبحث الثاني: الكهنة والطقوس وأعياد الخصب في حضارة وادي النيل، والمبحث الثالث: مقارنة بين الكهنة والطقوس وأعياد الخصب في الحضارتين.

الاستنتاجات: جاءت فيها النتائج التي توصل إليها البحث في عقائد الخصب للحضارتين.

أما مصادر البحث فهي متنوعة؛ منها العربية، ومنها الأجنبية، وكان من أهم الكتب العربية كتب الدكتور نائل حنون التي تناولت عقائد الخصب، منها: كتاب (عقائد الحياة والخصب في حضارة وادي الرافدين)، وكتاب (عقائد الحياة والموت في حضارة وادي الرافدين) الذي أورد فيه تفاصيل دقيقةً عن هذه العقائد، وأفاد البحث في تناول أساطير الخصب وأثر الإله دموزي الذي أشكل على الكثير من الباحثين، ومن الكتب العربية المهمة للبحث: كتاب الدكتور فاضل عبد الواحد علي (عشتار ومأساة تموز) الذي أفاد البحث في تفاصيل عقائد الخصب وظهورها في بلاد الرافدين وامتدادها إلى الأقوام الأخرى وتطور هذه العقائد من طور الإلهة الأم إلى طور إينانا، أما الكتب العربية التي اعتمد عليها البحث والمتخصصة بحضارة وادي النيل فقد كان من أهمها: كتاب الدكتور سليم حسن (مصر القديمة) الذي يقع في ستة عشر جزءاً والذي كان مصدراً مهماً؛ لأنه يُغطي الحضارة المصرية في جميع عهودها وفي كل جوانبها، وكذلك كتاب الدكتور سمير أديب (الموسوعة المصرية) الذي أفاد البحث بالتعريف بمصطلحات وملوك مصر وأماكن الآلهة التي تخص البحث، أما الكتب المترجمة إلى العربية؛ فما يخص بلاد الرافدين منها كانت مؤلفات

الأستاذ صموئيل نوح كريمر خير عونٍ للبحث؛ ومنها: كتاب (طقوس الزواج المقدس) الذي اعتمد عليه البحث بتفصيل هذا الطقس وأسبقية الحضارة الرافدينية بهذا الإبداع الفكري في عقائد الخصب، ومن الكتب المهمة التي جمعت تفاصيل الحضارتين معاً كتاب (أساطير العالم القديم) لنخبةٍ من الباحثين الذي قدم معلوماتٍ مهمةٍ للبحث في أساطير حضارتي بلاد الرافدين ووادي النيل، ومن الكتب المهمة التي ألفها نخبةٌ من الباحثين كتاب (ما قبل الفلسفة) الذي أفاد البحث بتفصيل الفكر الفلسفي وإبداع تلك الحضارة لمفاهيم كانت الجذور الأولى للفلسفة الإنسانية، ومن الكتب المترجمة التي تخص حضارة وادي النيل كتاب (معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة) الذي أفاد البحث بمعلوماته المفصلة عن الآلهة المصرية ورمزها، وكذلك كتاب (آلهة مصر القديمة وأساطيرها) لروبرت أرموار الذي أفاد البحث في تفصيل الآلهة والأساطير المصرية وأثر أسطورة (أوزير) في الفكر الديني المصري، وكذلك (كتاب الموتى الفرعوني) لبرت أم هرو المهم في كل دراسةٍ في العقائد والأساطير المصرية لنصوصه الهيروغليفية، وما تتضمن من تفاصيل لنصوصٍ مهمةٍ أفادت الباحث في توظيفها في عقائد الخصب، أما الأطاريح والرسائل الجامعية التي اعتمدها البحث فإنها متنوعةٌ في دراسة الحضارتين، منها درست حضارة بلاد الرافدين: رسالة الماجستير (مجمع الآلهة في حضارة وادي الرافدين) لمهند عاشور شناوة التي أفادت البحث في معرفة مجمع الآلهة وأثر آلهة الخصب في هذا المجمع، ورسالة الماجستير (رموز أهم الآلهة في العراق القديم) لفاتن موفق الشاكر التي اعتمد عليها البحث في معرفة رموز آلهة الخصب وتطور هذه الرموز، وأطروحة الدكتوراه (الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم) لأسامة عدنان يحيى التي أفادت البحث في نظرة الإنسان إلى الآلهة وتطور مداركه الفلسفية في هذه النظرة من المجسد إلى المجرد، أما الأطاريح التي درست وادي النيل واعتمدها عليها البحث لدقة معلوماتها عن هذه الحضارة: (الفكر الديني لبلاد وادي النيل منذ عصر التأسيس وحتى عام ٣٣٢ ق.م) لخالد عبد الملك الحميري التي قدمت معلوماتٍ وآراء مختلفةً عن الكهنة في الديانة المصرية وكيفية تغير هذه الآراء وتطور المبدأ الأوزيري ، وأطروحة (مجتمع الآلهة في الديانة المصرية القديمة) لعباس الحسيني التي تأتي أهميتها للبحث في تفصيلها لمجتمع الآلهة في وادي النيل وأهمية العقيدة الشمسية في الفكر الديني ، ومن رسائل الماجستير التي أفادت البحث (الدلالات الرمزية والقيم الفنية لتيجان الآلهة في النقوش المصرية القديمة) لنهى محمود نايل وكانت على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية للبحث في توضيح رسوم الآلهة وتوظيفها في العقائد الدينية، أما الكتب الأجنبية فيأتي في طليعتها كتاب:

(Gods,Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia)

للأستاذين (Jeremy Black) و(Anthony Green) الذي تضمن معلوماتٍ مفصلةً عن الديانة في بلاد الرافدين وطقوس الخصب، كذلك كتاب:

(Dictionary of Gods and Goddesses)

للأستاذ (Michael Jordan) الذي احتوى معلوماتٍ عن ديانة بلاد الرافدين ووادي النيل وآلهة الحضارتين، ومن الكتب المهمة عن بلاد وادي النيل كتاب:

(The Great Goddesses of Egypt)

للدكتورة (Barbara S Lesko) الذي أفاد البحث بتفصيله آلهة مصر والتطور الديني في المعتقدات المصرية، وكذلك كتاب:

(Egyptian Mythology) للدكتور (Geraldine Pinch) الذي أثرى البحث بمعلوماته المفصلة عن الأساطير المصرية التي منها أساطير الخصب، ومن القواميس المهمة التي اعتمد عليها البحث لتفصيل المعتقدات الدينية وآلهة وعقائد الخصب قاموس الدكتور (Manfred Lurker) المعنون:

(The Routledge Dictionary of Gods and Goddesses, Devils and Demons)

وقد أفاد البحث أيضاً من مقالاتٍ وبحوثٍ منشورةٍ على شبكة الإنترنت التي تخص عقائد الخصب، ومنها (الأم إلهة الخصب والبركة والتكاثر) لمحمد العبيدي الذي تناول ظهور عقيدة الإلهة (الأم) في بلاد الرافدين، ومن الدراسات المقارنة (دراسة مقارنة حول المؤثرات المتبادلة بين مصر والعراق منذ عصور ما قبل الأسرات) للباحث محمود محمد رزق وقد تضمنت هذه الدراسة انتقال المؤثرات الرافدينية إلى وادي النيل، ومن المصادر المهمة التي اعتمد عليها البحث لتوظيف الشواهد المادية زيارة المتاحف والمواقع الأثرية، ومنها زيارة للمتحف الوطني في بغداد، وكذلك زيارة المتحف الوطني في دمشق، وآثار بابل، ومنها معبد الإلهة (ننماخ)، وشارع الموكب.

وختاماً أتمنى أن أكون قد وُفقت في تقديم هذه الدراسة بالشكل المنهجي المطلوب، ومن الله تعالى العون والتوفيق.

**الباحث**

قبل أن نتناول عقائد الخصب لابد من التعرف على الأسماء والمصطلحات التي وردت في عنوان هذه الرسالة؛ ونبدأ بتعريف الحضارة (civilization).

**الحضارة:**

تُمثل الحضارة ثمرة كل جهدٍ يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواءً أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصودٍ، وسواءً أكانت الثمرة ماديةً أم معنويةً، وهذا المفهوم للحضارة مرتبطٌ أشد الارتباط بالتاريخ، لأن التاريخ هو الزمن، والثمرات الحضارية تحتاج إلى زمنٍ لكي تنضج، أي إنها جزءٌ من التاريخ أو إنها نتاجٌ جانبي للتاريخ ، وكما أن ثمر الزرع والأشجار لا يطلع إلا بفعل الزمن، إذ لا يمكن أن تزرع وتحصد ثمرةً في الوقت نفسه، فإن ثمار الحضارة لا تظهر إلا بإضافة الزمن إلى جهد الإنسان[١]، فالحضارة تُمثل كل مظهرٍ من مظاهر إنتاجه، ويُحددها سلوكه وطرائق معيشته وتفاعله مع البيئة[٢].

ويُمكن القول إن الحضارة مجموعة أجوبة الإنسان في إية مرحلةٍ معلومةٍ عن مشكلات المجتمع والكون، ولم تتسن إلا فرصةٌ حقيقيةٌ طفيفةٌ للإجابة عن مثل هذه الأسئلة حتى بدأ الإنسان يعيش في جماعةٍ مستقرةٍ، بعد أن تعلم بذر الحبوب وحصاد الحاصلات والسكن في قرىً زراعيةٍ[٣] ومراكز حضريةٍ[٤]

---

(١) حسين مؤنس ،الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها،عالم المعرفة ،(الكويت ،١٩٧٨)،ص١٣ .

(٢) ينظر :محمد ابو المحاسن عصفور ،معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ،(بيروت ،١٩٨٧ )،ص٢ ؛ فرناند بروديل،تاريخ وقواعد الحضارات ،ترجمة حسين شريف ،(القاهرة ،١٩٩٩ )،ص١٣ -١٤ .

(٣) لقد ظهرت الزراعة و أولى المواقع الأثرية التي يمكن وصفها أنها قرى زراعية في الإلف العاشر قبل الميلاد وهي الفترة التي حددها الأثريين في الشرق الأدنى القديم ، ومن هذه المواقع عين الملاحة في فلسطين ،والمريبط على الفرات في شمال سوريا ،وكريم شهر وزاوي جمي في شمال العراق ينظر : ويد وجوان اوتيس ، نشوء الحضارة ، ت لطفي الخوري ، ط١ ، ( بغداد ، ١٩٨٨ ) ،ص١٤١ -١٤٣ .

(٤) المراكز الحضارية وهي المراكز التي نمت في العصر الحجري المعدني من القرى الزراعية بسبب تطور الآلات والأدوات والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والدينية كبوادر إلا تخصص بالعمل وطرق المقايضة وظهور المعابد فكونت بدايات ظهور المدن الكبرى ودويلات المدن ينظر :فاضل عبد الواحد وعامر سليمان ،عادات وتقاليد الشعوب القديمة،(الموصل ،١٩٧٩ )،ص١٢ .

تركت بقايا يُمكن أن يُعاد تركيبها في سجلٍ له معنىً بعد مدةٍ طويلةٍ من اختفاء المدن[١] أنفسها من الوجود[٢].

وقد كان الشرق الأدنى القديم[٣] هو المكان الذي ظهرت فيه المراكز السكنية الأولى، ولأجل إعادة الحضارة العالمية إلى أصولها ورؤيتها بوصفها نظاماً دائم النمو، علينا أن نرجع إلى الشرق الأدنى . مهد الحضارة الإنسانية .، فقصة البشرية لم تكن سوى قصة التقدم الحضاري في بلاد الرافدين ووادي النيل والمناطق المجاورة لها، ولكلٍّ من هذه البلدان العريقة خصوصيةٌ ينبغي معرفتها؛ لذلك نبدأ بالتعرف على منارتي الحضارة في الشرق الأدنى (بلاد الرافدين، وبلاد وادي النيل)[٤].

**أولاً: بلاد الرافدين**

التسمية: لقد سُمي العراق الحديث قديماً بأسماء كثيرةٍ؛ منها ما شمل جزءاً من البلاد ومنها ما شملها كلها، وقد حملت تسميات أجزاءٍ منه مدلولاً سياسياً، فهي أسماء دويلات المدن التي ظهرت منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، فقد كان حكام هذه الدويلات يُلقب كلٌّ منهم

---

(١) إن اختفاء المدن حسب الدراسات الأثرية يعود إلى عدت عوامل منها تحولات المياه الطبيعية أو بسبب السقاية الغير منظمه مما يؤدي إلى ظهور الملوحة ومنها بسبب الكوارث الطبيعية أو البشرية من قبل الأعداء ينظر :ف٠فون زودن ،مدخل إلى حضارات الشرق القديم ،ترجمة فاروق إسماعيل ،ط١،(دمشق ،٢٠٠٣)،ص١٧-١٨ ٠

(٢) اي. اي سبيزر ،حضارة وادي الرافدين نور لايخبو ،ترجمة كاظم سعد الدين ،(بغداد ،٢٠٠٤ )،ص٦ .

(٣) منطقة الشرق الأدنى القديم :هي المنطقة التي تمتد من نهر السند شرقاً إلى بحر ايجه غرباً ومن جبال القوقاز شمالاً إلى السودان جنوباً ينظر :رشيد الناضوري، دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق الأدنى القديم وخاصة في مصر وبلاد الرافدين والإقليم السوري والهضبة الإيرانية ابتداء من الثورة الصناعية الأولى حتى نهاية الدولة البابلية الاكدية،(القاهرة،١٩٥٨ )،ص أ؛ طالب منعم حبيب ألشمري ،الوضع السياسي في الشرق الأدنى القديم بين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد، أطروحة دكتوراه غير منشوره كلية الآداب ،جامعة بغداد،١٩٩٦،ص٢-٧ ٠

(٤) اي.اي سبيزر ،حضارة وادي الرافدين،ص٦ ٠

نفسه بحاكم المدينة المعينة، فقد كان حاكم مدينة لجش[١] يُلقب نفسه أمير لجش ( Ensi lagash)[٢].

وفي النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد ظهر مصطلحان أحدهما بلاد سومر بالسومرية (كي . أن ـ كي) (ki-en-gi) للقسم الجنوبي من السهل الرسوبي الذي يعني: أرض سيد القصب، والمصطلح الآخر بلاد أكد (كي . أو . ري) (ki-URI) للقسم الأوسط من البلد[٣].

وقد أندمج المصطلحان في عهد الملك السومري أوتوحيكال (Utu-khegal) الذي حرر البلاد من الاحتلال الكوتي[٤] (٢١٢٠ ـ ٢١١٤ ق.م)، فقد لقب نفسه (ملك سومر)، وأكد (بالسومرية) (لوكال كي . أن . جي كي . أوري) (Lugal ki-en-gi-ki-uri)، وأعقبه في استعمال اللقب ملوك سلالة أور الثالثة [٥] (٢١١٢ –٢٠٠٤ ق.م) (أورنمو، وشولكي، وشوسين، وأمارسين، وأبي سين)، وظل هذا اللقب مستعملاً إلى آخر العهود القديمة من تاريخ بلاد الرافدين[٦].

---

(١) لجش اسم مدينة عراقية جنوبية قديمة كونت في الإلف الثالث قبل الميلاد مع مدينتين اخريتين متحدتين معها دويلة ازدهرت خلال عصر فجر السلالات يعرف موقعها اليوم تلو والتي تبعد ٤٥ كم الى الشرق من مدينة الشطرة في محافظة ذي قار ينظر: نائل حنون ،شريعة حمورابي ،(دمشق ،٢٠٠٥ )،ج٥ ،ص٢٤٧ ٠

(٢) طه باقر ،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،(بغداد، ١٩٧٣ )ج١،ص١٠-١١ .

(٣) المصدر نفسه ،ص١١ ٠

(٤) االكوتيين هم أقوام تقطن جبال زاكروس في منطقة لورستان تمكنوا من إسقاط الدولة الاكدية وتمكن الملك السومري اوتو حيكال من طردهم من بلاد الرافدين ينظر:انطون مورتكات ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ،ترجمة توفيق سليمان ،(دمشق ،١٩٦٧ )،ص١٠٣ ٠

(٥) سلالة اور الثالثة: إمبراطورية سومرية شملت سومر واكد وشهدت بلاد الرافدين في زمن هذه الإمبراطورية ازدهاراً سياسيا وحضاريا تمثل في إعادة وحدة البلاد وإصدار أول قانون عرف باسم قانون اورنمو مؤسس هذه السلالة ينظر:ل دولابورت، بلاد مابين النهرين ،ترجمة مارون الخوري (بيروت ،١٩٧١ )،ص٣٩-٤٠٠

(٦) حسين احمد سلمان ،كتابة التاريخ في وادي الرافدين في ضوء النصوص المسمارية ،ط١ ،(بغداد ٢٠٠٨ )،ص١٥-١٧ ؛ ينظر ايضاً : قصي منصور تركي ،اسم العراق بين المدلول الجغرافي والسياسي في العصور القديمة ،الشبكة المعلوماتية ،
http//program-sqweebs .com/vb/archive/index.php/t45htm

وفي الألف الثاني ظهرت مصطلحاتٌ جغرافيةٌ منها (بلاد بابل) نسبةً إلى البابليين، وقصد بها: القسم الأوسط والجنوبي من البلد، و(بلاد آشور) نسبةً إلى الآشوريين في القسم الشمالي من بلاد الرافدين[١].

أما مصطلح (العراق)[٢] فقد ورد استخدامه في العصر الكشي (١٥٩٥-١١٥٧ ق.م)، وأُطلق على موضعٍ أو مقاطعةٍ بهيأة أريقا (Ariqa)، وشاع تداوله في السنوات الأخيرة للعصر الساساني مابين القرنين الخامس والسادس الميلاديين[٣].

واستعمل الكتاب اليونانيون والرومان (وأولهم هيرودتس) مصطلح (بلاد بابل وآشور) لإطلاقه على البلد كله، أو على الأجزاء الوسطى والجنوبية منه، كما استعملوا تسمية (كالديه) (Kaldia) نسبةً إلى الكلدانيين الذين أسسوا الدولة الكلدية مابين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، أما مصطلح (ميزوبوتامية)[٤] (Mesopotamia) فإنه إغريقي الأصل، ولعل أقدم استعمالٍ له ورد في كتاب المؤرخ يوليبوس (٢٠٢ - ١٢٠ ق.م)، وأُطلق على الجزء الواقع بين دجلة والفرات من الشمال إلى حدود بغداد[٥].

وبعد ترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية واللغات الأوربية شاع مصطلح (ميزوبوتامية)؛ فقد جاء في التوراة ذكر إقليم (Aram Nahram) (آرام نهرايم) الذي يعني (آرام النهرين) أي: بلاد

(١) ليو اوبنها يم ، بلاد مابين النهرين ،ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق ،(بغداد- ١٩٨١)ص٥٠ -٥١ .

(٢) العراق:هناك ثلاث أراء حول أصل ومعنى الكلمة أولاً ًعراق عربية الأصل ومعناها الشاطئ فالبلاد القريبة من البحر عراق وهي كذلك لأنها على شاطئ دجلة والفرات والرأي الثاني إن أصل الكلمة فارسي وتعني ايراء بمعنى الساحل وقد عربت إلى ايراق ثم إلى عراق إما الرأي الثالث أنها تعود إلى أصول قديمة إلى كلمة أورك وتعني المستوطن والكلمة من تراث اللغوي للسومريين أو الجزريين ينظر :طه باقر، مقدمة في تاريخ ،ج١ ،ص٩ .

(٣) المصدر نفسه ،ص١٠ .

(٤) يتألف هذا المصطلح من مقطعين هما ميسو(Meso )وسط وبوتاميا(Potamia )الأنهار من بوتاس التي تعني النهر :ينظر:سامي سعيد الأحمد ،العراق القديم ،(بغداد ،١٩٧٨ )،ج١،ص٣٨ .

(٥) تقي الدباغ،البيئة الطبيعة والإنسان ، بحث منشور في حضارة العراق ،(بغداد ،١٩٨٥ )،ج١ ،ص١٤ -١٥ ؛ ينظر أيضاً:

Robinson ,C.A. ,Ancient history, the macmillan company ,(New York,1958),p.35.

مابين النهرين[١]، واستعمل المصطلح بعد ذلك للدلالة على جميع المنطقة الواقعة بين النهرين من الشمال إلى الجنوب.

ويرى المؤرخ جان بوتيرو أن أفضل المصطلحات للتاريخ الذي نتناوله بالبحث هو كلمة (بلاد الرافدين) التي تشمل حدود عراق اليوم على الرغم من معناها الحصري سابقاً[٢].

أما العالم فلكنشتاين (Falkenstein) فإنه يعود بهذه التسمية إلى تسمياتٍ قديمةٍ وردت في نصوصٍ مسماريةٍ أكديةٍ على هيأة بيريتم (Biritum) التي تعني: بين النهرين[٣].

وبناءً على ما تقدم؛ فإن تسمية منطقة الدراسة التاريخية للعراق الحديث قديماً ببلاد الرافدين تصلح لأن تكون التسمية المناسبة لخلود نهري دجلة والفرات منذ ذلك الحين حتى عصرنا هذا.

**الموقع وأثر البيئة في السكان:**

تقع بلاد الرافدين في الجزء الجنوبي الغربي من قارة آسيا، وكان لهذا الموقع أهميةٌ ستراتيجيةٌ ولاسيما في العصور القديمة، لأنه ملتقى القوافل التجارية الوافدة من بقاعٍ مختلفةٍ، وبهذا الموقع شكلت بلاد الرافدين منطقة الاتصال بين البحر المتوسط والمحيط الهندي، والشرق الأقصى والهند بالطرق البرية، وموقع بلاد الرافدين في غرب آسيا جعلها تُمثل القسم الشمالي الشرقي من الوطن العربي[٤]، وهذا الموقع يُمثل جسراً يُوصل طرق المواصلات البحرية بين جنوب آسيا وجنوب أوربا[٥].

وقد أثر الموقع في تركيب سكان البلاد ونشاطاتهم الحضارية، فهو يقع بين منطقتين تقل فيهما الموارد الطبيعية قديماً، فتحده من الشمال والشمال الشرقي مناطق جبليةٌ، ومن الغرب والجنوب الغربي مناطق صحراويةٌ فقيرةٌ في مواردها الزراعية والمائية، وهي جزءٌ من شبه الجزيرة

---

(١) التكوين ،أصحاح،١٠:٢٤ .

(٢) بلاد الرافدين الكتابة والعقل والإلهة ،ترجمة البير ابونا ،ط١ ،(بغداد ،١٩٩٠ )،ص١٢ .

(٣) نقلاً من: حسين احمد سلمان ،كتابة التاريخ في وادي الرافدين ،ص١٩-٢٠ .

(٤) طه باقر ،مقدمة في تاريخ ،ج١،ص٢٢ ؛ينظر :أحمد سوسه ،تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء المشاريع الزراعية ،(بغداد،١٩٨٣ )ج١،ص٨٤ .

(٥) محمد صبحي عبد الله ،العلاقات العراقية المصرية في العصور القديمة ،(بغداد ،د ت )،ص١٧ .

العربية في أقسامها الشمالية والشمالية الغربية، أي: بادية الشام[١]، وبما يتمتع به بلاد الرافدين من أراضٍ خصبةٍ ومياهٍ وفيرةٍ أصبح محط أنظار سكان المناطق المجاورة له سواءً من الشرق أو من الغرب والجنوب الغربي[٢].

وبعد هذا الوصف لموقع بلاد الرافدين لابد من أن نعرف طبيعة سكانه، وهم سكان القرى الزراعية منذ الألف العاشر قبل الميلاد[٣] الذين امتهنوا الزراعة حرفةً لهم في بلاد الرافدين، كما يُمكننا القول إن سكان وسط وجنوب البلاد الذين عُرفوا بالسومريين والأكديين هم في الأصل سكان مدنٍ وفلاحون؛ فهم ليسوا مثل بدو الصحراء أو الرعاة المتنقلين بين المرتفعات، فقد تركوا المناطق المكشوفة وتمركزوا واستقروا في وديان الأنهار[٤].

إن نشوء حضارة بلاد الرافدين وازدهارها كان مرتبطاً بنهري دجلة والفرات وروافدهما فضلا عن الاستخدام الحياتي اليومي لمياههما، فقد أفاد السكان منهما في نظام الري الذي مثل عماد حياتهم وديمومة استمرارهم[٥].

واتصفت طبيعة الأرض الرافدينية باختلاف تضاريسها، ففيها مناطق سهليةٌ رسوبيةٌ، وجبليةٌ، وشبه جبليةٍ، وهضبيةٌ، وبوادٍ[٦].

وكان من أهم ظواهر البيئة الرافدينية نهرا دجلة والفرات اللذان قاما بترسيب الطما والغرين في قاع الصخور الرسوبية منذ عصور قبل التاريخ، وصنعا بذلك هلالاً لا يُضاهيه

---

(١) تقي الدباغ ،البيئة الطبيعية، ص١٦ .

(٢) المصدر نفسه ،ص١٨ ؛ ينظر ايضاً : طالب منعم حبيب ألشمري ،الوضع السياسي في الشرق الأدنى،ص١٦ ٠

(٣) عدنان مكي عبد الله ،نشأة وتطور القرية في العراق (٦٠٠٠٠ –٤٠٠٠ ق٠م )،سومر، مج ٣٩ ،١٩٨٣ ،ج١،ص٥٤ .

(٤) سيتون لويد ،اثار بلاد الرافدين ،ترجمة سامي سعيد الأحمد ،دار الرشيد ،(بغداد ،١٩٨٠ )،ص١٧ .

(٥) طه باقر ، مقدمة في تاريخ ،ج١ ،ص٤٢ ؛ ينظر:
Aris.Issar,mattanyah zohar, climate change –Environment and history of the near east 2nd edition, Isral,p.117-119

(٦) ينظر:تقي الدباغ ،البيئة الطبيعية ،ص٣٩ ٠

بالحجم والخصوبة أي سهلٍ آخر على امتداد الأرض المجدبة المحصورة بين نهري النيل والسند[١].

أما المناخ في بلاد الرافدين فإنه لا يختلف عن مناخ العراق الآن، فالحرارة الصيفية مرتفعةٌ، والفصل الخالي من المطر يصل إلى ثمانية أشهر، وفي نهاية الموسم الجاف تتحول الأنهار إلى التواءاتٍ بطيئة السير في أراضٍ من الطين الجاف، ثم يأتي الشتاء؛ فتنخفض درجات الحرارة لتجلب أعاصير الأمطار المتقطعة، ولكن النهرين لا يحصلان على المياه الكافية إلا في فصل الربيع عند ذوبان الثلوج[٢].

لقد كان وضع مناخ بلاد الرافدين بتقلباته الفصلية التي واجهها السكان وأمطاره وفيضان أنهاره غير مناسبٍ؛ لذا صار لزاماً على هؤلاء السكان مواجهة هذه الطبيعة بجهودٍ خلاقةٍ لتنظيم الري وإنشاء القنوات والخزانات حتى يتمكنوا من مواجهة هذه الطبيعة القاسية[٣].

ومن هذا الموقع والمناخ يتضح أثر البيئة في سكان بلاد الرافدين؛ فلا يُوجد مكانٌ يظهر فيه تأثير البيئة الجغرافية في التاريخ واضحاً مثلما في مجموعة البلدان الممتدة من البحر المتوسط حتى الهضبة الإيرانية التي تُكون الآن ما اصطلح على تسميته بالشرق الأدنى، وبلاد الرافدين تُمثل قلب هذه المنطقة، ففي الصحارى العظيمة والغابات الاستوائية، أو في جوار القطبين، كان الإنسان يعيش مع طبيعةٍ قاهرةٍ تُهدد وجوده مباشرةً، أما في المنطقة المعتدلة، فقد كان الإنسان يعيش في أجواءٍ ملائمةٍ تُثير التحدي، أي إن نشاطاته الحياتية تتطلب منه مواجهة البيئة وتسخير مواردها الطبيعية[٤].

---

(١) جورج رو ،العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين ،(بغداد ،١٩٨٤ )، ص٢٣ .

(٢) سيتون لويد ،آثار بلاد الرافدين ،ص١٤.

(٣) المصدر والصفحة نفسهما ٠

(٤) جورج رو ،العراق القديم ، ص١٩ ٠

إن تأثيرات البيئة الجغرافية في سكان بلاد الرافدين كانت واضحةً في مجالاتٍ عدةٍ؛ منها المعتقدات الدينية، وكانت هذه التأثيرات واضحة أيضاً في بلورة أفكار نظام الحكم، وفي سير الأحداث السياسية والحضارية التي رسمت تاريخ بلاد الرافدين(١).

وبذلك تكون الحضارة الرافدينية تُمثل افتراق الإنسان عن الطبيعة وفواعلها القاسية، من غرائز ودوافع عفويةٍ، فيُكيف حياته لأحكامها، ويُكيف البيئة لضرورات حياته، وهذا يتوقف على مقدار ثقافته وتمكنه من تسخير قوى الطبيعة لصالح متطلباته(٢).

ويُمكن من هذا نستنتج أن تحدي الطبيعة للإنسان في أرض الرافدين نتج عنه استجابةٌ لهذا التحدي؛ ففاض الإنسان الرافديني إبداعاً حضارياً وفكرياً أفادت منه منطقة الشرق الأدنى، وانعكس في الحضارة الإنسانية ليرفدها تقدماً وازدهاراً.

**بلاد وادي النيل**

التسمية: اسم بلاد وادي النيل في اللغات الأوربية (Egypt) مأخوذٌ من اسمها في اللاتينية (Aegyptus) المشتق من الاسم اليوناني (Aiguptos) الذي يُرجح أن أصله من أحد أسماء مدينة منفس القديمة (حت . كا . فتاح) (Het-ka-ptah)، أما الاسم الشائع عند المصريين القدماء فكان اسم (قيم، أو قيمي) ويعني الأرض السوداء (أي السواد) إشارةً الى لون تربة وادي النيل الخصبة، وهناك اسمٌ آخر لدى قدماء المصريين هو (توميري) (Tomere) ومعناه أرض الفيضان، أما اسم (مصر) فالمرجح أنه اسمٌ ساميٌّ يعني ما تعنيه الكلمة العربية (مصر)، وأهم وصفٍ لمصرٍ يُوجد في لغة قدماء المصريين أنفسهم، فقد أطلقوا على بلدهم اسم (الأحمر والأسود)، فعبروا باللون الأحمر عن المساحات الصحراوية، أما اللون الأسود فعبروا به عن وادي نهر النيل(٣).

---

(١) هنري فرانكفورت وآخرون، ما قبل الفلسفة الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى ،ترجمة جبرا ابر هيم جبرا،ط٢ ،(بيروت،١٩٨٠ )،ص١٤٦ -١٤٧ .،

(٢) يوسف الحوراني ،البنية الذهنية في الشرق المتوسطي الأسيوي القديم ،(بيروت ،١٩٧٨ )،ص٤٢-٤٣ .

(٣) ينظر :سمير أديب،موسوعة الحضارة المصرية القديمة ،(القاهرة ،٢٠٠٠ )،ص٧٤٦ .

وبما أن لنهر النيل[١] الفضل الكبير على مصر في نموها الحضاري والتاريخي فقد كانت مصر هبة النيل الذي صنع مصراً، ولكن الإنسان هو الذي عدلها وهذبها وحضرها حتى صارت على ما هي عليه، ونهر النيل الذي أطلق عليه المصريون تقديساً له أسماء عدةً، منها (حابي) و(ابترويحا) أي النهر العظيم[٢]، وكان قدماء المصريين يجعلون للنيل احتراماً اعتقادياً لكونه السبب الفعال في صيانة أرواحهم من مهالك القحط والجدب بتوفيره الماء لزراعتهم، وقد ذُكر في كتاب الموتى أن النيل مولودٌ من (رع)[٣] أي الشمس التي هي أكبر الآلهة عند المصريين القدماء[٤]، والحق أن وجود هذا النهر بنظامه المميز في الفيضان قد فرض على المجتمع القائم على ضفافه نوعاً من الوحدة والنظام، إذ لم تكن فائدة النهر مقصورةً على تغذية الأرض بالماء والغرين الذي يُجدد الخصب باستمرارٍ[٥]، بل عمت فائدته المساهمة في استقرار مورد رزق الناس، ثم استقرار حياتهم وتنامي تجمعاتهم بهيأة قرىً وبعد ذلك مقاطعات، ومن هذه الأهمية لنهر النيل سُميت مصر (بلاد وادي النيل).

**الموقع وأثر البيئة في السكان**

تقع بلاد وادي النيل في الشمال الشرقي من إفريقيا، وهي نقطة تلاقٍ بين قارات: آسيا، وأوربا، وإفريقيا، وأهم ما يُميزها عزلتها الجغرافية، فقد حجبت صحراء سيناء في الشمال الشرقي نوعاً من الاتصالات بقارة آسيا، كما تُشكل الصحارى القاسية في الشرق والغرب عائقاً لا يُمكن

---

(١) كلمة النيل ليس من أصل مصري قديم والمرجح أنها من الكلمات السامية المشتقة من نهر أو نخل بإبدال الراء لاماً فصارت الكلمة الثانية بصيغة نيل ومنها الكلمة اليونانية(Neilos)واللاتينية(Nilas ) إما المصريون القدماء فقد سموا نهر باسم حعف اوحعفي ينظر :طه باقر ،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط٢ ، (بغداد ، ١٩٥٦)ج٢ ،ص٤ .

(٢) انتصار ناجي عبد الزنكي ،الأوضاع السياسية والإدارية في مصر في عصر الأهرام،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ،جامعة بغداد ،٢٠٠٤ ،ص١٠ .

(٣) رع اله الشمس امتلك مركز العبادة في مدينة أون أي مدينة الشمس وهو من أهم آلهة المجمع السماوي ينظر: مانفرد لوركر ،معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة ،ترجمة صلاح الدين رمضان ،(القاهرة،٢٠٠٠ )،ص١٤١ .

(٤) نقلاً من :انطون زكريا ،النيل في عهد الفراعنة والعرب ،ط١ ،(القاهرة ،١٩٩٥ )،ص٦ -٨ .

(٥) ينظر: Edwin w .Pahlow ,Mans great adventure an introduction to world history (New York ,1932 ),p .56 .

عبوره ولاسيما للجماعات الكبيرة التي تُريد غزو البلاد والسيطرة عليها بالقوة[١]، كما أن وقوع وادي النيل عند التقاء آسيا بأفريقيا مقابل سواحل أوربا الجنوبية، وامتداد سواحلها على طول سواحل بحرين مهمين هما البحر المتوسط والبحر الأحمر اكسباها أهميةً خاصةً، وسمحا لها بالاتصال حضارياً بمواطن الحضارات القديمة الأخرى[٢] التي في مقدمتها بلاد الرافدين وبلاد الشام وبلاد اليونان[٣].

إن الرقعة الجغرافية المهمة في وادي النيل شريطٌ أخضر يعج بالحياة، ويمتد عبر أراضٍ صحراويةٍ قاحلةٍ، حتى أن المرء يُمكنه أن يقف على طرفي الأرض المعطاء واضعاً إحدى قدميه على التربة السوداء المروية والأخرى على رمال الصحراء[٤].

إن حقبة العصر الحجري القديم الأعلى شهدت مولد نهر النيل بعد استقرار الظروف المناخية، وأصبح المناخ يُشبه المناخ الذي تمر به مصر الآن منذ (٢٥ إلى ١٧) ألف سنةٍ[٥].

أما مناخ مصر فهو مناخٌ صحراويٌّ عدا شاطئ الدلتا البحرية والرياح جافة كرياح الصحارى باستثناء الرياح الشمالية القادمة من البحر المتوسط التي تُلطف من حرارة الشمس اللاهبة وتُيسر العيش، وهي نقيض الرياح الحارة الجافة التي تهب في أواخر الربيع من الجنوب، ومعظم أرض مصر تقع في المنطقة المعتدلة الدافئة، ويقع جزءٌ يسيرٌ منها جنوب مدار السرطان، ومعظم أرض مصر تقع ضمن النطاق الصحراوي الممتد من المحيط الأطلسي إلى شبه جزيرة العرب[٦].

---

(١) مختار السويفي، أم الحضارات ملامح عامة لأول حضارة صنعها الإنسان، ط١ (القاهرة ،١٩٩٩ )،ص١٧ ؛ نعيم فرح ،موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ،(دمشق ،د ت)،ص٥٧ ؛محمد صبحي عبد الله ،العلاقات العراقية المصرية،ص٣٤ .

(٢) فاضل عبد الواحد و عامر سليمان ، عادات وتقاليد ، ص١٩٧ .

(٣) لقد دلت التنقيبات الأثرية على علاقات وتبادل حضاري بين وادي النيل ووادي الرافدين وسورية وبلاد اليونان وكانت جزيرة كريت التي ازدهرت بها الحضارة المينوية من مراكز هذا الالتقاء الحضاري ينظر :سامي سعيد الأحمد ،حضارات الوطن العربي القديمة أساسا للحضارة اليونانية ،ط١،(بغداد ،٢٠٠٢ ) ،ص٤-٥ .

(٤) هنري فرانكفورت واخرون ،ما قبل الفلسفة ،ص٤٧ .

(٥) محمد مدحت جابر ،بعض جوانب جغرافية الأعمار في مصر القديمة،(القاهرة ،١٩٨٥ )،ص١١ .

(٦) محمد صبحي عبد الله ،العلاقات ،ص٣٦

وعلى الرغم من فقر الصحارى والمرتفعات المحيطة بوادي النيل كانت مصر مصدراً مهماً لبناء الحضارة، فقد توافرت فيها أنواع المعادن والأحجار التي ساعدت المصريين على استخدامها لتشييد الأبنية الضخمة كالأهرام والمعابد والمقابر [١].

لقد أعطى الموقع المنعزل والبيئة الهادئة والمناخ الراتب والمواد الأولية للشعب المصري وللحضارة التي نشأت في وادي النيل الطمأنينة والهدوء، وترك هذا الموقع أثره في الفكر المصري والأساطير المصرية وفي الإنسان المصري، ونستدل على استقراره النفسي أنه اتجه بالبحث في الحياة الأخرى وعالم ما بعد الموت ومحاولته توفير الطمأنينة ليس فقط في هذه الحياة بل في الحياة الأخرى أيضاً بحصوله على الخلود؛ فشيد الأهرامات للعالم الآخر، حتى أن حضارة مصر تُسمى حضارة الأموات لشدة عناية المصريين بالعالم الآخر، وهذه العناية لا تحدث إلا بسبب الاستقرار والأمان الذي ينعم به وادي النيل من الناحية السياسية والاقتصادية[٢].

أما الوضع الجغرافي وحال البيئة والمناخ في بلاد الرافدين فإنه على غير ذلك تماماً، فالموقع يقع في قلب العالم القديم وبين منطقتين غير متجانستين جغرافياً وسكانياً؛ هما مناطق الجبال في شمال وشرق بلاد الرافدين، ومناطق الصحارى في الغرب والجنوب، وكذلك استمرار تدفق أقوام هذه المناطق إلى بلاد الرافدين سلمياً وحربياً مما أدى إلى اضطراب وخوف سكانه من كلا المجموعتين[٣].

أما مناخ بلاد الرافدين فهو مناخٌ متطرفٌ من شدة الحرارة في الصيف والبرودة في الشتاء، وأمطاره متذبذبةٌ من عامٍ إلى آخر، وكذلك أنهاره؛ فالفرات الذي استوطنت حول ضفافه أولى الحضارات المتمدنة في تاريخ البشرية كان كثير الفيضان ولاسيما في مواسم الزراعة مما أربك السكان من الناحية الاقتصادية[٤].

---

(١) فاضل عبد الواحد وعامر سليمان ،عادات وتقاليد ،ص١٩٨ .

(٢) هنري فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ،ص٥٠ –٥١ ؛ ينظر: جمال المرزوق ،الفكر الشرقي القديم ،ط١ ،(القاهرة ،٢٠٠١ )،ص٧٠ ؛ ينظر أيضاً: نبيلة محمد عبد الحليم ، معالم التاريخ الحضاري والسياسي (القاهرة ،د ت )ص١١ .

(٣) محمد صبحي عبدا لله ،العلاقات ،ص٣١ .

(٤) سيتون لويد ،أثار بلاد الرافدين،ص١٤ .

لقد أثرت هذه العوامل الصعبة في نفسية الإنسان في هذا البلاد وبنيته الذهنية، وظهر ذلك واضحاً في معتقداته وأساطيره[١].

وبما أن الحضارة هي تفاعل الإنسان مع البيئة، فإن اختلاف البيئة بين بلاد الرافدين ووادي النيل أدى إلى تهيئة أسباب الاختلاف الحضاري والذهني بين الحضارتين[٢]، فالإنسان مخلوقٌ فريدٌ، له من المواهب ما يجعله متفرداً من بين الكائنات، فهو ليس مجرد شكلٍ داخل صورة الطبيعة، فإن له في جسمه وعقله ما يجعله مستكشفاً لها ومتفاعلاً معها[٣].

إن التنوع صفةٌ إنسانيةٌ تعتمد القدرة على التكيف المدهش مع شروط البيئة المتقلبة، فالبيئة قوةٌ مؤثرةٌ في تطور الإنسان الحضاري والفكري[٤]، وهي من العوامل المهمة التي أثرت في العقائد الدينية لسكان بلاد الرافدين ووادي النيل والاختلافات في هذه العقائد، ومن العقائد التي أثرت فيها البيئة كانت عقائد الخصب.

**ثالثاً :مدخل إلى عقائد الخصب (Fertile)**

الخصب لغةً واصطلاحاً:

لقد وردت كلمة الخصب في اللغة الأكدية (hisbu)[٥]، أما الخصب في اللغة العربية فإنه نقيضُ الجدب، وهو كثرة العشب ورفاهة العيش، والإخصاب والاختصاب من ذلك، وأجدبت البلاد: أقحطت وغلت، وخصبت الأرض خصباً فهي خصبة، أنشد سيبويه:

لقد خشيتُ أنْ أرى جدباً　　　في عامنا ذا بعدما أخصبا

فرواه هنا بفتح الهمزة، ومكانٌ مخصبٌ وخصيبٌ، والأرض خصبٌ، وأرضون خصبٌ، والجمع كالواحد، ويُقال: بلدٌ خصبٌ، وأخصب القوم: نالوا الخصب، وأخصب جناب القوم (وهو ماحولهم)

---

(١) يوسف الحوراني ،البنية الذهنية ،ص٤٦.

(٢) هنري فرانكفورت وآخرون ،ما قبل الفلسفة،ص١٤٥ ٠

(٣) جاكوب برونوفسكي ،التطور الحضاري للإنسان ،ترجمة احمد مستجير،(القاهرة ،١٩٨٧ )،ص ١٣ .

(٤) فرانسيس أور،حضارات العصر الحجري القديم،ترجمة سلطان محيسن ،ط٢ ،(دمشق ،١٩٩٥ )،ص١٢٠ ٠

(٥) رينيه لابات ،قاموس العلامات المسمارية،ترجمة الأب البير ابونا و وليد الجادر وخالد إسماعيل ،(بغداد ،٢٠٠٤ )،ص٣٣٦ ٠

وأرض مخصاب: لاتجدب، والمخصبة: الأرض المكلئة، والقوم مخصبون: إذا كثر طعامهم وأمرعت بلادهم[١]، والخِصبُ (بالكسر): كثرة العشب ورفاهة العيش[٢]، والخصب: النماء والبركة[٣].

وبعد هذا العرض لمعنى الخصب يجب أن نعرف كيف أصبح الخصب معتقداً دينياً وما هي الأدلة على ذلك؟ وبما أن العقيدة الدينية قديمةٌ قدم الإنسان على سطح الأرض يُمكننا القول إن الإيمان بالدين وُجد في مناطق عدةٍ من العالم، وبين أقدم التجمعات البشرية التي عثر المنقبون الآثاريون و(الإنثروبولوجيون) في مواقع استيطانها على مخلفاتهم التي لها علاقة بالدين[٤].

ومن المخلفات الأثرية المهمة التي كشفت عنها التنقيبات دمىً أنثويةٌ تشترك . على الرغم من اختلاف معآثرها . في حمل صفاتٍ تُشير إلى ما ترمز إليه تلك الآلهة من قوى الخصب والإنجاب والولادة، ومن هذه الصفات: البدانة، وضخامة الأثداء والأرداف، وإظهار الأعضاء التناسلية أو علامات الحمل[٥].

لقد أدرك الإنسان منذ عصورٍ قديمة حقيقة أن بقاءه مرهونٌ بشيئين اثنين: أولهما الغذاء؛ لذلك أوجد الإلهة الأم (Mother Goddess) التي جسدت قوى الطبيعة المولدة والمنتجة والمخصبة، وهي القوى الأكثر تأثيراً في حياة الأقوام القديمة، فبفضل تلك القوى كان التكاثر والإنجاب، و ثانيهما التكاثر يُمثل للإنسان استمرار جنسه وتفوقه على قوى التدمير المميتة من

(١) جمال الدين أبي الفضل محمد ابن منظور ، لسان العرب ،ط٤ ،دار صادر ،(بيروت ،٢٠٠٥ ) ،ج٤ ،ص ٧٧-٧٨ .

(٢) الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم ،القاموس المحيط ،( بيروت ،١٩٩٩ ) ، ج ١ ، ص٨٢ .

(٣) القاضي ابن البراج ، المهذب ، ( قم ، ١٤٠٦ ) ، ج ١ ، ص١٤٥ .

(٤) تقي الدباغ ، الفكر الديني القديم ، ط ١ ، ( بغداد ، ١٩٩٢ ) ، ص٥ .

(٥) نائل حنون ، شخصية الإلهة إلام ودور الإلهة أينانا ، سومر ، المجلد ٣٤ ، ١٩٧٨، ج١ ، ص٢٢ .

الأوبئة والحوادث الطبيعية، كما أن تكاثر الحيوان يُمثل الرخاء للإنسان، وتُمثل صفة الإنتاج عنواناً للإنسان في كل حياته؛ فهو ينتج لنفسه ولعائلته ما يُسهل له سبل الحياة(١).

إن الدمى التي صنعها الإنسان القديم للإلهة الأم لم تكن نتاجاً فنياً أو إبداعياً جمالياً بقدر ما كانت حساً دينياً وخبرةً أولى مع العنصر الإلهي، فالأسلوب الذي صُنعت به ـ المعتمد على تحويرٍ فنيٍّ مبالغٍ فيه ـ يجعلها أبعد ما تكون عن تصوير شخصياتٍ واقعيةٍ تنتمي للأجناس التي ظهرت بينهما، وفي هذه الأشكال لا يُثبت الفنان كل ما له علاقةٌ بالخصب والفيض التلقائي الطبيعي، ويُهمل ماله علاقةٌ بالتصميم والتدبير والفعل الإرادي المباشر، وهو بذلك يُعطي خلاصة تأملاته في القوة الإلهية التي تصدر الأشياء عنها(٢).

ومن المرجح أن عبادة الدمى سبقت ظهور أية عبادةٍ أخرى(٣)، وقد ظهرت هذه الدمى ـ تحديداً ـ في العصر الحجري القديم ، وكانت مصنوعةً من العاج، أو من العظام، أو من الحجر، أو من الطين(٤)، أما موطنها الأصلي فإنه غرب آسيا، وسهل روسيا الجنوبي، وفي جنوب فرنسا حيث عُثر على أقدم التماثيل الأثرية من عظامٍ وعاجٍ وحجارةٍ، وهذا ما دلت عليه التنقيبات الأثرية(٥).

ومن الأدلة الآثارية على ذلك (إلهة لاوسيل) وهي دمىً أنثويةٌ عُثر عليها في جنوب فرنسا ترفع بيدها اليمنى قرني ثورٍ، وتضع يدها اليسرى على بطنها الممتلئة، ويبدو صدرها بثديين ممتلئين، وكانت أردافها كبيرةً، ويظهر وجهها بلا ملامح(٦)، ومن هذه الدمية نستدل على ارتباط عقائد الخصب بالأنثى وبالثور الذي يُمثل العنصر الذكري، ولكن ظهور هذه الدمى في العصر الحجري القديم كان محدوداً، ولم تنتشر كما انتشرت بعد الاهتداء إلى الزراعة، والمرجح أن عدم انتشارها كان لعدم ارتباطها بظهور تحولٍ بيئيٍّ أو اقتصاديٍّ أو اجتماعيٍّ، فظهورها كان

---

(١) فاضل عبد الواحد، الأعياد والاحتفالات ، بحث منشور في حضارة العراق، (بغداد ،١٩٨٥) ، ج١ ، ص٢٠٨؛ ينظر : نائل حنون ، عقائد الحياة والخصب ، ط١ ،( عمان ،٢٠٠٢) ، ص٧٦ .

(٢) فراس السواح ، لغز عشتار الإلوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة ، ( دمشق ، ١٩٩٣ ) ، ص٤١ .

(٣) نائل حنون ، شخصية الإلهة إلام ، ص٢٢ .

(٤) فاضل عبد الواحد علي ، عشتار ومأساة تموز ،(بغداد ،١٩٧٣ )، ص٢٠ .

(٥) ينظر: ثلماستيان عقراوي ، المرأة ودورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين ، ( بغداد ، د ت ) ، ص١٩ .

(٦) خزعل ألماجدي ، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ ، ( عمان ، ١٩٩٧ ) ،ص٤٥ .

إدراكاً أولياً لأهمية الخصب[١]، وهذا الظهور للعقائد يُمثل بداية عقائد الخصب ومعرفة وظيفة المرأة فيها، لكن هذه العقائد تطورت وتأثرت بالزراعة مع تطور الإنسان الحضاري والفكري وتغير حياته ووسائل إنتاجه.

**العوامل المؤثرة في عقائد الخصب**

لقد شهدت المرحلة الممتدة بين الألف العاشر والألف السادس قبل الميلاد تحولاتٍ جذريةٍ نقلت الإنسانية من مرحلة الصيد والالتقاط إلى مرحلة الاستقرار والزراعة وتربية المواشي، والدلائل الآثارية تُشير إلى أن هذه التحولات حدثت في الشرق الأدنى[٢]، وقد ربط الإنسان بين خصب الأرض ونمو النباتات وبين القوى الخارقة التي عدها مصدراً للخصوبة التي آمن بها وصنع لها تماثيل نسويةٍ[٣] مما أدى إلى أن أصبحت الأمومة مقدسةً، وأخذ الرجل يخلع على المرأة ووظائفها (البايولوجية) سحراً إضافياً وقيمةً مميزةً نتيجة لإدراكه للأهمية الكبيرة للمولود، فقد صار الإنسان يشعر بوجوده لكونه كائناً مرتبطاً بالماضي مطلاً على المستقبل يرغب في تمديد وجوده وإثبات نفسه، وهنا أخذ يُثمن الطفل والأم التي تُنجبه[٤].

لقد أثرت الزراعة في المعتقدات الدينية والروحية وأدت إلى تطورٍ نوعيٍّ، وأصبحت فكرة الخصوبة هي جوهر الديانة[٥]، ولقد انتشرت هذه التماثيل مع انتشار القرى الزراعية في العالم القديم[٦] مما أدى إلى تضامن الخصوبة النسوية مع خصوبة الأرض، ويعود سبب ذلك إلى تطور مدارك الإنسان وتشابه الحياة النباتية مع الوجود الإنساني[٧].

---

(١) خزعل ألماجدي ، أديان ومعتقدات، ص٥٤ .

(٢) ويد و جوان اوتيس ، نشوء الحضارة ، ص٦٣ .

(٣) تقي الدباغ ، الفكر الديني ، ص٩ .

(٤) ثلما ستيان عقراوي ، المرأة ، ص١٨ .

(٥) خزعل ألماجدي ، أديان و معتقدات ، ص٧٨ .

(٦) فراس السواح ، لغز عشتار ، ص٢٤ .

(٧) ميرسيا الياد ، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ، ت عبد الهادي عباس ، ( دمشق ، ١٩٨٦ ) ، ج١ ،ص٦٠ .

إن الثقافات الزراعية أبدعت ما يُمكن أن نُسميه (ديناً كونياً) هو عقيدة الخصب التي تطورت وانتشرت مع التطور الحضاري للإنسان[١]، أما كيف عُبدت الإلهة الأم؛ فليس في مقدورنا معرفة تفاصيل عبادة هذه الإلهة في عصور ما قبل التاريخ، وهل كانت إلهةً واحدةً أو مجموعة إلهاتٍ عُبدت كل واحدةٍ منهن في مستوطنٍ واحدٍ أو أكثر من مستوطنٍ[٢].

ومن الطقوس التي دلت عليها الدراسات الأثرية عن طريق الرسوم وآثار الكهوف التي من المحتمل أنها كانت تُمارس للآلهة الأم هي الرقص الدائري[٣]، ولكن من المهم أن نعرف أن تطور عقائد الخصب حدث على شطآن دجلة والفرات والنيل، وفي البلدان المجاورة لها، وقد أجمع العلماء على أن هذه المنطقة هي مصدر الإشعاع الحضاري والديني إلى العالم[٤].

يتضح مما سبق أن أهم العوامل المؤثرة في عقائد الخصب لا يتعدى حدود الإنسان وحاجاته مضافاً إليها بيئته التي يُقيم فيها متأثراً بما يُحيط به، وكل ذلك يعد أهم العوامل المؤثرة في عقائد الخصب وأفكاره عند إنسان عصور ما قبل التاريخ، وهذا ما سنتناوله في فصول هذه الرسالة التي سندرس فيها كيفية تطور عقائد الخصب في حضارتي: (بلاد الرافدين) و(وادي النيل).

---

(١) المصدر والصفحة نفسهما .

(٢) نائل حنون ، شخصية الإلهة ألام ، ص٢٢ ؛ينظر أيضاً:
Durkhim E, the Elementary forms of THE Religious life ,(London, 1947),p .28.

(٣) ينظر : ميرسيا الياد ، تاريخ المعتقدات ، ج١ ، ص٣٩ .

(٤) صموئيل نوح كريمر، الأساطير السومرية ، ت، يوسف داود عبد القادر ، ( بغداد ، ١٩٧١ ) ، ص١٢ .

# الفصل الأول

# آلهة الخصب

# في حضارتي بلاد الرافدين ووادي النيل

المبحث الأول: آلهة الخصب في حضارة بلاد الرافدين

المبحث الثاني: آلهة الخصب في حضارة وادي النيل

المبحث الثالث: مقارنة بين آلهة الخصب في الحضارتين

### آلهة الخصب في حضارة بلاد الرافدين:

قبل الدخول في تفصيل آلهة الخصب في حضارة بلاد الرافدين لابد من التطرق إلى أهم مبادئ ومعتقدات الديانة الرافدينية القديمة التي يُمكن أن نُلخص مبادئها فيما يأتي:

**أولاً:** مبدأ الحيوية (Animisme): وهي الاعتقاد بوجود حياةٍ أو أرواحٍ في الظواهر الطبيعية والكونية التي كانت تحيط بالإنسان، فكانت لكل ظاهرةٍ قوةٌ خفيةٌ تحركُها وتجعلها فاعلةً[١]، وقد نتج عن ذلك عد كل مظهرٍ من مظاهر الطبيعة (أرضاً وشمساً ونجوماً وقمراً وأنهاراً ورياحاً، وما إليها) كائناتٍ حيةً كالإنسان والحيوان والنبات، تميزها القوى الخفية التي اعتقدوا بوجودها في هذه الظواهر، وهذا ما يُميزها عن الإنسان، إي إنّ الإنسان القديم الذي اخذ يواجه تلك الظواهر كأنها إلهةٌ تجب عبادتها وتقديم فروض الطاعة لها، وبذل كل ما في وسعه من أجل الحصول على رضاها[٢].

ثانياً مبدأ الشرك (تعدد الآلهة): انطلق من المبدأ الأول (الحيوية) الذي مارسه الإنسان القديم في حياته اليومية الذي عُني باللغة المعاصرة، وهو مبدأ الشرك (polytheism) أي: تعدد الآلهة[٣].

وواقع الآلهة المتعددة التي اتسمت بها ديانة بلاد الرافدين والتي تعددت وظائف كلٍّ منها كان قائماً على العلاقة السببية بين الظاهرة التي اتُّخذت إلهاً وبين صفاتها التي أُعطيت للإله، ولذا لابد من أن يكون على وفق هذا المبدأ (أيا) إله المياه[٤] إلهاً للمياه والإمطار والمستنقعات، ويكون إلهاً للنباتات والحيوانات والأسماك وكل ما يتكاثر بوساطته بسبب العلاقة بين المياه وتلك الكائنات، وبذلك يكون هذا الدين قد جسد لنا المظاهر الطبيعية كوجود ماديٍّ وعدّها آلهةً[٥].

ثالثاً التشبيه: وقد اتسمت العبادة في بلاد الرافدين بالتشبيه (Anthropomorphism)، ومعنى هذا المبدأ تشبيه الآلهة بالبشر في صفاتها الروحية والمادية ونسبوا إليها جميع الأفعال والأعمال

---

(١) طه باقر وآخرون ،تاريخ العراق القديم ،(بغداد ،١٩٨٠ )،ج٢ ،ص٩ .

(٢) فاضل عبد الواحد وعامر سليمان ،عادات وتقاليد ،ص١٠٨ .

(٣) خليل سعيد ،معالم من حضارة وادي الرافدين ،ط١،(بغداد ،١٩٨٤ )،ص٨٠ .

(٤) أيا (انكي ) وهو اله الماء والطقوس المرتبطة به من سحر وفأل ولقب أبو الإلهة ومعنى اسمه السومري انكي سيد الأرض ينظر سامي سعيد الأحمد ،المعتقدات الدينية في العراق القديم ،ط١ ،(بغداد ،١٩٨٨، )،ص٢٣-٢٤ .

(٥) ينظر :خليل سعيد ،معالم من حضارة ،ص٨٠-٨١ ؛ ينظر أيضاً:
MORRIS JASTROW ,THE Religion ,Babylonia And Assyria ,(BOSTON U.S. A) ,p220-227 .

التي يُمارسها البشر من طعامٍ وشرابٍ وفرحٍ وغضبٍ[١]، لكنها انفردت عن البشر بالخلود[٢]، ومع هذا المبدأ نجد كذلك في النصوص المسمارية تصريحاتٍ بتسامي الآلهة بقدراتها وعقلها اللذين يفوقان ما لدى البشر[٣]، ويُمكن إضافة مبدأ الاستمرارية إلى الديانة الرافدينية؛ فقد حافظت معتقداتها الدينية على جوهرها في طقوسها وشعائرها[٤].

أما مكانة المعتقدات الدينية في حضارة بلاد الرافدين، فلم يكن الدين يوماً محوراً تدور حوله تلك الحضارة، وإنما كان المظلة التي تنضوي تحتها كل دوافع وفعاليات ونتاج تلك الحضارة التي لم تستغن عن الدين في أية مرحلةٍ، وفي الوقت نفسه لم تحدّ عقائده ولا شعائره من تطورها[٥].

**إلهة الخصب في عصور قبل التاريخ:**

لم تكن الديانة في بلاد الرافدين قد نشأت في مرحلةٍ تاريخيةٍ محددةٍ، كما أنها لم تتم على يد مفكرٍ دينيٍّ قد عرف كيف يفرض حوله أحاسيسه الخاصة وقناعاته بشأن الأمور المقدسة ليقوم بنشرها في مؤسسته بل كانت عبارةً عن ردود فعلٍ مشتركةٍ لأقوام قبل التاريخ تضافرت أفكارهم وأحاسيسهم بعضها ببعض ممزوجة بثقافتهم التقليدية المتوارثة؛ لذا جاء الدين متناغماً مع عاداتهم الطبيعية في التفكير والشعور والحياة[٦]، وبما أنّ الديانة الرافدينية تتصف بالاستمرارية فإنّ هذه الديانة في العصور التاريخية لابد من أن تكون منبثقةً من المعتقدات التي سادت في الثقافات الزراعية في عصور ما قبل التاريخ[٧]، وبما أننا نرجح رأي الأستاذ طه باقر الذي ينص على أنّ السومريين هم إحدى الجماعات المنحدرة من بعض الأقوام المحلية في بلاد الرافدين في عصور قبل التاريخ، وأنهم عُرفوا باسمهم الخاص أي: (السومريون) نسبة إلى الإقليم الذي استوطنوا فيه، أي: القسم الجنوبي من بلاد الرافدين بعد تكوينه في أواخر الألف السادس قبل

---

(١) طه باقر وآخرون تاريخ العراق ،ج٢،ص٩ .

(٢) إن موضوع قتل الآلهة الذي ورد في الأساطير بموضوعين هما خلق الإنسان واصل الآلهة يشير إلى إن ذلك لم يكن القصد منه تبيان إمكانية تعرض الآلهة للموت بقدر ما كان القصد منه توضيح عملية خلق الكون وظهور الآلهة وخلق البشر دون الاهتمام بما سيحدثه ذلك من تناقض في العقيدة الدينية ينظر :نائل حنون ،عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين،ط٢ ،(بغداد ،١٩٨٦ ) ،ص٥٢-٥٣ .

(٣) جان بوتيرو ،بلاد الرافدين ،ص٢٥٧ .

(٤) طه باقر وآخرون ،تاريخ العراق ،ج٢،ص٩ .

(٥) نائل حنون ،شريعة حمو رابي ،ص١٣ .

(٦) جان بوتيرو : بلاد الرافدين ، ص ٢٤٦ .

(٧) ينظر :تقي الدباغ ،الفكر الديني القديم ،ص١٣-١٥ .

الميلاد[١]، لذا ينبغي لنا قبل أن نتعرف على آلهة الخصب في الحضارة الرافدينية في عصورها التاريخية ونعرف جذور هذه الآلهة والمعتقدات التي ظهرت في عصور قبل التاريخ[٢].

وقد وُجدت دمى الإلهة الأم [٣] في أولى القرى الزراعية مثل قرية جرمو[٤]، كما وُجدت في عددٍ من مواقع عصور قبل التاريخ الأخرى مثل (تل حسونة)[٥]، و(تل الصوان)[٦]، ووجدت في (دور حلف)[٧]، وفي (تبه كاوره)[٨]

من الطبقات العائدة إلى دور العبيد[١].أما النظير الذكري لها فقد مُثل بالثور الذي اتُّخذ رمزاً للنمو والتكاثر كما ظهر في النقوش الزخرفية لسكان (دور حلف)[٢].

---

(١) ينظر: ،مقدمة في تاريخ ،ج١ ،ص٦٦ ٠

(٢) لمعرفة تفاصيل ديانة ما قبل التاريخ ينظر :مهند عاشور شناوه ، مجمع الإلهة في حضارة وادي الرافدين ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ،بغداد ،٢٠٠٠ ،ص١١-١٤ ٠

(٣) عن الآلهة إلام ينظر:
E.O.James thoms, the Cult of the Mother Goddess,(London,1985),p .15-25.

(٤) جرمو هي قرية صغيرة في شمالي العراق وتقع إلى الشرق من كركوك في قضاء جمجمال تقع على ارتفاع ٨٠٠م فوق مستوى البحر ويقدر زمن استيطان القرية إلى حدود عام ٦٧٥٠ق.م ينظر: عادل عبد الله الشيخ ، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٥ ،ص٣ ٠

(٥) يقع تل حسونة على بعد خمس وثلاثين كيلومتراً جنوب مدينة الموصل وعلى بعد ثمانية كيلومترات من بلدة الثورة، أخذ هذا التل أسمه من القرية التي تقع على بعد تسعمائة متر باتجاه الشمال من القرية ينظر:المصدر نفسه ،ص١٠-١١ ٠

(٦) تل الصوان من المواقع الأثرية الواقعة على ضفة دجلة الأيمن على بعد ١١ كيلومتر جنوب مدينة سامراء الحالية ،ينظر تقي الدباغ ،الثورة الزراعية والقرى الأولى ،حضارة العراق ،(بغداد ،١٩٨٥ )،ص١٢٦ينظر كذلك؛ دوني جورج يوخنا، اساليب الصناعات الحجرية في تل الصوان ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥ ،ص١١ ومابعدها ٠

(٧) وهو دور حضاري في العصر الحجري المعدني وعرفت حضارة حلف نسبة لتل حلف الواقع على نهر الخابور شمال شرق سوريا قرب الحدود التركية تم اكتشاف هذا التل من قبل الأستاذ ماكس فون اوبنهايم max (von Oppenheim) عام ١٩١١ ينظر أكرم محمد عبد كسار ،مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العراق القديم منذ أواخر الإلف السادس ق٠م حتى بداية النصف الثاني من الإلف الخامس ق ٠م ،سومر ،مج ٤٥ ،١٩٨٧-١٩٨٨ ،ج١ ،ص٢٤٤-٢٤٥ ٠

(٨) تبه كاوره :تل يقع شمالي الموصل ومعناه (التل العظيم )بدأت فيه التنقيبات في نيسان١٩٢٧ ويحوي ٢٦ طبقة استيطان مستقلة ينظر :أي أي سبيزر ،حضارة وادي الرافدين ،ص٩ ٠

ومـن النقـوش الزخرفيـة التـي تكـرر فيهـا الفـأس ذو الرأسـين الـذي عُـد رمـزاً مـن رمـوز الخصب، وفسر على أنـه يُستخدم من قبل الإلـه لتمزيق السحب وإطلاق عواصف المطر التـي تحتـاج إليهـا الحاصـلات والمراعـي حاجـةً شـديدةً[٣]، وكـذلك التماثيـل الذكريـة التـي عُـدّت آلهـة خصبٍ ظهرت بجانب الإلهة الأم[٤].

وقد كان واضحاً من التماثيل أنّ النظير الذكري للإلهة الأم يتمثل بعدة مظاهر، أما إلهة الخصب الأنثوية فهي مظهر واحد، أي: المرأة مهما اختلفت أوضاعها[٥].

وقد تناولت الكثير من البحوث والدراسات ظهور هذه الدمى ونظيرها الذكري، ويبدو أن الفلسفة الأوربية الحديثة والأساطير اليونانية القديمة[٦] التي ظهرت بعد الحضارة الرافدينية بآلاف السنين واضحةٌ في هذه الدراسات التي ابتعدت في تحليلاتها عن الجانب الأثري، ويتضح ذلك عند افتراض وجود سيطرةٍ حقيقيةٍ للنساء في تلك الأزمنة البدائية وعرّف الباحثون هذه المرحلة بعصر سيطرة الأم، إلا أن هذا العصر الذهبي لم يدم طويلاً بالنسبة للمرأة فسرعان ما اكتشف الرجل أثره في الإنتاج، وكان ذلك على أكثر الاحتمال من جراء التدجين، فأخذ الرجل يحاول بعد ذلك سلب امتيازات الآلهة من المرأة وفرض سيطرته وسيادته عليها وهكذا ظهر بجانب الإلهة

---

(١) سميت هذه المرحلة التاريخية المهمة بالعبيد نسبة إلى تل صغير يعرف باسم العبيد والذي يقع بالقرب من مدينة أور وكان هذا التل قديماً يقع بصورة مباشرة على نهر الفرات وهو الآن يقع على مسافة بعيدة من النهر بعد أن غيرَّ الأخير مجراه عثر على البقايا القديمة لهذا الموقع من قبل H.R.Hall وأشرف السير ليونارد وولي ما بين عامي (١٩٢٢-١٩٢٤ م) على التنقيب في هذا الموقع في ذلك الوقت الذي قدمت فيه ثقافات حسونة وسامراء وحلف عناصر حضارتها في الشمال كانت هناك في الوقت نفسه حضارة قد ولدت في الجنوب والتي كانت قد انتشرت على نطاق واسع في بلاد الرافدين مع انتشار ثقافة العبيد في الجنوب وانتقلت إلى جميع بلاد الرافدين في حدود ٤٤٠٠ق.م بدأت مرحلة حضارية جديدة كانت قد وضعت أسس الحضارة السومرية ينظر عادل عبدالله الشيخ ،بدء الزراعة،ص٥٦ .

(٢) Mallowan M.E.L.:Twenty five years in Mesopotamia discovery, (London, ,1965),p. 5 .

(٣) انطون مورتكات ،تاريخ الشرق الأدنى ،ص٢٣ ؛ينظر اندريه بارو، سومر فنونها وحضارتها ،ترجمة عيسى سليمان وسليم طه التكريتي ،(بغداد ،١٩٨١ )،ص٩٨ .

(٤) أول ظهور لتمثال ذكري في تل الصوان في دور سامراء كان بعينان مطعمتان بالصدف وبؤبؤ عين محدد بالدهان الأسود أو القير والجسم بأكمله كان بلون وردي ينظر : عادل عبد الله الشيخ ،بدء الزراعة ،ص٤٠ .

(٥) انطون مورتكات ،تاريخ الشرق الأدنى ،ص٢٣؛ ينظر: ميرسيا الياد ،تاريخ المعتقدات ، ج١،ص٦٦ .

(٦) مثل أسطورة الامزونيات وأساطير أخرى تتطرق للموضوع نفسه ينظر: فراس السواح ،لغز عشتار ،ص٣٦ .

الأم إله شابٌّ أو حبيبٌ أقل منها مركزاً ولكنه يشبهها في الخصائص ويجسد مثلها فكرة الخصب والإنجاب، وهنا بدأ ظهور الآلهة الزوجية[١]، ولقد ركزت هذه الدراسات على صراع بين الرجال والنساء، وانتصار الرجال على النساء في هذا الصراع حسب معتقدات الإنسان القديم[٢].

ومن دراسة آثار ما قبل التاريخ لا يوجد دليلٌ ماديٌّ على هذا الرأي، وإنما يبدو أنّ الإنسان قد عرف وظيفة المرأة في الإنجاب و دور الرجل فيه منذ العصر الحجري القديم، وقد ظهرت في بلاد الرافدين تماثيل في زمنٍ مبكرٍ تؤيد ذلك؛ فكانت تماثيل الثور معروفةً برأسٍ ملونٍ للثور المقرن منذ زمن جرمو، ولعل هذا يحمل أهمية الثور الدينية في الشرق الأدنى سواءً أكان الثور الوحشي أم المدجن ، وهذا واضحٌ من التوظيف الكبير للعصر اللاحق لعصر الثور (البوكرانيوم)[٣] في عصر حلف[٤]، كما ظهرت تماثيلٌ لعضو الذكورة من الحجر في (تل الصوان)[٥].

ويتضح مما تقدم أن الإنسان عرف الخصب الفردي وقدسه لكن ديانة الخصبِ بشكلها الجماعي وارتباطها بعوامل الإنتاج ظهرت وتطورت في بلاد الرافدين[٦]، فمع استقراره في مستوطناتٍ زراعيةٍ وانتقاله في مرحلة جمع القوت أخذت الأفكار الدينية تتبلور بصورةٍ أوضح، وذلك لارتباط الطبيعة وتداخلها بصورةٍ أعمق في الحياة اليومية[٧]، لذا مثلت الأرض الزراعية وما يرتبط بها العنصر الأساسي والمحور الذي دارت حوله بدايات الديانة والعبادة الأولى[٨]، فعمل الإنسان آنذاك على تجسيد القوى المهيمنة والمؤثرة في الإنتاج بهيأة آلهة يصورها على وفق الجنس البشري (ذكراً أوأنثى)، فكان هذا هو الحال فيما يخص بدايات الديانة والمعتقدات

---

(١) ثلماستيان عقراوي ، المرأة ودورها ومكانتها ، ص٢٠ –٢١ ؛ينظر :فراس السواح ،لغز عشتار ،ص٨٠–٨١ .

(٢) ينظر :بول فريشاور،الجنس في العالم القديم ،ترجمة فائق دحدوح ،ط٢ ،(الموصل،دار نينوى ،١٩٩٩ )،ص٥٩ .

(٣) التماثيل التي جسدت الثور على قوائمه الأربعة والتي فسرها العلماء على أنها تقديس للثور وعده نظير العنصر الأنثوي ينظر :انطون مورتكات ،تاريخ الشرق ،ص٢٣–٢٤ .

(٤) عادل عبد الله الشيخ ،بدء الزراعة ،ص٣٢ .

(٥) خزعل ألماجدي ،بخور الآلهة ،ط١ ،(عمان ،١٩٩٨ )،ص١١٩ .

(٦) أكرم عبد كسار، "قراءة في نتاجات الإنسان الفنية الأولى"، سومر، مج٣٩، ١٩٨٣ ، ص٣٥ ؛ ينظر: حسين يوسف حازم النجم، اقتصاد القرى الزراعية خلال العصرين الحجريين الحديث والمعدني في العراق،أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب الموصل،٢٠٠٦ ،ص٢٩.

(٧) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات ، ج ١ ، ص ٣٦٦ .

(٨) تقي الدباغ : الثورة الزراعية ، بحث منشور في حضارة العراق،ج١ ، ص ١٢١.

الدينية في بلاد الرافدين ذات العلاقة بالخصب ، فقد انتخب القوم أهم الظواهر الطبيعية التي كان لها أثرٌ قويٌ في حياتهم وجسدوها بعدئذٍ وشخصوها على هيأة آلهة[١]، فعبدوها وتقربوا إليها ابتغاء رضاها واتقاءً لشرها[٢].

أما سبب ظهور الدمى الأنثوية أولاً ثم ظهور النظائر الذكرية؛ فيبدو لنا أن ذلك يعود إلى البيئة التي ظهرت فيها تلك الحضارات الزراعية؛ اذ أن سكان هذه القرى الزراعية قد اعتمدوا كلياً على الزراعة المطرية؛ فمعظمها . ولاسيما الشمالية منها . تقع ضمن منطقةٍ مناخيةٍ واحدةٍ تقريباً، وتتمتع بسقوط أمطارٍ كافيةٍ تجعلها تكتفي بالزراعة الديمية . وإن تباينت مستويات سقوط الإمطار من منطقةٍ لأخرى . فقد كان معدل سقوط الأمطار يرتفع في أعلى مستوياته كلما اتجهنا نحو الجهات الشمالية الشرقية كما في قريتي نمريك[٣] وجرمو، ويقل معدل سقوط الإمطار كلما اتجهنا جنوباً حيث تقل نسبة نجاح الزراعة المطرية فيها[٤]؛ ففي قرية حسونة (مثلاً) يتراوح معدل التساقط السنوي للمطر بين (٢٤ . ٤٠) سم، وهي كميةٌ كافيةٌ لنجاح الزراعة الديمية، أما في قرية الصوان جنوب ذلك الخط؛ فنلاحظ تذبذب مستوى سقوط الإمطار وقلتها، فمعدل السقوط السنوي فيها يبلغ تقريباً (٢٠٠) ملم، وهذا المعدل المطري لا يساعد على قيام زراعةٍ ديميةٍ كافيةٍ؛ لذا فإن الزراعة في تلك المناطق اعتمدت جانباً مساعداً ومكملاً للزراعة الديمية عن طريق الإرواء الاصطناعي المعتمد على نهر دجلة؛ وبذلك كانت العملية الزراعية فيها مزدوجةً[٥].

إن هذه الظروف قد أدت إلى ظهور فكرةٍ دينيةٍ جديدةٍ تعتمد في طقوسها على قدسية العوامل الطبيعية، والنظر إلى الماء على أنه أساس الحياة وأن القوى الطبيعية شريكة بالخصب مع الأرض، وعلى الرغم من أن ما ذكرناه عن نشأة المعتقداتِ الدينية يستند إلى أسبابٍ منطقيةٍ فذلك وحده ليس كافياً ما لم تكن طبيعة الديانة في العصور التاريخية تنسجم ونوعية الأسباب التي شرحناها، ومما يؤكد أن الحقبة التي انتشرت فيها حضارة سامراء قد أدت إلى ظهور أفكارٍ دينيةٍ جديدةٍ اعتمدت على تقديس العوامل الجوية المؤثرة في المطر وفي الزرع والحصاد، وهذه

---

(١) فوزي رشيد ،الديانة ، بحث منشور في حضارة العراق ،(بغداد ،١٩٨٥ ) ،ج١،ص١٤٦ .

(٢) نائل حنون : شخصية الآلهة إلام ، سومر ، ص ٢٢ .

(٣) نمريك : تقع شمالي الموصل بحوالي (٤٥) كم على بعد (٤) كم إلى الغرب من فايدة تبلغ مساحتها حوالي هكتار ونصف بارتفاع نحو (٢٨) م وقد جرت فيها تنقيبات أثرية بولندية ، ينظر : حسين يوسف حازم النجم، اقتصاد القرى الزراعية،ص٤٣ .

(٤) فوزي رشيد ،الديانة ، بحث منشور في حضارة العراق،ص١٤٦ .

(٥) ينظر :. حسين يوسف حازم النجم، اقتصاد القرى الزراعية،ص٤٣ .

الأفكار التي انتقلت إلى القسم الجنوبي من بلاد الرافدين، هي من نوعية الآلهة الرئيسة التي عبدها السومريون[١].

### الآلهة الذكرية الرئيسة في الحضارة الرافدينية وأثرها في الخصب:

وبانتقالنا من عصور ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية تصبح معلوماتنا عن الديانة أكثر وفرة بسبب الوثائق المدونة[٢]، ومن الأفكار الدينية التي نستدل عليها من النصوص المسمارية هي إيمان سكان وادي الرافدين بالقدر وقوته، واعتقادهم بوجود ألواح تتضمن ما مقدرٌ على البشر منذ ولادته، وأن هذه الألواح محفوظة في السماء[٣].

ومن تجربة الإنسان مع الطبيعة وُلدت حالةٌ ذهنيةٌ جاء التعبير عنها بفكرة الكون الذي يضم كل ما في الوجود من الظواهر الطبيعية (الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد)، وقد رأى في الكون نظاماً جامعاً لكل هذه الكيانات في صورة أنظمةٍ اجتماعيةٍ كنظام العائلة والجماعة، أي: الدولة، والحال نفسه ينطبق على الآلهة التي صورها والتي لها النظم الاجتماعية نفسها، وتتجمع الآلهة في مكانٍ يسمى (مجمع الآلهة) لتنظيم الكون والسيطرة عليه، وهي التي تقود عالم الإنسان، وقد سُميت بأسماءٍ مختلفةٍ وعدّت آلهةً[٤].

وما يُلفت الانتباه عند دراسة تلك النصوص التي دونت منذ أواسط الألف الثالث (ق.م) هو ورود عددٍ كبيرٍ من أسماء الآلهة فيها، وقد جمع الأستاذ تولكفست (TALLQVIST) عام ١٩٣٨م (٢٤٠٠) اسمٍ من أسماء هذه الآلهة، وما يزال البحث مستمراً، ومن المتوقع أن تزودنا الرقم الطينية بأسماءٍ أخرى للآلهة غير معروفةٍ بعد[٥].

---

(١) ينظر: فوزي رشيد ،الديانة ، بحث منشور في حضارة العراق، ج١،ص١٤٨ .

(٢) حول هذه النصوص ينظر ، صموئيل نوح كريمر : السومريون تاريخهم وحضارتهم ،ت فيصل الوائلي ،(الكويت، ١٩٧٣)، ص ١٤٧ – ٢٢٣.

(٣) سامي سعيد الأحمد ،الحضارة العراقية في الأديان والمعتقدات ،العراق في موكب الحضارة،الأصالة والتأثير،(بغداد ،١٩٨٨ )،ص١٤٢ .

(٤) هنري فرانكفورت وآخرون ،.ما قبل الفلسفة، ص ١٥٨.

(٥) نقلاً من : جان بوتيرو،الديانة عند البابليين ترجمة وليد الجادر، ط ١، مركز الإنماء الحضاري،( دمشق ٢٠٠٥)، ص ٤٩ .

ولم تكن هذه الآلهة ذات مكانةٍ أو مركزٍ متساوٍ، بل كانت على مراتب تبعاً لأهميتها والوظيفة التي أُسندت إلى كلٍّ منها بعد إتمام عملية خلق الكون[١]، كما أنهم كانوا يرمزون إلى آلهتهم[٢] بأرقامٍ أعلاها (رقم (٦٠) الذي يمثل أعلى مراتب العدد عند السومريين والبابليين وأصغرها رقم(١٠))[٣]، وهذا لا يعني أن سكان وادي الرافدين القدماء عبدوا كل الآلهة مرةً واحدةً؛ فعددٌ كبيرٌ من أسماء الآلهة كانت نعوتاً وصفيةً تُطلق على شخصيةٍ واحدةٍ بقصد التمجيد، وهذا ما نجده في الخمسين اسماً للإله مردوخ[٤]؛ فإن البابليين ترجموا غالبا أو أضافوا تسمية أكدية لأسماءٍ سومرية للآلهة التي اقتبسوها، وهذا ما نجده في اسم الإله (شمس) بالأكدية والإله أوتو بالسومرية وهما اسمان لإلهٍ واحدٍ[٥].

أما العلامة الدالة على الإله عند سكان بلاد الرافدين فهي علامة (دنكر) بالسومرية (dingir)[٦]، و(إيلو) بالأكدية (ilu)[٧]، وتزودنا المعطيات المسمارية بإشاراتٍ ذات أهميةٍ عن تصور السومريين والساميين للآلهة؛ فالعلامة المستعملة في هذه اللفظة للإشارة إلى الإلوهية هي علامة النجمة؛ وهي تشير إلى ما هو فوق أو أعلى، وهي في الواقع تشير إلى الجزء الأعلى من الكون (السماء)، فكانوا يتصورون النموذج الإلهي أساساً مثل أعلى من كل ما هو الأرض، وكثير من الوثائق التي تذكر تسامي الآلهة وتفوقها على البشر[٨].

ومن الضروري معرفة الآلهة الرافدينية الرئيسة وعلاقتها بالخصب قبل معرفة آراء الباحثين أيٍّ من الآلهة تمثل آلهة الخصب الأنثوية أو الذكرية، وهذه الآلهة هي:

---

(١) نائل حنون، عقائد الحياة والموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة (دمشق ٢٠٠٥ )ص ١٥-٢٤ .

(٢) لمعرفة أسماء الإلهة حضارة وادي الرافدين ينظر:
Ricsard L Litke ,ARECONST Ruction OF THE Assyro Babylonian , God Lists ,Printed in the Unted states of AMERICN , p ,243-281 .

(٣) طه باقر وآخرون ،تاريخ العراق ،ج٢،ص١٠ ؛ ينظر :يوسف الحوراني ،البنية الذهنية ،ص١٥٨ .

(٤) وهو اله البابليين الرئيس واهم الآلهة البابلية هو الذي انتصر على تيامة وكنكو في ملحمة الخليقة ينظر:تقي الدباغ ، الفكر الديني ،ص٢٤؛حول ملحمة الخليقة ينظر:الكسندر هيل ،الخليقة البابلية قصة النشوء والتكوين عند قدماء العراقيين وانعكاساتها على العهد القديم ،ترجمة ثامر مهدي محمد ،ط١ ،(بغداد ،٢٠٠١)،ص١٣ وما بعدها .

(٥) جان بوتيرو ،الديانة عند البابليين،ص٥٠ .

(٦) ينظر:
F.A.Ail, A.AIZiebari ,Introuction TO Thestudy of Ancient Languages ,Mousl,p.19 .

(٧) Ibid,p84

(٨) ينظر:جان بوتيرو، بلاد الرافدين ،ص٢٥٧-٢٥٨ .

**اولاً . إله السماوات:**

وهو الإله (أن) بالسومرية (An)، واسمه بالأكدية (أنو) (Anu)، ويُعد هذا الإله خالق السلالة الإلهية، وهو من أهم آلهة الثالوث الأول[١]، ومعنى اسمه: السماء، واللمعان، والشروق، وبدايته التاريخية الأولى غامضة، ولم يرد اسمه في الإثباتات الثمانية عشر من العصر السومري القديم، وقد بدأ تعاظمه من زمن كودية (٢١٤٣ ـ ٢١٢٣ ق.م)، وصارت له بعد ذلك معابد في الوركاء[٢]، وأور[٣]، ونفر[٤]، و سبار[٥] التي سُميت مدينة (أنو)، وكان حيوانه الثور السماوي[٦]، أما أهميته فإنه يأتي على رأس الآلهة السومرية، وكان عندهم مصدر الخير والشر في آنٍ واحدٍ، وذلك لأن السماء تؤثر سلباً وإيجاباً في حياة الناس وفي مواردهم الغذائية[٧]، وهو زوج إلهة الأرض كي (ki)[٨] عند السومريين، واستمرت أهميته عند الأكديين لكن تغيرت زوجته فأصبحت أنتو (Antu)[٩]، وهو الإله الوحيد الذي يُستثنى اسمه من العلامة الدالة على الآلهة التي تُكتب في النصوص المسمارية قبل أسماء الآلهة الأخرى، وهذه المنزلة الرفيعة التي كان يحتلها الإله

---

(١) المصدر نفسه ،ص٢٥٩ ،ينظر :

Jeremy Black and Anthony Green,
Gods,Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia , UNIVERSITY of TEXAS ,p.30 .

(٢) هي المدينة التي اقترن اسمها باكتشاف الكتابة المسمارية وكذلك حمل اسمها عصر مهم في بلاد الرافدين خلال الإلف الرابع قبل الميلاد ينظر نائل حنون :شريعة حمورابي ،ص٢٥٥ .

(٣) مدينة تقع جنوب بلاد الرافدين على بعد ١٥ كم جنوب غرب مدينة الناصرية حاليا ينظر :جان بوتيرو ،بلاد الرافدين ،ص٣٦٣ .

(٤) نفر وتسمى نيبور مدينة مهمة تقع قرب عفك في محافظة القادسية حاليا سكنت منذ الألف السادس قبل الميلاد كانت مركز عبادة الإله انليل استخرجت منها آلاف الوثائق المسمارية المهمة وكانت آخر إعمال التنقيب بها برئاسة الأستاذ م غيبسون والتي كشفت عن تطور في مجال الطب ينظر :م غيبسون نيبور مدينة انليل المقدسة اله سومر واكد الأعلى ترجمة عيد مرعي ،مهد الحضارات ،العدد الأول ،٢٠٠٦،ص١٧-٢٧ .

(٥) من بين أهم المدن القديمة في بلاد الرافدين التي قامت بها الملكية بعد الطوفان سكنت منذ دور الوركاء يعرف موقعها اليوم أبو حبه قريب من مدينة اليوسفية الى جنوب غرب بغداد ينظر: نائل حنون ،شريعة حمورابي،ج٥ ،ص٢٣٣ .

(٦) سامي سعيد الأحمد ،المعتقدات الدينية،ص٢٠ .

(٧) James, E.O, The Worship of Sky God, Comparative Study in Semitic and indo European Religion London – 1963 , p 146

(٨) Manfred Lurker ,The Routledge Dictionary of Gods and Goddesses, Devils and Demons.NewYork .2005 ,p 12.

(٩) ينظر: Jemery Black,Gods Demons,p30-31.

أنو لكونه أبا الآلهة قد جعلته في منأىً عن مشاكل الآلهة والبشر، فأصبح بمرور الزمن مجرد رئيسٍ رمزيٍّ للآلهة، في حين ارتفع شأن إنليل (إله الهواء) وصار منافسا للإله أنو في وقتٍ مبكرٍ من عصر فجر السلالات[١].

ويبدو أن (إنليل) لم يكن منافساً للإله أنو، بل إن سكان بلاد الرافدين كانوا يعدون (أنو) المبدأ الإلهي الأعلى و(إنليل) هو الفعل المتحرك الحاكم للمصائر، بينما لم يكن (مردوخ) سوى وكيل عنهما معاً[٢]، أما رقمه السري في مجمع الإلهة فهو (٦٠) أعلى رقم بين أرقام الآلهة، واهتم به الأكديون أكثر من السومريين وسموه العظيم أبو الآلهة والبشر، وزوجته عندهم (أنتو) التي خلط الجزريون عبادتها مع (عشتار) التي دُعيت ابنته، وتحت زعامة (أنو) خُلق الكون بعد السماء، وهو رب السلطة التي يُمارسها الملوك، ومن اتصال (أنو) و(أنتو) جاء (الأيجيجي)[٣] (آلهة السماء الثانوية الذين يُرمز لهم بنقاطٍ سبعٍ) ، ورمز للإله (أنو) بتاجٍ مقرنٍ موضوعٍ على عرشٍ، وكذلك بالنجم الفهد ولـ(أنو) حاشيةٌ تتألف من تسعة آلهةٍ هم: (إنليل، وبيليت إيلي، وإيا، وسن، وشمش، وإدد، وعشتار[٤]، ونيتورتا، ونركال[٥])، وهم أشبه بعائلةٍ كبيرةٍ له فيهم كبير الوزراء مع موظفين[٦]، وفيما يأتي تفصيل القول في كل واحدٍ منهم:

**ثانياً . إنليل (Enlil)**: ويعني بالسومرية: السيد، فقد عُدّ تجسيداً للهواء أو الفضاء الذي يفصل بين السماوات والأرض[٧]، وأُطلق على (إنليل) أسماء عدةٌ، منها: ملك الآلهة، وسيد الريح، ولُقب

---

(١) طه باقر وآخرون ،تاريخ العراق،ج٢ ،ص١١ ٠

(٢) يوسف الحوراني ،البنية الذهنية ،ص١٦٠ ٠

(٣) استعمل هذا المصطلح في العصر البابلي القديم للدلالة على الآلهة العشرة الكبار في مجمع الإلهة وهم الإله السماء انو –الاله الهواء انليل –اله الحكمة ومياه العمق ايا –الآلهة الأم انتو –الإله القمر سين –آلهة الحب والجنس عشتار – اله العواصف والمطر ادد –اله بابل مردوخ –الإله الشمس شمش – واله الحرب والصيد ننورتا وفي العصر البابلي الوسيط تطورت دلالة اسم ايجيجي لتشمل آلهة السماء جميعا مقابل مصطلح انوناكي الذي يدل على مجمع آلهة السماء والعالم الأسفل في معتقدات سكان بلاد الرافدين ينظر: :نائل حنون، شريعة حمورابي ج٥ ،ص٢٢٠ ٠

(٤)عشتار جاءت في بعض الأحيان ابنته وفي نص بابلي أنها زوجته ينظر:مهند عاشور شناوه، مجمع الآلهة ،ص١٦٧ ينظر؛جان بوتيرو،الديانة ،ص٥٢ ٠

(٥) نركال اله الجحيم واسمه سومري الأصل ويعني سلطة المدينة الكبيرة ينظر :جان بوتيرو ،الديانة ،ص٥٤ ٠

(٦)سامي سعيد الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٢١.، ينظر:

Michael Jordan , Dictionary of Gods and Goddesses, Second Edition,( New York, 2004),p.18

(٧) نائل حنون ،حينما في العلى قصة الخليقة البابلية ،ط١،(دمشق٢٠٠٦ )،ص٢٢٣ ٠

بجبل الريح، ولُقب أيضاً بسيد الأرض، ومركز عبادته (نفر) حيث معبده الآي كور(E-kur)، ومعناه: البيت الجبل، وصُور في الأساطير على أنه إله الخير والليل والنهار العطوف على البشر وإله الخضرة الذي خلق الفأس والمحراث، وأنه نظم الكون، وأنه يحرس ألواح القدر، ويُنفذ أوامر الآلهة، ويُراقب سير القانون، ويُعاقب المذنبين ويُمسكهم بشبكته، وأنه خالق البشر[١]، وعلاقته بالحياة الزراعية وثيقةٌ لأنه يُنزل المطر لإرواء الحقول والبساتين ويهتم بزراعة الحبوب من أجل رخاء البشر، وزوجته (ننليل) من أولاد الإله (إينانا) (القمر) و(نركال) و(ننازو)[٢]، ورمزه السري في مجمع الآلهة هو (٥٠) وهو الرمز السري نفسه للإله (مردوخ)[٣].

**ثالثاً- إنكي (Enki)**: وهو من الآلهة السومرية، ويُقصد به: سيد الأرض الذي يُعبر عن الأرض والمياه العذبة الدالة على الخصوبة التي لها الأثر البالغ والأهمية الكبرى في الإنسان وحياته، وتقابلها بالأكدية أيا (Aia)، ويعني اسمه: بيت الماء، وقد لُقب بأب أو ملك الآلهة، وخالق العالم، وسيد القدر، أما مكان عبادته التقليدي فكان مدينة أريدو، وسُمي معبده إى. أبزا (E.abza)، أي: معبد الأبسو، وهو المحيط المائي لكل الأرض، ويعد سيد العالم والحكمة، وله زوجاتٌ عدةٌ، منها: دام. كال. نونا (Dam.Gal.nunna)، وتعني بالسومرية: زوجة الأمير الكبيرة، وقد فضل البابليون دام. كي. أنا (Dam.Ki.anna) زوجة الأرض والسماء، وسميت بالسومرية ماخ (*Mah*)، وتعني: السامية[٤]، ورقمه السري (٤٠)، وله مقر في السماء، ورمزه رأس الخروف أو المعزى . السمكة، ولهذا صار زيّ كهنته عباءةً طويلةً على شكل سمكة، وكانت تعاويذ طرد الشياطين من صنع كهنة أيا في أريدو[٥].

**رابعاً- إله القمر**: الإله ننار (سين)(Suen.Nannar)، ويشكل مع شمش وأدد الثالوث المقدس الثاني في مجمع آلهة وادي الرافدين وترتبط بهم الآلهة عشتار، وسن اله الكلمة والتقويم والعدل والخضرة والسلطة ، وحيوانه المقدس الثور المجنح[٦].

---

(١) سامي سعيد الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٢١ .

(٢) تقي الدباغ ،الفكر الديني ،ص١٨.، ينظر:

Jemery Black,Gods Demons,p.76

(٣) يوسف الحوراني ،البنية الذهنية،ص١٥٨ .

(٤) جان بوتيرو، الديانة ،ص٥١ ؛ فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى (دمشق ،١٩٩٣ )،ص٢٣ ينظر أيضاً:

Jemery Black,Gods Demons,p.76

(٥) سامي سعيد الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٢٤ .

(٦) ل.دولابورت،بلاد مابين النهرين ،ص١٦١ .

و مرةً تذكر الأساطير أن أب الإله سين هو الإله نابو، وأخرى تذكر أنه إنليل، أما زوجة سين فهي نينكال (السيدة الكبيرة)، وابنتاه شمش وعشتار وولده نوسكو اله النار، وقد صُور سين كرجلٍ مسنٍّ بلحيةٍ متدليةٍ تاج بأربعة قرونٍ يعلوها هلال، وأُطلقت على سين ألقابٌ عدةٌ؛ مثل: زورق السماوات المضيء، وذي البزوغ الساطع، ورب الثور الوحشي (اينسون)، وسيد العرش، وإله النور الجديد، ويرمز لسين بالثور، والأسد[١].

**خامساً:الإله أتو**(Utu) اسمهُ السومري اما اسمه الاكدي شمش اله الشمس، كان عند السومريين إلهاً للحرب ايضاً، أما الاكديون فقد أكدوا صفته كمصدر لكل ضوء، وإدامة الحياة[٢].

**سادساً . الإله (مردوخ) Marduah**: وكان يُسمى (أما أوتوك)، ومعناه: ثور الشمس الصغير، وكان ذا مكانةٍ بسيطة نسبياً، وكما هو معلوم؛ فإن مكانة الإلهة تفاوتت تبعاً لتفاوت المدن السياسية، ونظراً لسيطرة بعض المدن على الأخرى نتيجة الحروب، فقد ترتفع مكانة إله المدينة المنتصرة على إله المدينة المغلوبة أي إن مركز الإلهة المغلوبة يتغير بتغير الظروف السياسية، وكذلك أثره في الخصب واقترانه بإلهة الخصب إينانا عشتار[٣].

**سابعاً الإله آشور (Assur)**: وهو الإله الرئيس عند الأشوريين، واسم آشور جزري الأصل، وبدأت تزداد أهميته منذ زمن سلالة أور الثالثة، ومنذ القرن الثالث عشر أخذ الآشوريين يُشبهون الإله آشور بالإله إنليل؛ فصارت له ألقاب الإله نفسه، وهذه الألقاب هي: الجبل الكبير، وسيد البلدان، وأبو الآلهة، وبذلك ارتفعت مكانة الإله آشور فوق جميع الآلهة، أما زوجته عند الآشوريين فهي عشتار إلهة مدينة آشور الخاصة، وقد عُدّ الإله ننورتا (ابن الإله إنليل) ابناً للإله آشور، وكان آشور هو الإله المقرر للمصير، والإله المقاتل، وإله الحكمة، وكانت زوجته صاربانيت(Sarpanit)[٤].

**ثامناً: الإله دموزي (Dumuzi)** يجب معرفة هذا الإله وعلاقته بالخصب، فهو الإله الثانوي في الحضارة الرافدينية، واسمه السومري دموزي الذي يتألف من مقطعين (دمو) أي: ابن، و(زي) أي: الطيب أو البار، وبذلك يكون معنى الاسم: (الابن البار)، وحين يُكتب كاملاً يكون دموزي أبسو بمعنى الابن البار لأبسو وأبسو مياه العمق تحت سطح الأرض، أما الصيغة الأكدية لاسم

---

(١) ينظر . Jemery Black,Gods Demons,p135

(٢) ينظر :جان بوتيرو ، الديانة ، ص٥٣ .

(٣) هاري ساكز : عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان ،( جامعة الموصل ، ١٩٧٩م) ،ص ٣٩٣ – ٣٩٥.

(٤) فوزي رشيد،الديانة، بحث منشور في حضارة العراق ، ج١ ص١٦٣ .

هذا الإله فهي تموز (Tammuz)[١]، وهو إله راعٍ يُمارس عمله في صيانة الحظائر والإشراف عليها ورعي الأغنام، وله ثلاثة مظاهر مهمة، هي:

١. الإله الراعي.
٢. حبيب إينانا وخطيبها وزوجها.
٣. إله من آلهة العالم الأسفل (عالم الأموات)[٢].

وهناك رأيٌ آخر يعد دموزي شخصيةً تاريخيةً، فبموجب القائمة السومرية للملوك يوجد من بين ملوك سومر وأكد ملكان حملا اسم دموزي، الأول منهما حكم قبل الطوفان، وخُصصت له في الحكم سنواتٌ خياليةٌ تذكر القائمة حكمه في المدينة (بادتبيرا)، وأن حكمه ٣٦ سنةٍ، أما الثاني فإنه أحد ملوك سلالة الوركاء الأولى، إذ تذكر قائمة الملوك أنه حكم في الوركاء الإله دموزي (صياد السمك)، وزمن حكمه كان في حدود (٢٧٠٠ ق.م)، وكان هذا الشخص هو المقصود بالأسطورة[٣].

ويبدو أن هذا الرأي له نظائر في التراث الأدبي الرافديني؛ فمثلاً في ملحمة جلجامش نجد أن شخصية جلجامش التاريخيةً قد مُنحت قدراتٍ أسطوريةٍ، وكذلك الإله دموزي، أي: إنه شخصيةٌ تاريخيةٌ أضيفت إليها صفاتٌ أسطوريةٌ[٤].

### الآلهة الأنثوية الرئيسة في حضارة بلاد الرافدين

**اولاً: إينانا (Inana)**: وهي أهم إلهة أنثوية في الحضارة الرافدينية وهذا هو اسمها عند السومريين، أما البابليون فقد أسموها عشتار (Istar)، ومعنى (إينانا): سيدة السماء، وهي ابنة الإله (آن)، وكذلك ابنة (ننار سين)، وأخت أوتو شمش، وكذلك عدت ابنة (إنليل)، وابنة (إنكي)، وهي إلهة الحب والخصب عند السومريين، و(عشتار)[٥] إلهة الخصب والحب والجنس والحرب لدى الأكديين والبابليين، وظهرت أول مرة في بلاد سومر في جنوب العراق، إما بشخصها

---

(١) نائل حنون ، عقائد الحياة والموت ،ص١١٥ .

(٢) ينظر : نائل حنون ،عقائد الحياة ،ص ١٣٨ ؛ ينظر نائل حنون ، عقائد ما بعد الموت،ص٦٤ .

(٣) فاضل عبد الواحد علي ،عشتار ،ص٣٦ ؛ ينظر :جان بوتيرو ، الديانة ،ص٦٠ ؛ ينظر : Jemery Black,Gods Demons,p7273

(٤) ينظر محمد خليفة حسن أحمد ، الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم دراسة في ملحمة جلجامش ، ط ١،(بغداد،١٩٨٨ ) ،ص ٦٨ .

(٥) عشتار : مازال لفظها باللغة العربية يحمل معنى جنسي فيقال عشرت الناقة بمعنى حملت ينظر :أمام عبد الفاتح أمام ، معجم ديانات وأساطير العالم ،(القاهرة ، د ت )،مج ١ ،ص١٣٣ .

المرسوم على الأختام الأسطوانية وبعض المنحوتات، وإما بالرمز الذي يدل عليها في الخط المسماري وهو النجمة الثامنة التي تشير إلى كوكب الزهرة ألمع الكواكب، وقد سمّاها السومريون (إينانا)، وهي أخت الإلهة (إيرشيكيكال) إلهة العالم السفلي (عالم الأموات)، وهي أعظم الإلهات وأسماهن منزلة، وكان مركز عبادتها الأصليّ مدينة (الوركاء) عاصمة بلاد سومر التي كانت تُعد من أهم المراكز الدينية والحضاريّة لعصورٍ طويلةٍ[١]، أما رقمها السري في مجمع الآلهة العراقية فهو الرقم (١٥)، وسبب اختيار هذا الرقم لالهة اينانا (عشتار)متأت من كلمة سومرية مركبه قوامها كيش(Gesh) وتعني عضو الذكور ،ومن دار(Dar) وتعني شق او قطع وقد كان اله السماء كيش رقمه السري(٦٠) فمن الممكن إن سكان وادي الرافدين توصلوا إلى معرفة إن كيش الذي يمثل عضو الذكر اذا ما شق او جزء أصبح (١٥) [٢]، واسمها الفلكي دلبات، وقد صورت وعلى رأسها تاجٌ تعلوه النجمة، وعلى يسارها سيفٌ، ووصفها الملك حمورابي بإلهة المعارك، وكان لها معابد في كيش، وبابل،ونينوى، وآشور[٣].

**ثانياً: ننخرساك(Ninhursag)**: كانت هذه الإلهة في العصور المبكرة تحتل المركز الثالث في مجمع الآلهة، ويأتي بعدها في المركز الرابع الإله (إنكي)، وهي تُمثل الأرض، ويعني اسمها: سيدة الجبل[٤]، ومن ألقابها: أم البلاد، وبالسومرية: (أماكلاما) أو السيدة الولود أم البلاد، مع أن هذا اللقب قد شاع إطلاقه على الكثير من الإلهات في حضارة وادي الرافدين، ومن الإلهات اللواتي لُقبن بهذا اللقب (نمو،وكشتن . إنا) أخت تموز، وأطلق كذلك على الإلهات أية (زوجة شمش)، وباو إلهة مدينة لكش وكولا إلهة الشفاء وننليل زوجة انليل وصربانيتم زوجة مردوخ[٥]، وكذلك أطلق لقب الإلهة الأم، وسيدة الآلهة على الإلهة (بيليت إيلي) (beletlli)[٦].

---

(١) ناجح المعموري ،أساطير الآلهة في بلاد الرافدين ،ط١ ،(دمشق ،٢٠٠٦ )،ص٦١ ؛ ينظر ايضاً :جان بوتيرو،الديانة البابلية ،ص٥٢،ينظر:

Jemery Black,Gods Demons,p.108-109.

(٢) ينظر مرغريت روثن،علوم البابليين،ت يوسف حبى،(بغداد ،١٩٨٠ )،ص١١٢-١١٣ .

(٣) سامي سعيد الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٢٩،ينظر

Jemery Black,Gods Demons,p.37-38.

(٤) ينظر: صموئيل نوح كريمر : السومريون تاريخهم ،ص ١٦٢ – ١٦٣

(٥) نائل حنون ، عقائد الحياة ، ص٨٩ – ٩٠ ينظر :

Jemery Black,Gods Demons,p. 141.

(٦) Michael Jordan , Dictionary of Gods and Goddesses, Second Edition New York, 2004 .p 48 .

### آراء الباحثين في آلهة الخصب الأنثوية

بعد هذا الاستعراض لأهم الآلهة في بلاد الرافدين يمكن أن نحدد من هو إله الخصب الذكري، ومن هي إلهة الخصب الأنثوية، ونبدأ بتحديد إلهة الخصب الأنثوية، فلقد اختلف الباحثون في الإلهة الأم في مجمع الآلهة في وادي الرافدين، فالدكتور فاضل عبد الواحد يرى أن الإلهة (إينانا) هي الإلهة الأم؛ بدليل أنها كانت تُلقب بالأم في النصوص السومرية ذات العلاقة بعبادتها وطقوسها، وأن المعتقدات والطقوس الخاصة بالخصب التي مارسها إنسان عصور ما قبل التاريخ في وادي الرافدين تتصل اتصالاً وثيقاً بفكرة الإلهة الأم التي عمل لها الإنسان الدمى، ويذكر أن صفات (إينانا) كونها إلهة الخصب بالمعنى الواسع لهذه الكلمة بما في ذلك من مدلولاتٍ على الجنس والتكاثر والحب[١]، أما جان بوتيرو فإنه يفصل بين الإلهة (عشتار) والإلهة (إينانا) يذكر أن (إينانا) هي سيدة السماء وزوجة الإله (أنو)، وهي إلهة الحب، أما (عشتار) السامية فهي إلهةٌ ذات مزاجٍ شرسٍ حتى في حبها، وإن إدخال لقب إلهة الحرب على (إينانا) يستند إلى أصولٍ ساميةٍ وليست سومريةً[٢]، وهناك منافسةٌ مهمةٌ للإلهة (إينانا) على لقب الإلهة الأم وهذه المنافسة هي الإلهة (ننخرساك)[٣]، ويرى الدكتور نائل حنون أن الإلهة (نتخرساك) هي الإلهة الأم، وأن الإلهة (إينانا) ليست هي الإلهة الأم؛ لأنها لم يكن لها أثر في عملية التكوين والخلق، وأن (ننخرساك) هي الإلهة الأم لما لها من أثر في الخلق والإنجاب، أما (إينانا) فهي إلهة الحب والعلاقات الجنسية و(ننخرساك) هي الوحيدة التي انفردت بوظيفة الإلهة الأم[٤].

ويبدو لنا أن الإلهة الأم في معتقدات سكان بلاد الرافدين عُرفت بعدةٍ تسميات؛ مثل: (ننخرساك)، و(ماخ)، و(أنتو)، و(أرورو)، وحتى (إينانا)على الرغم من أن الدكتور نائل حنون يعدُ (ماخ) و(أرورو) و(ننتو) ألقاباً لـ(ننخرساك) [٥].

ومن وظائف الآلهة التي أشرنا إليها نجد أن هذه الآلهة تتداخل في الوظائف، ولم تكن فقط ألقاباً للإلهة (ننخرساك)، وهذه الألقاب ترد كآلهةٍ منفصلةٍ، وفي بعض الأحيان كألقابٍ لـ(إينانا) كما في النص الآتي:

**أنا آنو، السيد الذي يسهر على الآلهة**

**ياعشتار، أرشديهم**

---

(١) ينظر : عشتار ومأساة تموز ، ص ٣١ – ٣٤ .

(٢) الديانة عند البابليين ، ص٥٢ .

(٣) مهند عاشور شناوة ، مجمع الآلهة ، ص ٢٠١ .

(٤) نائل حنون عقائد الحياة والخصب ، ص ٨٦ – ٩٠ .

(٥) ينظر: عقائد الحياة والموت ،ص٨٢-٨٤ .

**تبني دائرة حدودهم، كوني أنت وحدك سيدتهم**

**هلمي، اصعدي حتى عرض ملوكيتي**

**واجلسي في أعلى السموات**

**تجاوباً مع اسمي الخاص**

**ليكن اسمك أنتو السامية**[١]

ومن هذا النص يتضح أن اسم أنتو أُطلق على عشتار (إينانا) كما أن اسم (أرورو) أطلق على (إينانا) كما في النص الآتي:

**ألست الملكة الجليلة أرورو**

**السيدة إينانا**

**سيدة البيت سلطانة الآلهة**[٢]

ومن هذه النصوص يترجح لنا أن الإلهة الأم في المعتقدات الرافدينية هي وظيفة شغلتها عدة إلهات منهن (إينانا) و(ننخرساك)، وذلك لأن الفكر الرافديني الديني عدّ الإلهة الأم تجسيداً للمرأة والأرض، وان للأرض والمرأة أكثر من وظيفة؛ منها: الإنتاج الذي لا يمكن أن يحدث بدون تلاقحٍ مع عوامل أخرى، كالمرأة مع الرجل، والأرض مع الظواهر الطبيعية الأخرى.

بقي علينا أن نعرف من هو إله الخصب، و ماهو دور الآلهة اينانا بالخصب.

## آراء الباحثين في آلهة الخصب الذكرية

من الباحثين في تحديد إله الخصب الذكري هو أنطون مورتكات[٣]، وهو يعد تموز إله الخصب، ويؤيد هذا الرأي الأستاذ صموئيل نوح كريمر[٤]، وعلى هذا الرأي أيضاً الدكتور فاضل عبد الواحد علي[٥]، وقد خالف هذا الرأي الدكتور نائل حنون[٦] الذي يرجح أن (إنكي) هو إله الخصب.

---

(١) رينيه لابات،المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين مختارات من النصوص البابلية ،ترجمة الأب البير ابونا و وليد الجادر ،(بغداد، ١٩٨٨ )ص٢٩١ .

(٢) رينيه لابات ، المعتقدات الدينية ،ص٢٩٧ .

(٣) ينظر :تاريخ الشرق الأدنى ،ص٣٩ .

(٤) ينظر :طقوس الجنس المقدس عند السومريين ، ترجمة نهاد خياطة ،ط٤ ،(دمشق ،٢٠٠٦ )،ص٩١٩٢ .

(٥) عشتار ومأساة تموز ،ص٣٥ ؛ ينظر أيضاً : فاضل عبد الواحد علي أعراس الإله تموز وماساته في طقوس الزواج المقدس والحزن الجماعي، سومر ،مج ١٩٧٢،٢٨ ،ج١،ص٥٣-٥٤ .

(٦) عقائد الحياة والموت ،ص١٠٢ - ١٠٧.

وقبل أن نرجح من هو إله الخصب ينبغي لنا أن نعرف رمزية الثور في الفكر الرافديني الذي يرمز إلى الآلهة الذكرية في أحيانٍ كثيرةٍ، وهذه الرمزية متغيرةٌ كما في النصوص التي تدل على الخصب والنمو والقوة ؛ كما في النص الآتي:

**عندما رفع الأب إنكي عينه على نهر الفرات**

**وقف بخيلاءٍ كالثور الهائج**

**رفع قضيبه وقذف المني**

**فملأ دجلة بالماء الرقراق**(١)

ويدل رمز الثور . أيضاً. على القوةِ التدميرية، وليس فقط على قوة الخصب، كما في ملحمة جلجامش(٢)، وكذلك يرمز للثور بالقحط كما في النصوص(٣)، لكن كل هذه النصوص وحتى عقائد ما قبل التاريخ تتفق على أن الثور رمز الآلهة الذكرية، وهنا نذكر قول (ثوركلد جاكوبسن): "كان على الإنسان إذا أراد فهم الطبيعة، أي فهم الظواهر العديدة المتباينة أن يفهم الشخصيات الكامنة في هذه الظواهر، وأن يعرف طبائعها واتجاه إرادتها ومدى قوتها، وذلك أشبه بفهم الناس الآخرين ومعرفة طبائعهم وإرادتهم ومدى قوتهم ونفوذهم"(٤).

ومن ذلك نرجح أن الآلهة الذكرية تُمثل الظواهر الطبيعية التي تتضافر مع الأرض من أجل الإنتاج، كما تُمثل قوة الذكورة التي مع الأنثى تؤدي الجنس، وما ظهور مجمع الآلهة إلا تطورٌ فكريٌّ لمدارك الإنسان ومعرفته أن للظواهر الطبيعية مع الأرض أثراً مهماً للإنتاج.

وبالاعتماد على تفسير الدكتور (ثوركلد جاكوبسن) أعلاه يُمكن القول: إنه لا يُوجد إله خصبٍ محددٍ في الحضارة الرافدينية، وكما أن أغلب الرجال لهم علاقاتٌ جنسيةٌ مع اختلافهم بقوة هذه العلاقة، كذلك أغلب الآلهة الذكرية؛ فإن لها علاقاتٍ جنسيةٍ تختلف باختلاف هذه الآلهة واختلاف وظائفها.

**دور الآلهة (اينانا –عشتار) بالخصب**

ولكي نعرف أثر (إينانا) المميز بالخصب ينبغي لنا أن نعرف أن الكون عند سكان بلاد الرافدين كان يضم كل ما في الوجود؛ بل كل ما يعد شيئاً كالبشر، والحيوانات، والجمادات، والظواهر الطبيعية، وكذلك الأفكار المجردة كالألوهية، والعدالة، والاستقامة، والدائرة، والخصوبة،

---

(١) صموئيل نوح كريمر، طقوس الجنس ،ص٨٢ .

(٢) ينظر: محمد خليفة حسن احمد ،الأسطورة والتاريخ في التراث،ص٦٤ .

(٣) Manfred Lurker ,The Routledge Dictionary of Gods p.2 .

(٤) ما قبل الفلسفة، ص١٥٨.

وأن كل هذه الكائنات كما أشرنا أعضاء في الدولة الكونية، ولم تكن على مستوىً واحدٍ من القوة والأهمية[١].

وبما أن الصفات التي نسبها الفكر القديم لقوى الطبيعة لم تكن خيالاتٍ بعيدةً عن الواقع الخاضع للملاحظة والتجربة الإنسانية، بل شملت الواقع أولاً، وامتدت إلى الطرف الآخر المثالي منه[٢].

وفي ضوء ذلك يمكن القول: إن الجنس هو فكرةٌ مجردةٌ تحتاج إلى تطبيقٍ بين بني البشر، وكذلك في الطبيعة، وإن (إينانا) هي آلهة هذه الفكرة والمسؤولة عنها؛ فهي إلهة الجنس والعلاقات الجنسية التي تؤدي إلى الخصب وزيادة الإنتاج[٣]، ولأهمية ذلك كانت (إينانا) أهم الإلهات في بلاد وادي الرافدين؛ فهي القوة الإلهية المحركة للرغبة الجنسية بين البشر، وكذلك بين الأرض التي هي الإلهة الأم وبين عوامل الطبيعة الأخرى التي تُمثلها الآلهة الذكرية المختلفة، ومن الممكن أن يستغني الإنسان عن أي إلهٍ إلا (إينانا)؛ لأنها تُمثل القوة الدافعة للخصب والعلاقات الجنسية للطبيعة والإنسان.

---

(١) هنري فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة،ص ١٥٨ ؛ينظر جفري بارندر ،المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ،عالم المعرفة ،(الكويت ،١٩٩٣ )،ص١٣ ٠

(٢) يوسف الحوراني ،البنية الذهنية،ص٢٣٦ ٠

(٣) ينظر:

Michael Jordan , Dictionary of Gods and Goddesses, Second Edition, ( New York, 2004) . p .137 .

## آلهة الخصب في حضارة وادي النيل

### مدخل إلى ديانة وادي النيل

لقد عُرف عن سكان وادي النيل[١] أنهم شعبٌ متدينٌ، فهم يعتقدون أن الحياة الأرضية مجرد مرحلة انتقاليةٍ، وكان همهم الوحيد هو الحياة الآجلة، أي: حياة بعد الموت، ولم تكن عندهم فسحة الزمن التي تفصل بين الميلاد والموت شيئاً يذكر أمام الحياة المستقبلية للكائن البشري، وكانت آثار مقابرهم دليلاً على هذا الاعتقاد[٢]، ولم يكن لديانة سكان وادي النيل خصائص مميزة تنسب إلى مذهبٍ معينٍ من مذاهب عبادة الحياة، أو الطبيعة، أو مذهب الحلول[٣]، بل كانت تجمع بين هذه المظاهر جميعاً وتعارضت أحياناً بعضها مع بعضٍ، وقد حمل الخوف من العوامل البيئية سكان وادي النيل . كما حملهم الحب الذي يرتبط بالخصب والخلود . على زيادة عدد أصناف آلهتهم وأصولها[٤].

ومن الصعب معرفة ظروف وخصائص الحياة الثقافية والفكرية والعقائدية والروحية لقدماء سكان وادي النيل؛ فلم تكن ديانتهم ثابتةً دائماً، بل تأثرت بمعتقداتٍ وافدةٍ أثرت في تلك الديانة[٥]، كما أن الظروف السياسية[٦] قد أثرت في الدين بشكل كبير جداً، وعلى غير ذلك قادت هذه الظروف إلى تغير الروح والشكل الخارجي للديانة، فيما بقيت أسسها ثابتةً دون

---

(١) من المخلفات الأثرية نستدل على وجود عناصر مختلفة من الأجناس البشرية كانت تعيش في وادي النيل وكانت من أهم هذه الأجناس الشعب الحامي من جنس حوض البحر المتوسط كانت أكثر العناصر نشاطاً في وادي النيل ويبدو إن جنساً له صفات زنجية قوي التكوين والبنية كان قد دخل إلى وادي النيل وكذلك هجرات لأقوام من جنوب غرب أسيا كل الفصائل كونت سكان وادي النيل ينظر : مختار السويفي ،أم الحضارات ، ص ١٩ ٠

(٢) جمال المرزوقي ،الفكر الشرقي ،ص٦٩ ٠

(٣) مذهب الحلول أو الوجود: وهو الإتحاد بالإله أو إتحاد الإله بالمخلوقات وحلوله فيها ينظر : جوتفريد فيلهمم ليبنتز ،المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي ،ترجمة عبد الغفار مكاوي،(القاهرة ،١٩٧٨ )،ص٥٣-٥٤ ٠

(٤) واليس بدج ،الديانة الفرعونية أفكار المصريين عن الحياة الأخرى ،ترجمة نهاد خياطة ،ط٣ ،(دمشق ،٢٠٠٠ )، ،ص٩٥-٩٦ ٠

(٥) سيتون لويد، فن الشرق الأدنى القديم ،ت محمد درويش،(بغداد،١٩٨٨)،ص٣٤ ٠

(٦) إن النظام السياسي في مصر ارتكز على فكرة الملكية الإلهية مما أدى إلى انعكاس الوضع السياسي على الدين ينظر :انتصار ناجي عبد زنكي ،الأوضاع السياسية والإدارية في مصر ،ص٨٨ ٠

تغييرٍ[١]، ولم يكن هناك معتقدٌ دينيٌ واحدٌ، بل معتقداتٌ عدةٌ وآلهة متنوعة، وهي التعددية التي انعكست في تنوع ِالتكوين السياسي لحضارة وادي النيل زمن تكوين هذه الآلهة، فهي مقسمة أجزاءً عدةً، ولكلٍ منها إلهٌ ونظامٌ مختلف عن غيره[٢].

لقد تصور سكان وادي النيل القدماء أن الآلهة تتجسد بإشكالٍ وهيئاتٍ مختلفةٍ، فتحل في أجسام الحيوانات وفي الظواهر الطبيعية على اختلاف أنواعها؛ ولذا؛ عبدوا أنواعاً مختلفةً من الحيوانات والأشجار، والأحجار، والظواهر الكونية، وقد امتدت طقوس بعض هذه الإلهة إلى عهود السلالات[٣].

أما عدد الآلهة التي ذُكرت أسماؤها في النصوص القديمة فإنه يتراوح ما بين ألفين إلى ثلاثة آلاف إلهٍ؛ فقد كان لكل مدينةٍ، أو قريةٍ، أو مزرعةٍ، أو مجموعة مساكنٍ إلهٌ محليٌ، وكان لبعضها أكثر من إلهٍ واحدٍ، وقد افترض المصري القديم أن الآلهة تأكل وتشرب وتلبس[٤]، وهذا ما يطلق عليه اسم مبدأ الحيوية أو التشبيه، إلا أنه أصبح من المستحيل إعطاء قائمةٍ بالآلهة المصرية فيما بعد، لأن عددها استمر في التزايد؛ مما جعل الاتفاق عليه أمراً من قبيل المحال، ولاسيما أن الكثير من الآلهة قد اتخذت أشكال حيواناتٍ مختلفةٍ[٥].

وأقدم الآثار التي تدل على المعتقدات الدينية في وادي النيل جاءت من مستوطنات القرى الزراعية في العصر الحجري الحديث (٥٠٠٠ . ٤٠٠٠ ق.م)[٦]، إذ لم يعثر على دليلٍ من العصر الحجري القديم له علاقةٌ بالدين[٧]، وقد كشفت التنقيبات أن أول مكانٍ وجدتْ فيه

---

(١) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني لبلاد وادي النيل منذ عصر التأسيس وحتى عام ٣٣٢ق٠م ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ،جامعة بغداد كلية الآداب ،٢٠٠٢م ،ص٤٧ ٠

(٢ ) المصدر والصفحة نفسهما ٠

(٣ ) ينظر :محمد أبو المحاسن عصفور،معالم حضارات الشرق ،ص٦٥-٦٦ ٠

(٤ ) واليس بودج ، الساكنون على النيل ، ت ، نوري محمد حسين ، ط١ (بغداد ، ١٩٨٩) ، ص٢٠٢ .

(٥ ) كفرس النهر ، والتمساح ، والأسد ، والثور ، والضفدعة ، والكبش ، والأرنب ، والفهد ، والقطة ، وابن آوى ، والذئب ، والقنفذ ، والطيور أمثال : النسر ، والصقور ، والسنونو ، والإوز . إضافة إلى الزواحف، مثل : السلحفاة ، والعقرب ، والأفاعي ، والخنفساء ، والحشرات ذات الأرجل الطويلة ، والجرادة أضف إليها إلى السمك ينظر : المصدر نفسه ، ص١٥٩-١٦٠ .

(٦ ) ينظر:بول فريشاور، الجنس ،ص١١٥ ٠

(٧ ) تقي الدباغ ،الفكر الديني ،ص٥٨ ٠

قبورٌ فيها جثث موتى في وضع القرفصاء كالجنين في رحم أمه كان قرية (مرمدة و بني سلامة)[١]، وقد وُجدت مع الجثث جماجم حيواناتٍ[٢] وحبوبٍ زراعيةٍ[٣] وآلاتٍ حجريةٍ، وتدل هذه البقايا الأثرية على نوعٍ من الإيمان بحياةٍ أخرى للإنسان[٤].

وكانت الزراعة كشفاً جديداً في حياة الإنسان، فقد ترتب عليها انقلابٌ في طرق المعيشة؛ فأصبح الإنسان منتجاً ومدخراً، بعد أن كان مستهلكاً؛ وهكذا نقلت الزراعة سكان وادي النيل إلى حياة الاستقرار، فتطورت مفاهيم العبادة والألوهية مع هذا الاستقرار، وتوسعت مدارك السكان[٥].

أما تماثيل الإلهة الأم[٦] فقد عُثر على الكثير منها في وادي النيل[٧]، وأشهر المواقع التي عثر فيها على هذه التماثيل كانت في (مرمدة) و(بني سلامة) و(البداري)[٨] ونقادة[٩] الأولى و الثانية، الثانية، كما عثر على بعض هذه التماثيل مصنوعةً من العاج ومدفونةً مع الأموات، وأول هذه التماثيل التي عُثر عليها كان في (البداري)، وهناك مقابرٌ عُثر فيها على حيواناتٍ؛ كالثيران، والغزلان، والماعز، والكلاب، وغيرها من الحيوانات التي من المحتمل أن تكون قد عُبدت في هذه القرى[١٠].

(١) تقع هذه القرية جنوب الدلتا على بعد ٥١ كم شمال غرب القاهرة ينظر : إبراهيم يوسف الشتله،جذور الحضارة المصرية(القاهرة ،د ت )،ص١٩ ٠

(٢) حول طقوس دفن الحيوانات في وادي النيل ينظر: Barbara S Lesko ,The Great Goddesses of Egypt ,University of Oklahoma .p .8 .

(٣) إن دخول الزراعة إلى وادي النيل جاء من جنوب غرب أسيا حسب الأدلة على الأماكن التي تنمو فيها النباتات الزراعية بشكل طبيعي ينظر:هاوكس ول . وولي، ثلاثة فصول مترجمة من كتاب ،ما قبل التاريخ وبدايات المدنية ،ترجمة بسري الجواهري ،(القاهرة ،د ت )،ص٤٥ ٠ وعن القرى الزراعية في وادي النيل ينظر:سيريل الدريد ،الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ،ترجمة مختار السويفي ،ط٣،(القاهرة،١٩٩٦ )،ص٤٤ -٤٨ ٠

(٤) نائل حنون :عقائد ما بعد الموت ،ص٢٩-٣٠ ٠

(٥) وليم نظير،الثروة النباتية عند قدماء المصريين ،(القاهرة ،١٩٧٠ )،ص٣٤ ٠

(٦) حول تماثيل الآلهة الأم في وادي النيل ينظر:

Barbara S Lesko ,The Great Goddesses.p .15

(٧) ينظر :عباس علي عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة في الديانة المصرية القديمة ،أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية التربية،القادسية ،٢٠٠٤،ص١٩ ٠

(٨) البداري قرية من قرى عصور ما قبل التاريخ وهي أقدم موقع استخدم أهلها النحاس تقع في محافظة أسيوط الحالية ينظر: إبراهيم يوسف الشتله،جذور الحضارة،ص٤٤ ٠

(٩) نقادة موقع اثري تقع إطلاله في محافظة قنا الحالية إلى شمال الأقصر بحدود ٣٠ كم ووجد فيه العديد من الآثار المهمة منها رسوم لقوارب عليها علامات تدل على أقاليم وادي النيل ينظر :المصدر نفسه ،ص٦٠-٦٥

(١٠) سيريل الدريد،الحضارة المصرية ،ص٥٨ ٠

ويبدو أن عبادة الحيوانات[١] انتقلت من عصور قبل التاريخ إلى العصور التاريخية، وقد جسدت قوة الخصوبة؛ كما في الثور والكبش الذين رأى فيهما سكان وادي النيل القدرة على الإخصاب، واعتقدوا أن طبيعيةً سماويةً حلت فيهما، وهي الروح الإلهية الخالقة[٢]، وعلى ذلك عُدّ الثور ممثلاً للشمس المتجددة كل يومٍ[٣].

ومن الأدلة على الصلة الوثيقة بين الديانة والآلهة في وادي النيل وبين الزراعة هو أن رمز الألوهية في وادي النيل هو الفأس الذي أطلق عليه كلمة (نتر) (Neter) للدلالة على مفردة الإله (God)[٤].

وقد أطلق سكان وادي النيل القدماء هذه الكلمة على كل الأشياء التي كانوا يعتقدون أنها تمتلك قدراتٍ خارقةٍ للطبيعة تفوق قدرات البشر، وتشابه هذه العلامة في الدلالة علامة (دنكر) السومرية ولفظة (ال) الجزرية، فإن جميع أسماء الآلهة تُسبق بهذه العلامات في كلٍّ من: وادي النيل، وبلاد الرافدين، والشام[٥].

وتُعرّف كلمة (نتر) بأنها التجديد؛ بمعنى أن يكون الإله هو الوحيد الذي لديه القدرة على تجديد نفسه بصفه دائمة، وتُعرّف كذلك بأنها (القوة الفاعلة التي تُنتج الأشياء وتخلقها وفق أدوارٍ منتظمةٍ مما يمنحها حياةً جديدةً، ويعيد إليها حيوية الشباب)[٦].

(١) حول عبادة الحيوان وأصولها ينظر: J.E.CIRLOT ,Dictionary of Symbols ,Second Edition ,British Library ,2001 .p10 .

(٢) ينظر :ايناس بهي الدين عبد المنعم ،المعبودات المصرية القديمة التي اتخذت هيئة الكبش منذ بداية العصور التاريخية وحتى نهاية الدولة الحديثة ،رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآثار،القاهرة،٢٠٠٢ ،ص١٥-١٦ ؛ينظر أيضاً : Barbara S Lesko ,The Great Goddesses.p .18 .

(٣) تصور سكان وادي النيل الشمس على هيأة عجل ذهبي تلده أمه بقرة السماء في الصباح ويكبر في النهار حتى يصبح ثور أطلقوا عليه اسم (كامنفيس ثور أمه) لأنه يلقح أمه البقرة حتى تلد في اليوم التالي شمساً جديدة ينظر:عباس الحسيني ،مجتمع الإلهة ،ص٦٠ .

(٤) واليس بدج،الديانة الفرعونية ،ص١٦٠

(٥) عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة ،ص٩٥ .

(٦) واليس بدج،الديانة الفرعونية ،ص١٧ .

## الظواهر التي أثرت في آلهة الخصب في وادي النيل

قبل أن نتطرق إلى آلهة الخصب يجب أن نُحدد أهم الظواهر التي أثرت في سكان وادي النيل، فقد كان من الطبيعي في بلدٍ زراعيٍّ مثل وادي النيل أن تحتل الظواهر الطبيعية التي تُؤثر في الزراعة والخصب مكانةً مهمةً في الديانة[١].

**أولاً . الشمس:** فهي لا تكاد تغرب عن عين الوادي حتى تعود إلى الظهور من شرقه، إذا ما صار الصباح[٢]، وتقطع السماء نهاراً وتعود لتغيب في الغرب مساءً، وقد كان لذلك أهميةٌ في وادي النيل حيث يتطلب منا التركيز فيه، لأن ميلاد الشمس ورحلتها وموتها كل يومٍ تمثل معالم مؤثرةً في حياة إنسان وادي النيل وفكره، ففي بلد يكاد يكون المطر مفقوداً فيه يُصبح لدورة الشمس اليومية أهمية عظمى، وهناك من يظن أن إنسان وادي النيل يعاني من شدة حرارة الشمس، وأنه في حاجة إلى الظل، لكنه كان يكره الظلام والبرد، فيضطجع سعيداً بطلوع الشمس من جديدٍ، فقد وجد أن الشمس هي ينبوع حياته، ففي الليل تكون الدنيا في ظلامٍ كأنها ميتةٌ[٣]؛ لذلك أوجد سكان وادي النيل إلهة ترتبط بالشمس وتقربوا إليها لما لهذه الظاهرة من أثر في حياتهم.

**ثانياً . النيل:** هذا النهر؛ ما يكاد ماؤه ينخفض حتى يعود فياضاً فيعم الخير[٤]، لقد كان نهر النيل مصدراً واضحا للحياة عند المصريين القدماء مما جعلهم يضعون له مكانةً مميزةً في نظام الأشياء . وإن كانت منزلته أدنى من منزلة الشمس . فقد كان له دورة حياة وموت أيضاً على قاعدةٍ سنويةٍ تُشبه ميلاد وموت الشمس كل يومٍ[٥]، ففي الصيف حين تتقلص مياه النهر بين ضفتيه المتقلصتين، تجف الحقول التي بجواره وتتفتت تراباً تنشره الرياح حول البادية، فإذا لم يرتفع الماء آلياً من النهر أو من آبارٍ عميقةٍ، يتوقف الزرع عن النمو وتضعف الناس والمواشي وتهزل، وعندما تكون الحياة كذلك تظهر في النيل حركةٌ من التغير؛ فترتفع مياهه في الصيف ببطءٍ وبدفعٍ متسارعٍ، وتطغى على الأراضي المنبسطة الواسعة التي على الجانبين، فتغمر الأرض مساحاتٌ واسعةٌ من الماء الجاري الممزوج بالطين، وبعد أن يصل النيل إلى ذروته وتنحسر المياه تظهر المساحات المغمورة مرتفعاتٍ صغيرةٍ من التربة، وقد انتعشت بطينٍ جديدٍ خصبٍ ويزول الكسل عند الناس ويخوضون نحو الطين السميك ويبدؤون متحمسين بزراعة

---

(١) فاضل عبد الواحد علي وعامر سليمان ،عادات وتقاليد الشعوب،ص٢٣٢ .
(٢) سيرج سونيرون، كهان مصر القديمة ،ترجمة زينب الكردي ،(القاهرة ،١٩٧٥ )،ص٣٥ .
(٣) هنري فرانكفورت وآخرون : ما قبل الفلسفة ،ص ٤٧-٤٨ .
(٤) ينظر : السيد الحسيني ،نهر النيل في مصر منحنياته وجزره ،(القاهرة ،١٩٩١ )،ص٢٠ .
(٥) نور حكمت خضوري ،فلسفة الحياة ما بعد الموت بالأساطير القديمة ،رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب ،بغداد ،٢٠٠٥ ،ص٩٩ .

الموسم الجديد؛ بعد أن عادت الحياة إلى وادي النيل ثانية[١].لم يكتف إنسان وادي النيل بهذين الدافعين اللذين ولدا التفكير بالخصب فظهر مؤثر ثالث هو:

**ثالثاًالخضرة:** فهناك دورة الإنبات، ولكي ندرك كيف توصل إنسان وادي النيل إلى هذا الدافع، لا بد لنا من أن نعود إلى الزمن الذي كان إنسان وادي النيل يعيش فيه صياداً في العصر الحجري وكيف غير طريقة حياته وأصبح يزرع الأرض ويحصل على لقمة عيشه؛ فلا شك في أن الزرع الأخضر الذي نبت من الأرض السوداء قد لفت نظره نحو التفكير في أصل الحياة، وكان لهذا التغير من الصيد إلى الزراعة أثره في عقيدتهم الدينية[٢]؛ فقد وجد المزارع أن تلك الحبة التي زرعها نبتت واخضرت وآتت ثمارها، ثم زرع من تلك الثمار حبةً أخرى؛ فتكررت معجزة الحياة، وفكر في تلك الحياة المتكررة التي لا يُمكن أن تموت موتاً نهائياً، وكان السكان يرون هذه النباتات الخضراء تذبل سنوياً وتبدو كأنها ماتت وفارقت الحياة ولكنها كانت تعود مرةً ثانيةً إلى الحياة بعد الموت بسبب الخصب[٣].

لقد تصور إنسان وادي النيل آنذاك أن جميع هذه الأشياء التي لا تفنى وتبقى حية تحمل قوىً ما ورائية خفية تتسبب بإحيائها، لذلك عدوها آلهةً؛ فجعلوا للشمس إلهاً أسموه (رع)[٤]، وجعلوا للنيل إلهاً أسموه (حابي)، وللحياة النباتية أيضاً جعلوا إلهاً أطلقوا عليه اسم (أوزير) واستمدوا من أسطورته[٥] دليلاً على الخلود والبعث، وهو لايكاد يُغادر سلطان الدنيا إلا ليستقر على عرش الخلود.

وبعد هذا العرض لأهم العوامل المؤثرة في عقيدة وفكر سكان وادي النيل القدماء يُمكن الدخول في موضوع البحث المتمثل بآلهة الخصب:

### آلهة الخصب والعقيدة الشمسية:

**أولاً - رع:** وهو إله الشمس وأشهر الآلهة الذين حاول الكهنة في حضارة وادي النيل أن يقربوا بها إلى أذهان العامة فكرة الخالق العظيم[٦]، ومركز عبادته في هليوبوليس (Heliopolis) أي:

(١) هنري فرانكفورت وآخرون : ما قبل الفلسفة ، ص ٤٧-٤٩.
(٢) ينظر :دومنيك فالبيل،الناس والحياة في مصر القديمة،ترجمة ماهر جويجاتي، ط٢،(القاهرة ،٢٠٠١ )،ص٦٩-٧٠ .
(٣) نور حكمت خضوري ،فلسفة الحياة،ص١٠٠ .
(٤) مانفرد لوركر،معجم المعبودات ، ص١٤١ .
(٥) لمعرفة تفاصيل أسطورة أوزير ينظر : روبرت ارموار،آلهة مصر القديمة وأساطيرها ،ترجمة مروة الفقي ،ط١ ،(القاهرة ،٢٠٠٥ )،ص٢٣ .
(٦) سليمان مظهر ،أساطير من الشرق ،ط١ ،(القاهرة ،٢٠٠٠ )،ص١٤ .

مدينة الشمس، وقد ارتبط بالإله حورس[١] (شمس الصباح)، وكذلك ائتلف (رع) والإله الخالق (أتوم)، فقد أصبح تجسيداً للشمس الغاربة، وهو من الأسرة الرابعة، وقد اتخذ ملوك وادي النيل لقب ابن رع، وعندما احتل آمون[٢] المكانة الأولى في مجتمع الآلهة في عصر الدولة الوسطى لم يختفِ رع، وإنما عزز المعبودان مركزهما باندماجهم باسم آمون رع[٣].

إن تقديس الشمس عند سكان وادي النيل لم يكن لسببٍ واحدٍ بل كان لأسبابٍ عدةٍ مختلفة، فتقديسها لدى سكان الهضاب متأتٍ من خوفٍ ورهبةٍ منها، وتقديراً لجبروتها، أما سكان الأراضي الزراعية الخصبة فقد قدسوها لأنهم ظنوا بها الخير الوافر بسبب تأثيرها في الزرع ودفئها ونفعها لهم، وكذلك قدسها أهل الفكر لجبروتها يلزم نجوم الليل الاختفاء كلما أشرقت ويجبر جماعات البشر والحيوانات على السبات كلما غابت[٤]، وكذلك كان إله الشمس حليفاً لفرعون وحامياً له، فتذكر النصوص (أنه يُمكن له مصر العليا، ويمكن له مصر السفلى، ويهدم له معاقل آسيا، ويخضع له كل الناس؛ وبذلك انتقل نشاط إله الشمس من دنيا المادة إلى الممالك الإنسانية[٥].

أما في رسوم بردية آني (Ani) فإن الإله رع يُصور على هيأة إنسانٍ برأس الصقر على رأسه قرص الشمس راكباً في مركبته وفي بردية حونفر (Hunefer) صُور (رع) كلياً بجسد الصقر يحمل قرص الشمس وتحيطه الكوبرا[٦].

ويُعد الإله (رع) من الآلهة الخالقة، وقد ذُكر في أساطير كثيرةٍ، فإحدى الترنيمات في كتاب الموتى تقول:

**أنت رب السماوات**

---

(١) حورس احد أهم الآلهة يرمز له الصقر ويندمج مع رع ينظر: Manfred Lurker ,The Routledge Dictionary of Gods p32.

(٢) أمون اله طيبة احتل في عهد امنحوتب الثالث المكان الأول في مجتمع الإلهة عند الدولة وعندما جاء منحوتب الرابع اخناتون عام ١٣٧٥ ق م اضطهد كهنة امون وعبد اله الشمس القديم اتون واجبر الكهنة على عبادته ينظر :جمال المرزوقي ،الفكر الشرقي ،ص٨٩ .

(٣) مانفرد لوركر ،معجم المعبودات ،ص١٤١ .

(٤) عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة ،ص٧ .

(٥)جيمس هنري بريستد ،فجر الضمير ،ترجمة سليم حسن ،(القاهرة ،د ت )،ص٤٧ .

(٦) روبرت ارموار،آلهة مصر ص ٢٢-٢٣ .

**أنت رب الأرض، أنت خالق من سكنوا القمة ومن سكنوا الأعماق**

**أنت الذي وهبت الحياة لكل ما وُجد**

**أنت تُسافر عبر السماء بقلبٍ يملؤه السرور**

ومن هذه النصوص يظهر تعدد الوظائف التي يختص بها الإله في وادي النيل تبعاً للعمل الذي يقوم به[١].

وصُور (رع) كذلك على هيأة عجلٍ ذهبيٍّ تلده أمه . التي هي بقرة السماء . في الصباح ويكبر في النهار حتى يصير ثوراً[٢]، وكان يُحيط نفسه بأزهار اللوتس[٣]، وقد أنجب . بلا شريكٍ . الزوجين الإلهيين، وهما: (شو)، و(تفنوت)[٤].

**ثانياً . شو (shu): وهذا** الاسم مشتقٌ من فعلٍ يُفيد معنى الرفع، ويُمكن ترجمته بـ(الذي يُمسك السماء أن تقع فناء على أوامر (رع)، فقد فعل (شو) بقوة الزوجيين الآخرين (جيب: الأرض)، و(نوت: السماء) رافعاً (نوت) إلى الأعلى، وخلف (شو) أباه على حكم الأرض ثاني فرعون إلهي بعد أن ارتفع (رع) إلى السماء جراء نكران البشر وجحودهم، وقد سأم (شو) من البشر فارتفع كذلك إلى الأعلى تاركاً الحكم لابنة (جب)[٥]، وقد جسد (شو) الهواء وصُور برأس أسدٍ[٦].

وفي نص من النصوص القديمة يدّعي (شو) أنه قائد كل الآلهة، وأنه الأقوى والأعظم في الفريق المقدس، وكان يرى نفسه شريكاً ومساعداً لـ(رع)، ويُشبه النسيم الذي يُعلن مقدم الشمس[٧].

(١) نقلاً من روبرت ارموار ،الهة مصر ،ص٢١ .

(٢) خالد عبد الملك الحميري ،الفكر الديني ص٦٤ .

(٣) قدست زهرة اللوتس في وادي النيل وارتبطت هذه الزهرة ببداية العالم كرمز لتفتح الحياة ينظر مانفرد لوركر معجم المعبودات،ص١٤٦ .

(٤) فراس السواح ،مدخل إلى نصوص الشرق القديم ، ط١،( دمشق، ٢٠٠٦) ص ٣٠٩ .

(٥)المصدر والصفحة نفسهما

(٦)مانفرد لوركر ،معجم المعبودات ،ص ١٦٦ .

(٧) روبرت ارموار،آلهة مصر ،ص ٢٥ .

**ثالثاً . تفنوت (Tefnut)**: وهي بوصفها طاقةً في الطبيعة ونموذجاً للرطوبة أو جانباً من حرارة الشمس، لكنها بوصفها الإلهة الموتى تبدو وكأنها ذات حلة بتوفر الشراب لهم(١)، وكانت تفنوت تظهر في الرسومات أحياناً بشكل امرأةٍ وفوق رأسها قرص الشمس وحولها ثعبان الكوبرا، وفي أحيانٍ أخرى يكون لها جسم امرأةٍ ورأس أنثى الأسد، ويظهر في رسومات بردية (آن Ani) و (حانيفر Hanefer) وهي جالسةٌ في محكمة الأموات(٢).

**رابعاً . جب الأرض (Geb)**: وهو معبودٌ مهمٌ جسّد الأرض والنباتات الخضراء المزروعة على ظهره، وتخبرنا نصوص التوابيت عن إحساس (رع) بالسأم، وكيف أنه عاش طويلاً في فراغٍ؛ حتى أنه ضاق حينذاك قال لنفسه: لو إن الأرض حيةٌ لأبهجت قلبي وأراحت صدري، ومعنى ذلك: أن الأرض خُلقت لتجعل حياة (رع) أكثر بهجةً ولتُعطيه مكاناً يرتاح إليه كلما شعر بالسأم(٣).

وصُور على هيأة رجلٍ يضطجع عند قدمي الإله (شو) ثانياً إحدى رجليه ربما للتعبير عن الجبال والمرتفعات الأرضية الأخرى، وتنمو على جسده النباتات، وقد لُون أحد جانبيه باللون الأحمر دلالةً على الصحراء والآخر باللون الأسود دلالةً على الأراضي الخصبة(٤).

وكانت الأرض تُسمّى (بيت جب)؛ فقد ارتبط هذا الإله بالحياة على سطح الأرض، وبالموت تحتها، وكان مسؤولاً عن الأشجار والنباتات والبذور التي تضع جذرها بالتربة، أما عن

(١) واليس بدج ، الديانة الفرعونية ص١٠٢؛ينظر Michael Jordan , Dictionary of Gods and Goddesses, p .226 :

(٢) روبرت أرموار، آلهة مصر ص٢٧ . حول محكمة الأموات؛ ينظر نور حكمت خضوري فلسفة الحياة ص١٤١ .

(٣)أحمد علي الطيب الزراعي ،المعبودات الكونية في كل من مصر واليمن القديم دراسة مقارنة ،كلية الآداب ،اسيوط ،٢٠٠٩ ،ص٤٧٩ .

(٤) عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة ،ص١٨ .

واجبه تحت الأرض؛ فكان مسؤولاً عن جثث الموتى المدفونين في المقابر . كما رُسم في الآثار القديمة[١].

وعلى نقيض تصورات حضاراتٍ[٢] أخرى عن نشأة الكون كانت الأرض تُمثَّل بكائنٍ مذكرٍ في وادي النيل يُفوض له (رع) أمر الحيوانات الزاحفة وخامات المعادن وكل ما يلجأ إلى باطن الأرض وما على سطحها، وكانت البقع الخضراء أو النباتات المرئية على جسده في النصوص ترمز إلى سمته كمعبودٍ للنباتات[٣]، ولُقب بـ(رب الأرباب)، أو (رب الآلهة)، كما لُقب بـ(الأمير الوراثي)[٤].

**خامساً . نوت(nat) السماء:** كان تجسيداً وتأليهاً للسماء، وفي اللغة الهيروغليقية كانت كلمة السماء مؤنثةً، وعليه كان جنس معبودة السماء مؤنثاً بلا شك، بينما كلمة الأرض (تا) وكانت مذكرةً، لذا كان معبود الأرض هو المعبود (جب) مذكراً[٥].

وتصور سكان وادي النيل . كما في رسومهم[٦]. الإلهة (نوت) على شكل بقرةٍ كبيرةٍ قائمةٍ في السماء على أرجلها الأربعة، ومتجهةٍ برأسها نحو المغرب، وتصوروا الأرض بين أرجلها والنجوم تُزين بطنها[٧].

كما أنها تُرسم كسيدةٍ لها أعضاءٌ جسديةٌ، ومعظم الرسومات تُظهرها عاريةً بصدرٍ كبيرٍ، وتظهر كل تفاصيلها التشريحية، وكانت تضع فوق رأسها وعاء ماءٍ[١]، وهذا يدل على ارتباط هذه الإلهة بالخصب، وارتباطها بالمرأة وبالماء.

---

(١) روبرت ارموار ،آلهة مصر ،ص ٢٧ .
(٢) الأرض في حضارة وادي الرافدين تمثل بأنثى تسمى الإلهة كي ينظر :هنري س٠عبودي ،معجم الحضارات السامية ط٢ ،(طرابلس ،١٩٩١ )،ص٧٢٩ ؛ كذلك ينظر: ميرسيا الياد ،المقدس والمدنس ،ترجمة عبد الهادي عباس ،ط١ ،(دمشق ،١٩٨٨ ) ص٢٠ .
(٣) احمد علي الطيب الزراعي ،المعبودات الكونية ،ص٤٨١-٤٨٢ .
(٤) ينظر :نهى محمود نايل ،الدلالات الرمزية والقيم الفنية لتيجان الآلهة في النقوش المصرية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية الفنية ،حلوان ،٢٠٠٣ ،ص٧٦ .
(٥) احمد علي الطيب الزراعي ،المعبودات الكونية ،ص٢٨٥ .
(٦)حول رسوم الآلهة المصرية ينظر: المبحث الثاني من الفصل الثالث من الرسالة .
(٧) عباس الحسيني ،مجتمع الإلهة ،ص٢ ؛ينظر:
Barbara S Lesko ,The Great Goddesses of Egypt . p .23 .

### آلهة الخصب والعقيدة الطبيعية

**أولاً . أوزيريس:** وهو الاسم اليوناني للاسم المصري (أوزير)، الذي ارتقى العرش بعد (جب)، فكان الفرعون المؤله الرابع، وقد حكم بالعدل، وعمل على تحضّر البشر، وعلمهم زراعة الحبوب والكرم، وصناعة الجعة، وعلمهم عبادة الآلهة وبناء المعابد لها . كما في اسطورة أوزير[٢]. وعلى الرغم من أنه يُنظر إليه على أنه إنسانٌ أصله إلهيٌّ كان في جانبٍ منه ألوهيةٌ شمسيةٌ، ويبدو أنه كان يُمثل . في الأصل . الشمس بعد غروبها، ولكنه يتواجد بالقمر أيضا؛ فأصبح رمز الانبعاث والخلود[٣].

وربما عُدّ (أوزير) إله الخصوبة منذ عهودٍ مبكرةٍ، وكان يرمز لمظهره النباتي بالقمح؛ فكان يوطأ في الأرض أولاً، أي: يُدفن، ثم يستريح في ظلام العالم، ثم تنبت البذور الجديدة البعث؛ ويُفهم من هذا أنه كانت توجد علاقةٌ خاصةٌ بين الماء (واهب الحياة) وبين الإله، ومن هنا كان نهر النيل يُسمّى تدفق أوزير[٤].

وكان من ألقاب (أوزير) المهمة: الثور، فقد ذكرته بردية بعبارة: (الجلال لك ... ياثور ... ملك الأبدية)، ومن هذا النص نستدل على ارتباط رمزية الثور بـ(أوزير) والخصب[٥]. وكانت (أبيدوس) في مصر العليا مقر عبادته الرئيس الذي دُفن فيه ملوك الأسرة الأولى والثانية، وقد وردت شعائر دفنه وأحيائه في حدود عام (١٨٥٠ ق.م)، وكان صراعه مع (ست: إله الصحراء) الذي عبده الهكسوس منذ عام (١٧٠٠ ق.م) أكثر من إي إلهٍ مصريٍّ آخر، وربما كانت حروب (ست) و(أوزير) لأسبابٍ سياسيةٍ، ولكره المصريين للهكسوس؛ مما أدى إلى ازدياد أهمية عبادة (أوزير)[٦]، ومن الممكن أن يكون انتشار عبادته وازدياد أهميتها في عقائد سكان وادي النيل ليس فقط للأسباب السياسية، وإنما لتطورٍ فكريٍ في معتقداتهم نحو البعث والعالم

---

(١) روبرت ارموار ،آلهة مصر ،ص٣٠ .
(٢) ينظر :فراس السواح ،مدخل إلى نصوص ،ص٣١٠ .
(٣) واليس بدج ،الديانة الفرعونية ،ص١٠٤ .
(٤) مانفرد لوركر ،معجم المعبودات ،ص٦٢ .
(٥) برت ام هرو ،كتاب الموتى الفرعوني ، ترجمة عن الهيروغليفية السير والسن بدج ،ترجمة العربية ،فيليب عطية ،ط١ ،(القاهر ،١٩٨٨) ،ص٢٢-٢٣ .
(٦) صموئيل نوح كريمر وآخرون ،أساطير العالم القديم ،،(القاهرة ،١٩٧٤ )،ص٥٦-٥٩ .

الآخر، وأن أوزير مثّل . كما في الأسطورة . أول مرةٍ أنموذجاً في البعث من الموت يُمكن لأي إنسانٍ صالحٍ أن يُحققه[١].

وكان من الرسوم المهمة للإله (أوزير) في المعابد ما يُركز فيها على قضيبه الضخم المنتصب، فقد كان باعثاً للذكورة، ويُحافظ على خلوده حتى في العالم الآخر[٢]، وتتوافر فيه كفاءات الثور والتيس الجنسية . كما في النصوص[٣] . أي: إنه راعي النشاط الجنسي[٤]، فكما ذكرت الأسطورة أن قضيبه ألقي في مياه النيل بعد أن قطعه (ست) فابتلعته إحدى الأسماك، وبعد أن جمعت (إيزيس) أشلاءه بدأت تبعث فيه الحياة[٥]، لكن قضيبه المفقود استبدل بقضيبٍ اصطناعي، فجلست (إيزيس) القرفصاء، وشرعت بإحياء القضيب المستعار، فأدخلته بفيها ونفخت فيه من أنفاسها الإلهية؛ فانبعثت فيه القوة مرةً أخرى، ومن اتحادهم من جديدٍ وُلد (حورس: إله الشمس[٦]).

نستنتج مما تقدم أن تغيراً مهماً حدث في عقائد سكان وادي النيل، وهذا التغير هو أن (أوزير) أصبح قوة الخصوبة في الإنسان والطبيعة، ولهذا ازدادت أهميته وانتشرت عبادته.

**ثانياً . إيزيس:** ومعنى اسمها: المقعد أو العرش، ويُكتب بعلامةٍ تُشبه التي تضعها على رأسها، وربما كانت تجسيداً للعرش، وكانت ذات معنىً رمزيٍّ للملك، ومعنى هذا أنها أمه الرمزية[٧]، وكانت واحدةً من أشهر الآلهة المصرية القديمة، وقد مثلت في أسطورة (أوزير) دور الزوجة المحبة، والأم المضحية، وإن مأساتها ووفائها[٨] اللذين أتمت بهما واجبها قد أكسباها لقب (الأم العظيمة)[٩]، وقد كانت تمتاز بقوةٍ سحريةٍ؛ فهي التي أحيت زوجها، وحمت طفلها من كل

---

(١) فراس السواح ،مدخل إلى نصوص ،ص٣١١ .

(٢) ينظر: Barbara S Lesko ,The Great Goddesses .p 167 .

(٣) ينظر :المبحث الثاني ،من الفصل الثاني،من الرسالة .

(٤) بول فريشاور ،الجنس في العالم ،ص١٣٠ .

(٥) ينظر: Barbara S Lesko ,The Great Goddesses p . 162 .

(٦)بول فريشاور ،الجنس في العالم ،ص١٣١؛ ينظر : Geraldine Pinch ,Handbook of Egyptian Mythology ,California ,2002 ,p .80.

(٧) مانفرد لوركر ،معجم المعبودات ،ص٦٧ .

(٨) لمعرفة مأساتها و وفائها ينظر :المبحث الثاني، من الفصل الثاني، من الرسالة .

(٩) روبرت ارموار، آلهة مصر ،ص٣٥ ؛ينظر: Michael Jordan ,Dictionary of Gods and Goddesses ,p. 141 .

أخطار البراري، وظلت ترد في عزائم السحر[١]، وأطلق عليها الجوهر الجميل للآلهة جميعاً، وكان سكان وادي النيل يعدونها النجم العظيم المعروف باسم (الشعرى اليمانية)[٢] الذي كان يظهرُ مع بدء الفيضان[٣].

وكانت (إيزيس) تُمثل الأرض الخصبة، والأنثى، وتُمثل هي و(أوزير) . القطبيين . أنموذجاً للنواة الأسرية، وكان زواجهما ضماناً لدوام الحياة في عالم البشر[٤].

**ثالثاً . ست:** وهو الإله الذي وُلد قبل الأوان من (نوت) في اليوم الكبيس الثالث عندما انتزع بعنفٍ من رحم أمه، وكان فظاً متوحشاً، ويُمثل روح الشر، ويُجسد الصحراء والجفاف والظلام[٥]، ومن معاني اسمه: الشيطان[٦]، وهو عدوٌّ لإله الخصب، فهو الذي يُمثل الجفاف.

**رابعاً . نفتيس:** وهي الإلهة التي على الرغم من زواجها من (ست) لم تكره أحداً مثله، وكانت إلهةً حاميةً للتوابيت والأواني، وكانت تُمثَّل مع (إيزيس) في صورة زوجين من الصقور[٧].

### آلهة خصب مهمة أخرى

**أولاً . حابي** (Hapi): وهو تجسيدٌ لنهر النيل ومُثِّل بهيأة رجلٍ ضخم البنية ذي شعرٍ طويلٍ وله ثديان واضحان وبطنٍ ضخمةٍ تُمثِّل رمزاً للإخصاب[٨]، وبهذا يكون الإله (حابي) خنثي الجنس؛ فهو يحمل صفات الأنثى و صفات الذكر، وربما يرجع تمثيله بهذا الشكل لتفرده وعدم وجود

---

(١) ينظر :صموئيل نوح كريمر وآخرون،أساطير العالم ،ص٦١ ؛ينظر:
Barbara S Lesko ,The Great Goddesses of Egypt . p 155 .

(٢) الشعرى اليمنية هي نجمة عبدت في اليمن وان أول من سن عبادة الشعرى أبو كبشه فكان يقول :( الشعرى تقطع السماء عرضا ولا أرى في السماء شمسا ولا قمرا ولا نجما يقطع السماء عرض غيرها)،ينظر ادهام حسن فرحان العزاوي العبادات الفلكية عند العرب قبل الإسلام دراسة تاريخية،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية ،تكريت، ٢٠٠٦ ،ص١١٥ .

(٣) ينظر :محمد ابو رحمة ،الإسلام والدين المصري القديم دراسة مقارنة بين الدين القديم والأديان السماوية ،ط١،(القاهرة ، ٢٠٠١ ) ،١٤٢ .

(٤) أحمد علي الطيب الزراعي ،المعبودات الكونية ،ص١٤٥ .

(٥) ينظر:فراس السواح ،مدخل إلى نصوص ،ص٣١٢ ؛ ينظر Manfred Lurker ,The Routledge Dictionary of Gods p. 20

(٦) ينظر :علي فهمي خشيم ،آلهة مصر العربية ،ط١ ،(دار الجماهيرية مصراته،ليبيا ، ١٩٩٠ )،ص٧٠٥ .

(٧) مانفرد لوركر ،معجم المعبودات ،ص٢٣٦ .

(٨) والس بدج ،الساكنون على النيل ،ص١١٩ .

ظاهرةٍ جغرافيةٍ تُشبهه يُمكن أن تُماثله الجنس الأخر[١]، ومن الألقاب التي أُطلقت عليه: (خالق كل شيءٍ)[٢].

**ثانياً . خنوم:** وهو إله منطقة الشلالات التي منها منابع النيل الذي يحرسه (حابي)، ويظهر (خنوم) في نقوش الجدران جالساً على دولاب فخارٍ، ويُعتقد أنه رئيس الحرفيين الذي يصب أنموذج طفلٍ من الطين ويزرعه كالبذرة في رحم أمه، ويعد (خنوم) أبا الآباء، وأم الأمهات[٣]، وهو يُصوَّر على هيئة كبشٍ ناهضاً يمتد قرناه إلى الأعلى، ويُصوَّر بذقنٍ تُشير إلى طبيعته المقدسة، وكذلك يُبرَز فيه عضو التناسل بشكل مبالغٍ فيه للإشارة إلى الخلق والبعث والخصوبة، فهو مفجر منابع النيل، وخالق البشر[٤]، و يُصور وهو يسكب الماء فوق كوكب الأرض، وهذا دليلٌ على أنه مرتبطٌ بطريقةٍ ما بالرطوبة والخصب[٥].

**ثالثاً . مين:** وهو إله الزراعة، فإن من واجباته إحضار الإمطار للأرض الجدباء، وكان يُصوَّر مرتدياً ثوباً شديد الالتصاق بجسده رافعاً بيده اليمنى سوطاً، وكان عضوه التناسلي منتصباً، وغالباً ما كانت بشرته تتخذ اللون الأسود، فيُمثل بهذا رمز الخصوبة، وفي خلف صورته كان يوجد كوخ القش الذي يُستخدم في الأصل معبداً له[٦].

وقد ارتبط كثيرٌ من المعبودات بـ(مين) حتى صار يُشار إليهم بأنهم يملكون قوته الجنسية، ومن هذه المعبودات: (بتاح)، و(رع)، و(حورس)، وقد كان الارتباط بـ(حورس) يعني أن الملوك الذين يتخذون شخصية (حورس) وهم أحياء يكتسبون قوة (مين) الجنسية، وكانت مجتمعات ما قبل الكتابة تعتمد كثيراً على صحة وقوة ملوكها؛ فإذا كان الملك ضعيفاً أو مريضاً لم يكن يستطيع أن يقود شعبه في معركة، وقد لا يكون قادراً على إنجاب وريثٍ، ونتيجةً لذلك؛

---

(١) عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة ،ص٣٦ .
(٢) إمام عبد الفتاح إمام ،معجم ديانات وأساطير العالم ،(القاهرة ،د ت )،مج ٢ ،ص٨٣ .
(٣) روبرت ارموار،إلهة مصر ،ص١٣٤ .
(٤)ايناس بهى الدين عبد النعيم ،المعبودات المصرية ،ص٨٦ .
(٥)احمد علي الطيب الزراعي ،المعبودات الكونية ،ص٥٠٠ .
٦ - فرانسوا ديماس ،آلهة مصر ،ترجمة زكي السوس ،(القاهرة،١٩٩٨ )،ص٦٥ ؛ينظر :
Barbara S Lesko ,The Great Goddesses .p 18

وضعت هذه المجتمعات اختباراتٍ لصحة وقوة ملوكهم، ومعظم هذه الاختبارات كانت تدور حول التجديد الزمني المرتبط بقوة الخصوبة(١).

**رابعاً . أبيس:** وكان أعظم المعبودات أهمية من بين العجول المقدسة في أرض النيل، وكان في الأصل رمزاً للخصوبة، وقد تطورت عبادته فارتبط بـ(بتاح) وصار روح (بتاح)(٢) العظيمة التي ظهرت على للأرض على هيئة عجلٍ، وبموت (أبيس) كان يتحول إلى الإله (أوزير أبيس)، فكانت هذه التغيرات على هذا المعبود دليلاً على تغير وظائف الآلهة في معتقدات سكان وادي النيل(٣).

**خامساً . حتحور:** وهو من آلهة الخصب المهمة في وادي النيل، وكلمة (حتحور) تعني: منزل (حورس)، وقد حملت أكثر من صفة؛ فقد أُطلق عليها: إلهة الحرب، كما أُطلق عليها: راعية الموتى، ولُقبت بـ(ربة الحب والحنان)(٤)، وقد مُثلت بهيأة آدميةٍ برأس بقرةٍ وهي تحمل قرص الشمس بين قرنيها أو في هيأة امرأةٍ يُزين رأسها قرص الشمس بقرني بقرة(٥)، وعلى وفق إحدى الأساطير القديمة كان يعتقدُ أن (حتحور) كانت ترفع قرص الشمسِ إلى عنان السماء بوساطة قرنيها(٦).

وفضلاً عن آلهة الخصب التي ذكرناها في هذا المبحث هناك آلهةٌ أنثويةٌ وذكريةٌ أخرى ترتبط بالخصب وتُمثل عقائد متباينة في حضارةِ وادي النيل(٧).

ومما تقدم نستنتج أن آلهة الخصب . الأنثوية أو الذكرية . كانت تجسيداً للظواهر الثلاثة التي أشرنا إليها (الشمس، والنيل، والخضرة) في مختلف عصور حضارة وادي النيل مع اختلاف

---

١ -احمد علي الطيب الزراعي ،المعبودات الكونية ،ص٥٠٦ .

٢ - من الآلهة الخالقة في مجتمع الآلهة المصري يسمى أبو الآلهة ينظر:
Michael Jordan , Dictionary of Gods and Goddesses, p 255 .

٣ -مانفرد لوركر ،معجم المعبودات ،ص٣٤ ؛ينظر:
Manfred Lurker ,The Routledge Dictionary of Gods p.16 .

٤ - ينظر: Barbara S Lesko ,The Great Goddesses p. 90 .

٥ -نهى محمود نايل ،الدلالات الرمزية ،ص٧٩ ؛ينظر :
Manfred Lurker ,The Routledge Dictionary of Gods. P .79 .

(٦) مانفرد لوركر ،معجم المعبودات ،ص١١١ .

(٧) ينظر :المبحث الثاني ،من الفصل الثالث من الرسالة.

أسماء الآلهة التي تُمثل هذه الظواهر، ولكن تغيراً طرأ على آلهة الخصب بصعود أوزير في النصف الأول من الإلف الثاني (ق.م)، فأصبحت عبادته هي الأكثر أهميةً عند الشعب[١]، حتى أصبح أهم آلهة الخصب والعالم الأخر، بل إنه صار القوة الإلهية التي تُحقق الخصب، وقد عدّ الأستاذ (بول فريشاور) الإله (أوزير) باعثاً للخصب للذكورة، وللإناث . أيضاً . على أن يحملن تحت مآزرهن تمائم له[٢].

ويبدو من هذا أن (أوزير) أصبح يُمثل قوة الخصب والعلاقات الجنسية بين الإناث والذكور من البشر، وبين الطبيعة (أي: الأرض والظواهر السماوية) التي تتفاعل معها لتحقيق الخصب، وبما أن الأرض في اللغة المصرية كانت تحمل اسماً ذكرياً . كما أشرنا . يُمكن أن يكون هذا هو السبب في اختيار سكان وادي النيل لإلهٍ يحمل اسماً ذكرياً، ليكون المسؤول عن العلاقات الجنسية.

---

(١) ينظر : Barbara S Lesko ,The Great Goddesses p243 .

(٢)الجنس في العالم القديم ،ص١٣١ ٠

## أوجه الاختلاف بين آلهة الخصب للحضارتين

اتضح من استعراض آلهة الخصب للحضارتين أن هناك اختلافاً في النظرة لآلهة الخصب؛ ففي العصر الحجري الحديث والعصر الحجري المعدني كانت دمى الآلهة الأم أوضح في بلاد الرافدين وأكثر انتشاراً من وادي النيل[١]، بينما نجد أن تقديس الحيوانات ودفنها، وكذلك دفن الدمى كان أكثر انتشاراً في وادي النيل[٢]، أما في العصور التاريخية فقد أصبحت آلهة الخصب أكثر وضوحاً في بلاد الرافدين وكانت (إينانا-عشتار) هي الدافع الجنسي وآلهة الخصب من الحضارة السومرية، واستمرت أهميتها في كل مراحل الحضارة الرافدينية آلهةً للخصب وللجنس، وآلهةً للحرب، وكانت صفتها آلهة حرب لتحمي البلاد من الأعداء، فالخصب لا يستمر من غير حماية للسكان والأرض من الأعداء[٣].

وبما أن بلاد الرافدين كانت دائماً عرضةً للغزو من الشرق ومن الغرب ومن الشمال الغربي، لذا؛ ربط سكانها بين استمرار الخصب وبين القوة من أجل حماية الخصب من الأعداء الخارجيين، وكانت هذه الصفات تتحلى بهما (عشتار) للخصب ولحماية الخصب بحرب الغزاة.

أما في وادي النيل فإن مراحل الخصب وآلهته قد تعددت في العصور التاريخية، وقد ارتبطت آلهة الخصب بالنيل وبالشمس وبالخضرة، وتعددت الآلهة التي تؤدي هذه المراحل؛ ابتداءً من الإله (حابي) الخنثيّ الجنس إلى الآلهة الذكرية (مين، وخنوم، وأوزير)، ثم الآلهة الأنثوية (حتحور، وإيزيس، وابنها حورس[٤])، وبما أن الحضارة في وادي النيل عنيت بعقائد ما بعد الموت ومحكمة الأموات والبعث، وأسندت لآلهتها واجباتٍ مهمةٍ في هذا العالم، وكان من هذه الآلهة إله الخصب (أوزير) الذي كانت له وظائف بالخصب في الحياة، وبعد الموت يكون هو قاضي الأموات، ويكون مسؤولاً عن الميزان ومحاسبة الموتى وخلودهم في العالم الآخر، وهذه هي غاية الفكر الديني في وادي النيل[٥]، وهذا العمل يخالف عمل عشتار في نزولها إلى العالم

---

(١) ميرسيا الياد ،تاريخ المعتقدات ،ص٦٦ .
(٢) محمد أبو المحاسن عصفور،معالم حضارات ،ص٦٦ .
(٣) كامل سعفان ،معتقدات أسيوية (العراق –فارس الصين – الهند – اليابان )،ط١ ،(القاهرة ،١٩٩٩ )،ص٣٠ .
(٤) ينظر :المبحث الثاني من الفصل الاول من الرسالة .
(٥) نبيله محمد عبد الحليم ،معالم التاريخ الحضاري ،ص٢٨-٢٩ .

الأسفل، فهي التي تعرضت إلى التجريد من كل ما تملك، وأصبحت جثةً هامدةً، ولولا تدخل إله الحكمة (إنكي) الذي يعرف أن الحياة على الأرض لا تستمر إلا بالخصب، فأنقذ . لذلك . (عشتار) إلهة الخصب[١].

ومن الاختلافات المهمة في آلهة الخصب للحضارتين هو أن آلهة الخصب ومجتمع الآلهة وعقيدته كانت واحدةً في بلاد الرافدين، في حين هناك الكثير من آلهة الخصب في حضارة وادي النيل، وكانت مجتمعات الآلهة فيها ثلاثة مجتمعاتٍ وعقيدتين للخصب لأنها في زمن تكوينها كانت مؤلفةً من آلهةٍ مقدسةٍ في الأقاليم، وكانت أهميتها تتغير مع نفوذ الإقليم، وقد نجح كهنة (هليوبوليس) في نشر أسماء آلهتهم في البلاد، ووجدوا الكثير من الطرائق للتشابه مع الكثير من الإلهة المحلية في وادي النيل في مجموعة الإلهة المعبودة مع (رع)[٢] منذ الأسرة الخامسة، فبعد أن أولى ملوك وادي النيل رعايةً خاصة لربط أنفسهم إما بالانتساب أو بالتزاوج مع (رع) رئيس الآلهة في التاسوع[٣]، بينما كانت (إينانا . عشتار) مقدسةً في كل بلاد الرافدين، وبما أن بلاد الرافدين كانت زمن ظهور المعتقدات الدينية في حقبة عدم تسلط الملوك الذين أوجدوا مجالس استشارية من السكان[٤]، فانعكس ذلك في النظرة إلى آلهة الخصب، وأصبح الإنسان أكثر حريةً في مناقشة آلهته، حتى صار يعدد عيوبها أحياناً[٥]، لأنه كان يعكس دولته السياسية على الدولة الكونية، ومع إيمانه بالقدر وانفراد الآلهة بالخلود، وأنها تستحق الطاعة، لكنه يرى أنها لاتسلم من الأخطاء كما هو حال حكامه السياسيين الذين يرى فيهم ممثلين للآلهة ومنفذين للقوانين والعدالة، فإذا ما خالفوا هذا، يحق له أن لا يُطيعهم[٦]، كما في انتفاضه على الحاكم السومري (لوكالابندا)[٧]، ووصول (أوروانمكينا)[١] للحكم، وقيامه بالإصلاحات من أجل العدالة.

---

(١) خزعل الماجدي ،متون سومر ،ط١ ،(عمان ،١٩٩٨ )،،ص٢٤٤-٢٤٥ ٠
(٢) روبرت ارموار ،الهة مصر ،ص١٧ ٠
(٣) المصدر والصفحة نفسهما٠
(٤) حول نظام الحكم والمجالس أي فكرة الديمقراطية البدائية ،ينظر :صموئيل كريمر ،من ألواح سومر،ترجمة طه باقر ،مكتبة المثنى( بغداد، د ت )،ص٨١ ٠
(٥) كما في ملحمة جلجامش ينظر : طه باقر ،مقدمة في أدب العراق القديم ،ط١ ،( بغداد ،١٩٧٦ ) ص١٣٢ ٠
(٦) ينظر: هنري فرانكفورت وآخرون ،ما قبل الفلسفة، ص١٥٨.
(٧) لوكالابندا حاكم مدينة لجش في عصر فجر السلالات السومري انتشر قي زمنه الفساد الإداري ينظر :انطون مورتكات ،تاريخ الشرق الأدنى القديم ،ص٦٣ ٠

أما في وادي النيل، فإن فكرة ألوهية (فرعون) وارتباطه بالإله (رع)، والإله (حورس)، وخلوده مع الإله (أوزير) جعلت المصري أكثر انقياداً لحكومته، فكان من نتاج ذلك أن كل هذه الإلهة كانت تحظى بالاحترام في الأساطير المصرية مع كثرة الآلهة التي نظر إليها سكان وادي النيل كآلهةٍ مهمةٍ في الخصب، ولا تتناقض في وظائفها[٢]، وعلى غير ذلك كانت (إينانا . عشتار) التي تُمثل المتناقضات كما في الأساطير؛ فكانت هذه الاختلافات بين آلهة الخصب في الحضارتين من أهم أسبابها عامل البيئة؛ فالبيئة تؤثر في ذهنية الإنسان وطباعه ونفسيته، ففي حضارة بلاد الرافدين تميزت النظرة بالتأزم والقلق، لأن الأنهار . وهي واهبة الحياة . ذاتها كان بإمكانها أن تسبب الموت[٣]؛ فالفيضان الذي يحدث كل سنة يعد من الأحداث التي تؤثر في حياة السكان هناك، كما أن العواصف الجنوبية التي تهب لمدة طويلة في جنوب بلاد الرافدين تؤدي مع قلة الأمطار إلى الجفاف، فيعم الجدب، وتنتشر المجاعة في المنطقة[٤]، إن الطبيعة في بلاد الرافدين غير ثابتة، ولا يمكن التحكم فيها مما يجعلها مسيطرةً على حياة البشر ومتحكمةً فيها، فتجعل الإنسان يشعر نحوها بالعجز[٥]، فضلاً عن أن الإنسان كان يعلم بأن أيامه معدودةٌ في هذه الحياة مما جعل نفسيته تتسم بالقلق والخوف والتشاؤم من الحياة.

أما ارض وادي النيل فإنها كانت محميةً بحواجز طبيعيةٍ، وكانت القرى بعضها ملتصقاً ببعضٍ، مما يبعث على الاطمئنان، كما أن حركة الشمس وفيضان النيل المنتظم جعل الإنسان يتمتع بالحياة دون خوفٍ أو عائقٍ[٦]، فواقع وادي الرافدين كان ضحيةً لظروفٍ طبيعيةٍ صعبةٍ شاقةٍ، وغير مستقرةٍ، وكذلك كان أرضاً مفتوحةً من جميع الجهات ساعدت في تعرضها للغزوات المتكررة من أقوامٍ كانوا أدنى حضارياً من الحضارة الرافدينية مما أدى إلى التهديد المستمر لها[٧]، وهذه الظروف المتأزمة حركت وبلورت متناقضات الحياة وأظهرتها على أرض الواقع،

---

(١) احد كهنة مدينة لجش سيطر على الحكم بعد انتهاء حكم لوكالاندا وقام بأول إصلاحات في التاريخ لنشر العدل وحماية حقوق الضعفاء ينظر: انطون مورتكات ،تاريخ الشرق الأدنى القديم ،ص٦٣ .
(٢) ينظر :الن شورتر،الحياة اليومية في مصر القديمة ،ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم،(القاهرة ،١٩٩٧ )،ص١٥ .
(٣) جورج رو : العراق القديم ، ص ١٤٧ .
(٤) ينظر: طه باقر وآخرون ، تاريخ العراق ، ج٢ ،ص ٤٧ .
(٥) هنري فرانكفورت وآخرون : ما قبل الفلسفة ، ص ١٤٨ .
(٦) المصدر نفسه ،ص٤٤-٤٥ .
(٧) ينظر :امل مخائيل بشور،تاريخ الإمبراطوريات السامية في بابل وأشور ،(طرابلس –لبنان ،٢٠٠٨ )،ص٦٨ .

فساعدت في خلق رؤيةٍ ماديةٍ وواقعيةٍ بعيداً عن المثالية؛ لذا؛ ارتبط سكان بلاد الرافدين بالحياة الأرضية وتمسكوا بها وأحبوها بكل صورها ومعانيها، فمثل له الموت تبعاً لهذا الخوف والرعب ليرسم لعالم ما بعد الموت صورةً كئيبةً وموحشةً ونهايةً مأساويةً لسعادته الأرضية(١)، لذا عُدّ الموت في كثيرٍ من الأحيان إحدى العقوبات التي تفرضها الآلهة على الشخص الخاطئ، فلم تكن هناك رغبةٌ في هجر حياته ما لم يكن وجوده قد أصبح لا يُحتمل، ولتنظيم هذا القلق أصدر القوانين، فهو صاحب أولى القوانين الوضعية التي نظمت حياته بكل مجالاتها وتفاصيلها(٢).

إن هذه النظرة تجاه الحياة ومحاولة تحقيق السعادة قدر الإمكان، كان لها الأثر في صياغة مضمون عالم ما بعد الموت، وهذا واضحٌ في نظرته من خلال أسطورة نزول (إينانا . عشتار) إلى هذا العالم الأسفل(٣)، فهو عبارةٌ عن سجنٍ كبيرٍ موحشٍ وأليمٍ، مع ترك الفرصة وإن كانت محدودةً لتفعيل الإعمال الصالحة من قبل الإنسان في الحياة الأرضية، وذلك بإيجاد التفاوت في المراتب والمكانة في ذلك السجن لجعله حافزاً على تقديم الأفضل في بعض المجالات المحدودة، على الرغم من النظرة التشاؤمية لذلك العالم (٤)، فهم لم يؤمنوا بالجانب الروحي للإنسان قدر إيمانهم بقدرة ووجود الإنسان ومكانته في الحياة، فكان للجسد الأهمية الأكبر في بقائه على قيد الحياة كونه المحور الرئيس لتحقيق الرغبات واستحصال السعادة ماديةً كانت أو معنويةً، إذ سعى إلى تحقيق مكانته في الحياة الدنيوية حتى بلوغ الخلود المعنوي ومن هذا كان الأسبق بإيجاد عقائد الخصب وفكرة قوة الخصوبة التي أشرنا إليها والتي مثلتها (عشتار)، أما في حضارة وادي النيل، فكانت الرؤية على غير مما هو في حضارة بلاد الرافدين، فالظروف التي عاشتها حضارة وادي النيل من استقرارٍ وطبيعة جميلةٍ، بعيداً عن الغزوات العسكرية والفكرية الهدامة ولاسيما في بداية نشوء هذه الحضارة، ساعدت على تكوين نظرةٍ ورؤيةٍ روحيةٍ دينيةٍ خاضعةٍ لمشيئة الآلهة غير مشككةٍ بقدراتها، ومنقادةً لسطوتها بكل توقٍ وشوقٍ روحيٍّ(٥)، حتى أصبح المصري القديم راغباً في حياةٍ ثانيةٍ بعد الموت، وهي الحياة الأبدية على

---

(١) جمال المرزوقي،الفكر الشرقي ،ص٢٠٢ .
(٢) ينظر :ف.فون زودن ،مدخل إلى حضارات الشرق ،ص١٥٠-١٥١ .
(٣) نائل حنون ، عقائد الحياة والموت ،ص١٦٢ .
(٤) ينظر: S.N. Kramer, "Death and THE Nether World According to Sumerian Literary Texts", (IRAQ, 22 , 1960),p.65.
(٥) هنري فرانكفورت ،ما قبل الفلسفة ،ص٤٧ .

وفق ما آمنوا به، فكانت النظرة تجاه الموت نظرةً تفاؤليةً ساعدت على العناية بالتكوين الإنساني بقسميه: (الروحي، والجسدي)، إذ حاول المصريون القدماء الاعتناء بالجسد لما له من مكانةٍ في الحياة الأخرى عند البعث، والإحاطة بكل التفاصيل الروحية للنفس؛ لما لها من أهميةٍ في الخلود الروحي، كل هذه التفاصيل رسمت الصيغة الروحية والأبدية للحياة بعد الموت، فكان العالم الآخر مشرقاً منيراً على غير ما رأيناه في حضارة بلاد الرافدين؛ فأصبح هناك توقٌ روحيٌّ ساعدهم في السيطرة على مخاوفهم من الموت، فغلب على حياتهم النمطية والروتين وبذل الجهد لتحقيق حياةٍ مطيعةٍ تُرضي الآلهة لنيل الثواب في العالم الأخر[1] الذي فيه الثواب والعقاب، ويخضعوا فيه للحساب من قبل القضاة، ومن مهام الإله (أوزير) إله الخصب أن يقاضي الأموات[2].

### أوجه الشبه بين إلهة الخصب للحضارتين:

من الممكن أن بعض التشابه في عقائد الخصب في الحضارتين يكون بسبب البيئة، فالإنسان في مجتمعاتٍ كثيرةٍ عرف معنى الخصب بسبب البيئة، وقدس هذا المفهوم، ومن دراسات الأديان المختلفة في حضارات الشرق الأدنى نجد أن للبيئة أثراً مهماً في بلورة آلهة الخصب، وبما أن بلاد الرافدين ووادي النيل كانا أحواض أنهارٍ زراعيةٍ، وسكانها يمتهنون الزراعة التي ترتبط بالخصب كما أشرنا[3].

والإنسان منذ أقدم الأزمنة عرف نوعاً من عقائد الخصب وترك دمىً تدل على تقديس الخصوبة منذ العصر الحجري القديم، وتمكن من بلورة الخصب بشكل مفاهيم ارتبطت بعقائد الخصب الزراعية وآلهة الأمومة في بلاد الرافدين التي ظهرت في زمن القرى الزراعية[4]، وأصبحت أكثر وضوحاً وتنظيماً في العصور التاريخية ومن الممكن أن الحضارة في وادي النيل استناداً إلى المتغيرات البيئية طورت هذه المفاهيم التي توجد لها أدلةً من زمن القرى الزراعية وبعد أن بدأت تختزل عقائد الأقاليم المصرية من آلهةٍ محليةٍ إلى آلهة أوسع ظهرت في آلهة

---

(1) ينظر :جمال المرزوقي،الفكر الشرقي القديم ،ص١٧٧ .
(2) واليس بدج ،الديانة الفرعونية ،ص١٥٦ .
(3) جفري باراندر ،المعتقدات الدينية ،ص١١ ؛ ينظر :سيتن لويد ،فن الشرق الأدنى ،ص٨٩ .
(4)خزعل ألماجدي ،أديان ما قبل التاريخ ،ص٩٣-٩٩ .

الخصب المتعددة في وادي النيل كالإله (حابي) والإله (خنوم)، وكان هذا نتاجاً بيئياً أو تطوراً ذاتياً لحضارة وادي النيل من غير أن تتأثر حضارة وادي النيل بالحضارة الرافدينية إلى أن تمت سيطرة المبدأ (الأوزيري) بالخصب[١]. والأرجح هو أن هذا المبدأ تضافرت البيئة والتأثير الرافديني على صدارته للعقائد في وادي النيل، وهناك أدلةٌ على انتقال بعض العقائد والآلهة الرافدينية إلى وادي النيل[٢]، فالجبال تحد بلاد الرافدين من الشرق والشمال، لكنه يتصل من الجنوب والغرب بأراضي الجزيرة العربية وسوريا، وحضارة بلاد الرافدين اتصلت من العصر الحجري الحديث بشمال سوريا وأثرت فيها[٣].

أما موقع حضارة وادي النيل الذي كان على ساحل البحر المتوسط والذي يجمع قارتي آسيا وأفريقيا، وكان على بحرين يمتد أحدهما إلى بلاد الشرق والمحيط الهندي، ويمتد الآخر إلى بلاد الغرب وإلى سواحل الشام، كما أن محور البر الآسيوي الذي يربط وادي النيل عبر سيناء إلى بلاد الشام[٤]، وقد كان لهذا الموقع لكلا الحضارتين أثرٌ مهمٌ في الاتصال الحضاري بينهما، كما أن المبادئ الدينية والروحية في بلاد الرافدين ظهرت منذ القرى الزراعية، لكنها أصبحت أنضج وأوضح في الألف الرابع قبل الميلاد زمن انتقال المؤثرات المادية إلى وادي النيل.

وبما أن التأثير الرافديني في وادي النيل يحتمل أن يكون تعاصرياً أي زمن الحضارة التي عاصرتها أو امتدادياً، أي إنه امتد زمناً بعد ظهورها في بلاد الرافدين بحقبٍ لاحقة في وادي النيل، إذ إن الأساطير السومرية تثبت لنا تقاليد بقيت سائدةً في الفكر الأسطوري لحضارات المنطقة والحضارات الأخرى المتجاورة، فمثلاً؛ أساطير (بعل) في سوريا نجد أن أصلها الرافديني واضحاً، أي: إنها تُشبه الأساطير الرافدينية بالكثير من مواضيعها[٥]، كما أن الحضارة الرافدينية امتدت إلى سوريا وفلسطين بأدلةٍ ماديةٍ واضحةٍ منذ أدوار الفخار الملون في (دور حلف) و(سامراء)، وكونت المنطقة وحدةً ثقافيةً متكاملةً في أدلتها المادية والفكرية، وحتى في أساطيرها كانت بلاد الرافدين مركز الإبداع والتقدم والأصالة فيها[٦]، ومن الأمثلة على انتقال الحضارة

---

(١)روبرت ارموار ،آلهة مصر ،ص٣٤ ٠
(٢) ينظر:المبحث الثالث ،من الفصل الرابع ،من الرسالة ٠
(٣) سامي سعيد الأحمد ، حضارات الوطن العربي ،ص٤٨ .
(٤) محمد موسى محمود ، الموسوعة الجغرافية ، ( عمان ، ٢٠٠٨ ) ، ص٢٧٥ .
(٥) فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى ،ص٣٥ ٠
(٦) إي – إي سبيزر ، حضارة وادي الرافدين ، ص١٣ .

الرافدينية إلى سوريا تلك الدمى الأنثوية وتماثيل الحيوانات التي وُجدت في مناطق عدةٍ من سوريا منذ العصر الحجري الحديث، وفي الإلف السادس قبل الميلاد . تحديداً . عُثر عليه في تل حلف من (القى) الأثرية يشترك بالشكل والموضوع مع مثيلاته في بلاد الرافدين، وهذا دليلٌ على الوصول المبكر للحضارة الرافدينية إلى سوريا[١].

إن العامل الأساسي في التقدم الحضاري والروحي في الحضارة هو الكتابة، فقد أدت فلسفة الحياة في بلاد الرافدين إلى اختراع الكتابة التي جعلت الحياة أكمل وأغنى، ودفعت النظام كله إلى أن يستنسخه الآخرون بنحوٍ واسع، وكان المستعيرون قادرين في أغلب الأحيان على القيام بإسهاماتٍ أضافيةٍ من عندهم[٢].

ومن الأدلة الأثرية نلاحظ قدم الصلات الحضارية بين وادي النيل والجانب الآسيوي، وكان الطريق من وادي النيل وإليها يمر بشبه جزيرة سيناء في أرضٍ رمليةٍ قليلة المياه، والثابت تاريخياً أن أوضح الصلات تعود إلى أثر الحضارة الجرزية، وأن التغيرات التي نلمسها في تلك الحضارة من أيام العصور الحجرية الحديثة تدلنا على أن شعب وادي النيل كانت له علاقةٌ وثيقةٌ مع جيرانه الآسيويين، وأنه قد اكتسب منهم مزايا ثقافيةً مختلفةً، وقد امتاز هذا العهد بالازدهار؛ وقد استطاع أن يستغل بيئته استغلالاً طيباً، ويُنظم في قرىً ومناطق، وعلى الرغم من أنه كان أحياناً يعتريه بعض الخلل: كان متجهاً نحو البناء الحضاري[٣]، بيد أنه في الجانب الديني كان واضحاً، والتأثيرات التي يُمكن أن نلاحظه بشكلٍ ملموس هو وصول بعض آلهة بلاد الرافدين إلى وادي النيل، وهذا ما كشفت عنه بوضوح نصوص تل العمارنة[٤]، فقد ورد في بعض الرسائل المتبادلة بين الملك الميتاني[٥] (توشراتا (Tushrata)) والفرعون المصري (أمنحوتب الثالث) ما

---

(١) للتشابه والتأثير الرافديني المبكر على الحضارة السورية ينظر:عبد المسيح حنا بغدو ،مائة وخمسون عاماً من البحث الأثري في الجزيرة السورية ،ط١ ،(دمشق ،٢٠٠٩ ) ،ص٥٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٢٨ .
(٣)خزعل ألماجدي ،الدين المصري،ط١،(عمان،١٩٩٨) ،ص١٣-١٦ .
(٤) رسائل تل العمارنة وتل العمارنة المكان الذي وجدت فيه هذه الرسائل والتي تخص الشؤون الخارجية للإمبراطورية المصرية ويظهر ان هذه الرسائل كانت في طيبة قبل إن ينقلها امنوحتب الرابع إلى عاصمته الجديدة (اخت-تون )وهذه الرسائل مدونة باللغة البابلية وبالخط المسماري ،ينظر :محمد صبحي عبد الله ،العلاقات العراقية المصرية ،ص١٠٢ .
(٥) توشرتا الثاني هو احد ملوك مملكة ميتاني ودولة ميتاني تسمية أطلقت في القرن الخامس عشر والرابع عشر وتمتد في شمال غرب بلاد الشام حتى الدولة الأشورية وفي بعض الأحيان وصلت إلى جبال زاكروس إما عنصرها السكاني فهم الحوريون والذين يقودوا نخبة من الاريين ينظر :انطون مورتكات ،تاريخ الشرق ،ص٢٠٤ .

يوطد وصول الإلهة (عشتار) إلى وادي النيل؛ ففي رسالةٍ أرسلها (توشراتا) نقرأ (أرسلت أربعين قطعةً من الذهب، وتمثال الإلهة (عشتار) المزين وسطه بالحجر ومغطىً بالذهب، وعشر جيادٍ، وعشر عربات بكل ما تحمل، وثلاثين أمراةً كلها هديةٌ لأخي)(١).

تُظهر لنا هذه الرسالة بعض الهدايا المرسلة إلى الفرعون، ويبدو واضحاً أن الإلهة (عشتار) كان أهمها، ولكن لم تذكر علة إرسال هذا التمثال.

ويرد في رسالةٍ أخرى مرسلةٍ من (توشراتا) للملك المصري ذاته اسم الإلهة (عشتار) إذ جاء في هذه الرسالة (سوف أُعطي زوجة لأخي، وسوف تُرسل إلى أخي، وعلّ الإلهة (عشتار) سيدة السيدات في بلادي و(أمون) إله أخي يجعلانها تتطلع إلى رغبات أخي)(٢)، وفي هذه الرسالة يظهر اسم الإلهة (عشتار) مشفوعاً بلقب (سيدة السيدات)، وقد حددت هذه الرسالة البعد الجغرافي لهذا اللقب وهو بلاد الملك المرسل، ومحل ورود اسم الإلهة هو الدعاء بالتوفيق للزوجة المرسلة، ثم يُلاحظ ذكر الملك الميتاني للإله (آمون) بوصفه إله الفرعون المرسل إليه، وكذلك يُلاحظ تقديم الملك الميتاني للإلهة (عشتار) على الإله (آمون) في الدعاء بطلب التوفيق للزوجة، وهذا يُعطي انطباعاً بأن الملك الميتاني يعترف بالإله المصري؛ لكنه يقدم آلهته عليه بالدعاء.

وفي رسالةٍ ثالثةٍ مرسلةٍ من الملك (توشراتا) إلى (أمنحوتب الثالث) أيضاً نقرأ (إلى أخي الذي أُحب؛ سوف أُعطيه ابنتي لتكون زوجةً له، ولعلّ الإله (شمش) والإلهة (عشتار) يسبقونها، ولعلهما يجعلانها وفق رغبات أخي، ولعل أخي في هذا اليوم فرحٌ، ولعل الإله (شمش) والإلهة (عشتار) يمنحان أخي البركات والفرح الصادق، ولعل أخي يبقى بصحة إلى الأبد) في هذه الرسالة يظهر لنا اسم الإله (شمش) بمعية الإلهة (عشتار) ويدعوهما الملك الميتاني بتوفيق ابنته التي زوجها للملك المصري، وكذلك يدعوهما أن يوفقا الملك بالبركات والفرح والعمر الطويل(٣).

وفي رسالةٍ رابعةٍ من ذات الملك للملك المصري (أمنحوتب الثالث) أيضاً نقرا (كل أملاكك عله بخيرٍ، تقول (عشتار) إلهة نينوى وسيدة كل البلاد إلى مصر: إلى البلاد التي أُحب،

(١) عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة ،ص١٣٨ ؛ ينظر:انطون مورتكات ،تاريخ الشرق ،ص٢٠٥ .
(٢) المصدر نفسه ،ص١٣٩ .
(٣) عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة ،ص١٣٩ .

سوف أذهب وإلى بلادي سوف أعود، لقد أرسالة فذهبت في زمن أبي السيدة ذهبت إلى تلك البلاد وعندما في الماضي سكنت هناك فقدست، ولعل أخي الآن يزيد أكثر من السابق تقديسها، ولعل أخي يُشرفها بمتعةٍ، ويُرسلها ويعيدها، وعلّ إلهة (عشتار) سيدة السماء تحمي أخي وتحميني منها ألف سنةٍ ومتعةٍ كبيرةٍ، علّ سيدتنا تحمينا الاثنين حتى نعمل جيداً (عشتار) إلهتي إنها ليست إلهة أخي)، وفي هذه الرسالة يدعو الملك (توشراتا) للملك المصري ببقاء أملاكه بخيرٍ[١].

يقول (عشتار) إلهة نينوى، وهنا يُعطيها خصوصيةً مكانيةً، ثم ينتقل إلى سيدتها علىّ كل البلاد، ومن ثم ترد مقولةٌ على لسان الإلهة (عشتار) تخبرنا فيها أنها سوف تذهب إلى البلاد التي تُحب، ولكنها قبل ذهابها تبدو عازمةً على العودة إلى بلادها، ونفهم من الرسالة أيضاً أن الإلهة (عشتار) لم يكن ذهابها هذا إلى مصر هو أول زيارةٍ لها لهذه البلاد، فقد ذهبت في زمن الوالد الملك (توشراتا)، وهذا ما لم نعثر له على تأكيدٍ في غير هذه الرسالة، ثم يطلب الملك (توشراتا) من الفرعون العناية بالإلهة (عشتار)، وزيادة تقديسها، والاهتمام لأمر عودتها، ثم يدعو الإلهة (عشتار) سيدة السماء أن تحيطهما برعايتها.

وكذلك ورد اسم الإلهة (عشتار) في نصٍّ كتابيٍّ عُثر عليه في تل العمارنة أيضاً وجاء فيه: (الإلهة (عشتار) حامية أكد، يقول (سرجون) ملك أكد)، وهذا النص يختلف عن النصوص الأخرى، فهو ليس من الرسائل وموضوعه يختلف عن مواضيع النصوص السابقة، وربما يكون وصوله إلى مصر من قبيل انتشار الأدب الرافديني القديم إلى المناطق الأخرى، أو لتعليم اللغة الأكدية للكاتب المصري[٢].

وكذلك وردت لنا نسخةٌ من أسطورة (نركال) الرافدينية، وجدت في تل العمارنة، ويعود تأريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وهي نسخةٌ مختصرةٌ لا تتجاوز تسعين سطراً، أما النسخة المفصلة من هذه الأسطورة، فقد عُثر على أجزاءٍ منها في (سلطان تبة) أحد تلول حران في أعالي نهر البليخ في القرن السابع قبل الميلاد[٣].

---

(١) المصدر نفسه،ص١٣٩-١٤٠ .
(٢) عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة ،ص١٤٠ .
(٣) سامي سعيد الأحمد ، ملحمة جلجامش ، ( بغداد ، ١٩٨٤ ) ، ص١٢ .

ووُجدت كذلك في تل العمارنة نصوصٌ أدبيةٌ أخرى مهمةٌ مثل قصة أدبا، ووجدت أيضاً نسخةٌ من قصة بطل الحرب، وهذا يدل على انتقال الأفكار الرافدينية إلى وادي النيل، بل إن منطقة الشرق الأدنى في هذه المدة شهدت وحدةً حضاريةً وامتزاجاً فكرياً[١].

إن العثور على نسخة تل العمارنة يدل على أن هذه الأسطورة وصلت مصر وعرفها المصريون منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وبما أن أسطورة (أوزير) التي يتضح فيها المبدأ الأوزيري بالخصب لم تظهر بصورتها الكاملة إلا في القرن الأول الميلادي بعد عصرٍ متأخرٍ عن هذا التاريخ؛ فإن من الممكن أن يكون هناك تأثيراً امتدادياً للأسطورة (نركال) في أسطورة (أوزير)[٢]، كذلك توجد أدلةٌ على تأثيرٍ رافدينيٍّ بشكلٍ غير مباشرٍ عن طريق سوريا التي أشرنا إلى تأثرها بالعقائد الرافدينية، فهناك الكثير من الآلهة السورية التي عُبدت بوادي النيل، مثل الربة قادش (Qadesh) التي دخلت بلاد وادي النيل في عصر الدولة الحديثة(١٥٨٠-١٠٨٥ق٠م )، وقد شُبهت بالإلهة (حتحور) بعدّها إلهة حبٍّ، وهي غالباً ما تُمثَّل على هيأة امرأةٍ عاريةٍ واقفةٍ على ظهر أسدٍ، وتُمسك بكلتا يديها باقاتٍ من الزهور[٣].

والتأثير المتبادل بين الآلهة السورية وآلهة وادي النيل، كان كبيراً جدا . وبالأدلة . ولاسيما بعد غزو الهكسوس (١٧٨٥ ق ٠م )لبلاد وادي النيل[٤].

أما فيما يخص تأثير إلهة الخصب لحضارة وادي النيل في حضارة بلاد الرافدين، فلم نعثر على ذكرٍ لتأثيرات هذه الآلهة.

ومن هذا العرض نرجح أن تطور المبدأ الأوزيري بتأثيرٍ رافدينيٍّ، وبما أن عقائد حضارة وادي النيل متغيرةٌ وقابلةٌ للتطور، فإن المبدأ الأوزيري قد تطورت مفاهيمه بعد غزو الهكسوس[٥] وادي النيل، وأصبحت له مشتركاتٌ كثيرةٌ مع عبادة (عشتار) في بلاد الرافدين على الرغم من

---

(١) ينظر :محمد صبحي عبدالله ،العلاقات العراقية المصرية ،ص١٠٧-١٠٨ ٠

(٢)مع إن هناك ذكر لوزير وايزيس يعود إلى كتابة الأهرامات لكن الأسطورة استمرت بالتغير ولم ترد لنا نسخة كاملة إلا على يد المؤرخ اليوناني بلوتراخ ينظر :روبرت ارموار ،آلهة مصر ،ص٥٥ ٠

(٣) مانفرد لوركر ،معجم المعبودات ،ص١٩٥ ٠

(٤) عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة ،ص١٤٥ -١٥٣ ٠

(٥) الهكسوس الكلمة تتكون من مقطعين حق وتعني الحكام وشاسو التي تعني البدو ومن المحتمل إن المقطع الأخير دون باليونانية سوس إما أصلهم فهم جزء من الأقوام الجزرية التي استقرت في بلاد الشام وفلسطين وبعد ذلك اندفعت إلى وادي النيل أخر أيام المملكة الوسطى ينظر :طالب منعم حبيب ألشمري ،الوضع السياسي في الشرق الأدنى القديم ،ص١٢٣ ٠

اختلافهم في بعض الوظائف المهمة، مثل عقائد ما بعد الموت، أو وظيفة (حورس)، لكنهما تشابها في الموضوع الرئيس للخصب، وهو أن تكون هناك قوة خصبٍ فاعلةٍ تُحرك الخصب والجنس بين بني البشر، وفي الطبيعة[١].

وهذا ما تشترك به (عشتار) مع (أوزير) مع اختلاف الجنس، وبما أن من وظائف (عشتار) مع غيرها من الآلهة، هي وظيفة الإلهة الأم التي تُمثل الأرض قبل تطور الفكر الرافديني ومعرفتهم أن الأرض ليست وحدها التي تتحكم بالخصب، فمن الممكن أن تكون تسمية (أوزير) بلفظ المذكر لأن الأرض في اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) كانت مذكرةً، وبهذا يُمكن أن تكون بسبب تأثير الحضارة الرافدينية المباشر وغير المباشر في حضارة وادي النيل، من تطور هذا المبدأ، وأصبح أهم العقائد الدينية التي تُمثل الخصب في وادي النيل[٢].

والذي يُعد تطوراً فكرياً لمفهوم الخصب من المادية إلى التجريد[٣]، وتكوين فكرة عن أن الطبيعة والبشر لايتم لهم الخصب من غير قوةٍ إلهيةٍ تكون هي المحرك للخصب والعلاقات الجنسية في الطبيعة، وبين بني البشر، وهي قوةٌ إلهيةٌ يجب التقرب إليها لتحقيق الخصب، ولكن من الملاحظ أن بلاد الرافدين كانت فيها (عشتار) متفردةً بهذه الوظيفة.

أما في وادي النيل؛ فلم يتفرد (أوزير) بالخصب، بل إن آلهةً أخرى ظلت مؤثرةً في الخصب؛ مثل الإله (رع) أو (خنوم) أو (مين)، وهذا ناتجٌ من تعدد أصل الديانة في وادي النيل، ولكن الشعب في هذا الوادي أقبل على هذا المبدأ نتيجةً لأن المعتقد الأوزيري يسمح للعامة بالخلود على غير عقائد الإله (رع)[٤].

ويُمكن القول: أنه وعلى الرغم من كثرة اتصال وادي النيل بالحضارات الآسيوية ازداد انتشارُ هذه العقائد وانتقلت من وادي النيل إلى بلدانٍ أخرى، بل إن هذا المبدأ كان نقلةً فكريةً للإنسانية، كانت بلاد الرافدين أساسها، وكانت بلاد وادي النيل مصدر إشعاعها الثاني، فهذه البلاد هي المبدع لفكرة الخلود التي يُمثلها (أوزير).

---

(١) ينظر :المبحث الأول من الفصل الاول من الرسالة ٠
(٢) ينظر:المبحث الثاني من الفصل الاول من الرسالة ٠
(٣) ينظر :سيتن لويد ،فن الشرق الأدنى ،ص٦١ ٠
(٤) ينظر:المبحث الثاني من الفصل الأول من الرسالة ٠

توخياً للدقة في معرفة التسلسل الزمني للحضارة المصرية، أوثق ما جاء به علماء الآثار، واعتمده اليونسكو في كتاب تاريخ إفريقيا العام/ المجلد الثاني (نقلاً عنه). (ينظر: بول فريشاور، الجنس، ص١١٥)

| | |
|---|---|
| فيما بين (٥٠٠٠ . ٤٠٠٠) ق.م | العصر الحجري الحديث |
| نحو (٤٠٠٠ . ٣٢٠٠) ق.م | عصر النحاس |
| (٣٢٠٠ . ٢٧٨٠) ق.م | الحقبة التاريخية الأولى<br>(الأسرتان: الأولى، والثانية) |
| (٢٧٨٠ . ٢٢٨٠) ق.م | المملكة القديمة (عصر الأهرامات)<br>(الأسرة الثانية حتى الأسرة السادسة) |
| نحو (٢٤٠٠) ق.م | بتاح حوتب |
| نحو (٢٢٨٠ . ٢٠٢٥) ق.م | الفاصل الزمني الأول<br>(الأسرتين: التاسعة والعاشرة) |
| (٢٠٥٢ . ١٧٧٨) ق.م | المملكة الوسطى (الأسرتان: ١١ و ١٢) |
| (١٧٧٨ . ١٥٦٧) ق.م | الفاصل الزمني الثاني<br>(الأسرتان: ١٣ و ١٧) حكم الهكسوس |
| المملكة الجديدة | مرحلة الازدهار<br>(الأسر: من١٨ حتى٢٠ كتاب الموتى) |

| | |
|---|---|
| (١٥٠٤ . ١٤٨٣) ق.م | حتشبسوت<br><br>تتسلم العرش بتنصيبها فرعوناً |
| (١٣٧٢ . ١٣٥٤) ق.م | أمنوفس الرابع (إخناتون) |
| (١٠٨٥ . ٧١٥) ق.م | الفاصل الزمني الثالث<br><br>(الأسر من ٢١ حتى ٢٤) |
| (٧١٥ . ٣٣٠) ق.م | الانحطاط (الأسر من ٢٥ حتى ٣٠) |
| (٣٣٠ . ٣٠) ق.م | العصر الهلنستي (البطالمة) |

# الفصل الثاني

# عقائد الخصب في حضارتي بلاد الرافدين ووادي النيل في ضوء الأساطير

## المبحث الأول: عقائد الخصب في حضارة بلاد الرافدين

## في ضوء الأساطير

## المبحث الثاني: عقائد الخصب في حضارة وادي النيل

## في ضوء الأساطير

## المبحث الثالث: مقارنة عقائد الخصب في الحضارتين

## في ضوء الأساطير

**عقائد الخصب في حضارة بلاد الرافدين في ضوء الأساطير**

**مدخل إلى الأساطير**

ليس ثمة شكٌ في أن الكون يُدهش الإنسان ويدفعه إلى التفكير فيه كثيراً، وأفضل الأدمغة الإنسانية هي هذه النخبة من العقول العميقة والوقادة التي نلقاها في كلّ العصور، وفي كل المجتمعات، وفي كل الثقافات؛ قد جمعوا تأملاتهم جيلاً بعد جيلٍ؛ لكي يُعللوها بالوسائل الفكرية الوحيدة التي كانت في حوزتهم، أي: إنهم التجأوا إلى تركيب صورٍ وظروفٍ وأحداثٍ لا يمكن السيطرة عليها، وهي قادرةٌ على تزويدهم بما يكفيهم، أي: بشرحٍ محتملٍ على الأقل للأسرار التي كانوا يُحسون بكونهم يعيشون فيها، وهذا ما يُطلق عليه: (الميثيولوجيا)[١]، أي: علم الأساطير[٢].

والأسطورة تُمثل نظرة الإنسان إلى أصل الوجود والكون، وثنائية الموت والحياة، ومسألة الخير والشر والعدالة الإلهية، ومسالة الخلود، وغيرها من الموضوعات التي تخص الآلهة في نظر الإنسان القديم[٣].

وقد كُتبت الأسطورة بأسلوبٍ شعريٍ خاصٍّ، فهي (ضربٌ من الشعر يسمو على الشعر بإعلانه حقيقةً ما، ضربٌ من التعليل بأنه يبغي إحداث الحقيقة التي يُعلن عنها، ضربٌ من الفعل أو المسلكة المراسيمية لا يجد تحقيقهُ بالفعل نفسه، ولكن إن يعلن ويوسع شكلاً شعرياً من أشكال الحقيقة)[٤].

واقترنت الأسطورة في لغة العرب بمفهوم الأحاديث المنمقة، أو المزخرفة، وهي مأخوذةٌ من الجذر الثلاثي للفعل (سطر)، والأساطير: جمع أسطورةٍ، وتأتي مفردةً بصيغٍ واشتقاقاتٍ

---

([١]) الميثيولوجيا ( Mythology)تسمية أوربية المشتق الأول من الكلمة Mytho مأخوذة من اليونانية Mutho التي تعني حكاية تقليدية عن الآلهة والأبطال، أما الشق الثاني Logy فيعني العلم ينظر :فراس السواح ،مغامرة العقل الأولى ،ص١٢٠

([٢]) جان بوتيرو ،بلاد الرافدين ،ص٢٦٥ ٠

([٣]) صلاح سلمان رميض الجبوري ، أدب الحكمة في وادي الرافدين ، طـ١ ، ( بغداد ، ٢٠٠٠ ) ، ص١٩ .

([٤]) هنري فرانكفورت وآخرون،ما قبل الفلسفة ، ص١٩ ؛ينظر: فراس السواح ، الأسطورة والمعنى ، ( دمشق ، ١٩٧٧ ) ص١ ؛ ينظر ايضاً :اليكسي لوسيف ،فلسفة الأسطورة ،ترجمة ، منذر بدر حلوم ،ط١ ،(اللاذقية ،٢٠٠٠ )،ص٢٢٢-٢٢٣ ٠

ٍمختلفةٍ، فيُقال: إسطار، وإسطارة (بالكسر)، وأساطير، وأسطورةٌ (بالضم)، وسطر: إذا كتب؛ كما ورد قوله تعالى: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ}[١]، وسطرها: بمعنى ألفها، وسطر علينا: أتانا بالأساطير، وسطر فلان على فلان، إذا زخرف له الأقاويل ونمقها، وتلك الأقاويل: الأساطير[٢].

والأسطورة قديماً كانت محاولةً لفهم نظام الكون، وهي تحتوي على معنى خفي مغلف بالرموز المتشابكة، وقد عني الباحثون بالكشف عن هذه الرموز التي أدركوا بعد البحث العلمي العميق أنها ليست مجرد خيالٍ لا ضابط له، بل تحكمها عواملٌ نفسيةٌ وحضاريةٌ معقدةٌ، والأسطورة: إخراجٌ لدوافع داخليةٍ في أشكالٍ مجسدةٍ[٣].

إن الرموز التي تبدو غامضةً لنا كانت تبدو واضحةً جداً عند السكان آنذاك، فالتلميح إلى رمز إلهٍ معينٍ . مثلاً كان يُعد كافياً لنقل المعنى لعقل السامع، أي: إن استخدام الرموز في الأساطير للدلالة على مفهومٍ أوسع أتقنه الإنسان بشكلٍ مبدعٍ[٤].

إن الجهود التي بذلها الباحثون من أجل التعمق في فهم المعنى الضمني للأساطير تتعلق . حقيقةً . بما تتمتع به هذه الأساطير من قوةٍ إيحائيةٍ لوجود الإنسان[٥]، وعلى الرغم من اختلاف الباحثين في مفهوم الأسطورة نجد منهم من يُؤكد أن الأسطورة تروي تاريخاً دينياً، وأنها يجب أن تُفهم على أنها ظاهرةٌ دينيةٌ، وهذا هو الباحث (ميرسيا إلياد) المتخصص في تاريخ الأديان[٦]،

بينما يُفسرها يونغ[٧] تفسيراً نفسياً، أي: إن الأسطورة وسيلةٌ لوصول الإنسان إلى حالة التوازن بين القوى المتصارعة في نفسه[١].

---

(١) سورة القلم ، آية ١ .

(٢) أبن منظور ، لسان العرب ، مج، ٤ ، سطر ، ص٣٦٣ - ٣٤٦ .

(٣) ينظر :نبيلة إبراهيم ، الأسطورة،(بغداد،١٩٧٩ ) ، ص١٥ ؛ينظر ميرسيا الياد ،مظاهر الأسطورة ،ترجمة نهاد خياطة ،ط١ ،(دمشق ،١٩٩١ )،ص١٤-١٧ .

(٤) فاتن موفق فاضل ، رموز الآلهة في العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الموصل ، ٢٠٠٢ ، ص٨ .

(٥) عبد الناصر محمد نوري عبد القادر،الأسطورة وعلم الأساطير،عن الموسوعة البريطانية ،( بغداد ، ١٩٨٦ )، ص١٠ .

(٦)تاريخ المعتقدات والأفكار ،ج١ ،ص٩ .

(٧)يونغ :عالم نفسي أسس المدرسة اليونغيه التي تبنت هذا الري الذي يخالف رأي مدرسة التحليل النفسي التي أسسها فرويد ينظر:نبيلة إبراهيم ،الأسطورة ،ص١٩ .

ويُمكن تعريف الأسطورة أيضاً بأنها نظامٌ فكريٌّ متكاملٌ استوعب قلق الإنسان الوجودي وتوقه الأبدي لكشف الغوامض التي يطرحها محيطه، وإنها أيجاد نظامٍ حيث لا نظام، وإنها مجمع الحياة الفكرية والروحية للإنسان القديم(٢).

وقد نشأت الأسطورة قديماً عندما كان الناس مرتبطين بالأرض والأشجار والبحار والتلال، وإن تأمل الإنسان بهذه الظواهر وعلاقتها بحياة الإنسان على الأرض، فإن التعجب سينجم من هذا التأمل، وهذا التعجب يُثير التساؤل، فإذا أُثير السؤال؛ فلا بد من الإجابة، حتى تهدأ نفس الإنسان، فإذا مُثل نظام الكون والإنسان وكيفية خلقهما، وتلازم الخير والشر وصراعهما في شكل حكاية؛ فإن هذه الحكاية ستمثل أول مراحل التفكير التأملي، وهي التي تُسمى (الأسطورة)(٣).

وبما أن الإنسانية في تلك الأزمان لاتحتكم فيها المعتقدات إلى العقل، وإنما هي تستهدي الرغبة أو الحاجة إلى معرفة علة الكائنات(٤).

والأسطورة تحكي تاريخاً مقدساً، أي: حدثاً بدائياً حصل في بداية الزمن إلا أن شخصيات هذا التاريخ كانت آلهة، إذن؛ هي تاريخٌ لما سبق أن حصل في الزمن الأول، وقصة ما فعلته الآلهة في بدء التكوين الذي لا يُدرك الإنسان كيفية حدوثه، أي: إنها تأسيسٌ لحقيقةٍ مقدسةٍ مطلقةٍ في نظر ذلك الإنسان(٥).

وأقدم الحضارات العالمية، والثورة الزراعية، واستقرار السكان، ظهر في بلاد الرافدين(٦)، وتدل النصوص الأدبية التي اكتشفت في هذه البلاد على أن سكانه قد أطالوا التأمل في الطبيعة، وفكروا في أصل الكون وكيف نشأ منذ زمن عصور قبل التاريخ، لكن إنضاج هذه الأفكار، ووضع أسس الفكر الديني، والتفكير الأسطوري؛ تم في الألف الثالث قبل الميلاد، وصارت هذه

---

(١) المصدر والصفحة نفسهما ؛ينظر : سليمان مظهر ،أساطير الشرق ،ص٥-٠٧.
(٢) فراس السواح ، مغامرة العقل ، ص١٥ .
(٣) نبيلة إبراهيم ، الأسطورة ، ص١٠ ؛ ينظر :ميرسيا الياد ،الأساطير والأحلام والإسرار،ترجمة حسيب كاسوحة ، دمشق ،٢٠٠٤ )،ص٢٢- ٢٤ ٠
(٤)ب كوملان ، الأساطير الإغريقية والرومانية ، ترجمة أحمد رضا ، ( القاهرة ، ١٩٩٢ ) ، ص٥ .
(٥) ميرسيا الياد ،المقدس والمدنس ،ترجمة عبد الهادي عباس ،ط١ ،(دمشق ،١٩٨٨ )،ص٧٣-٧٤ ٠
(٦) ينظر :المبحث الأول ،من الفصل الأول ،من الرسالة ٠

الأسس لاحقاً قواعد وشرائع تحتذي بها الحضارات اللاحقة في الشرق الأدنى والعالم القديم[١]، ولقد تميز الفكرُ الأسطوري الرافديني[٢] بالشمولية والإنسانية، فنجد فيه معالجةً شاملةً للقضايا الأساسية للإنسانية؛ لذلك؛ أحدث هذا الفكر تفسيراً فكرياً عالمياً بعد انتشاره في شعوب العالم القديم[٣].

وربما كانت ظاهرة الخصب والجدب من أكبر الظواهر الكونية التي شغلت الإنسان القديم[٤]، وبما أن الأسطورة كانت من أهم وسائل ذلك الإنسان لفهم ظواهر هذا الكون . ومنها الخصب . حفظت لنا الألواح المسمارية في بلاد الرافدين الكثير من النصوص الأسطورية التي يُمكن أن نفهم منها عقائد الخصب[٥] والطقوس الدينية التي ارتبطت بها ومارسها الإنسان للتقرب إلى الطبيعة[٦]، ومن هنا تأتي أهمية الأسطورة؛ فإن العقائد الدينية لا يمكن فهمها إلا عن طريق الأسطورة، أما معرفة وظائف الآلهة فيها فيمكن تقسيم هذه الوظائف على النحو الأتي:

**أثر الآلهة الذكرية في العلاقات الجنسية والخصب:**

لقد كان من نتاجات الفكر الرافديني القديم فكرة زواج الآلهة والعلاقات الجنسية بينها وقدسية هذه العلاقات؛ لأهميتها للخصب في الطبيعة، والإنسان، والحيوان[٧]، لذا؛ ينبغي توضيح هذه العلاقات وأهميتها للخصب عند الإلهة الرئيسة في ضوء الأساطير في الحضارة الرافدينية.

---

(١) صموئيل نوح كريمر ، هنا بدأ التاريخ ، ترجمة ناجية المراني ، ( بغداد ، ١٩٨٠ ) ، ص٢٦ ؛ ينظر أيضاً : خزعل ألماجدي ،متون سومر ،ط١ ،(عمان ،١٩٩٨ )،ص٣٥-٣٦ ٠

(٢) لمعرفة أنواع الأساطير الرافدينية ومواضيعها ينظر :طه باقر ،مقدمة في أدب العراق القديم ،(بغداد ،١٩٧٦ )، ص٣٢-٥٢ ؛ ينظر ايضاً : فاضل عبد الواحد علي ،سومر أسطورة وملحمة،(بغداد ،٢٠٠٠ )،ص٨٥-١٤٦ ٠

(٣) محمد خليفة حسن أحمد ، الأسطورة والتاريخ. ص٣ .

(٤) نبيلة إبراهيم ،الأسطورة ،ص٣٠ ٠

(٥) فاضل عبد الواحد علي ،عشتار ومأساة تموز ،ص٨٥ ٠

(٦) سوسن هادي جعفر ألبياتي ، أساطير العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية، تكريت ، ٢٠٠٤ ،ص١٣ .

(٧) صموئيل نوح كريمر ،طقوس الجنس المقدس ، ص٧٧ ٠

١. آن (**آنو**): ونبدأ بعلاقته مع إينانا (عشتار) التي ظهرت في عدد من النصوص على أنها ابنته؛ كما في ملحمة (جلجامش)، وفي نصوصٍ أخرى ظهرت على أنها زوجته، كما في النص الأتي:

**من آنو . زوجها . طلبت له**

**حياةً دائمةً وطويلةً**

**منحته هي . عشتار . وأعطته**[١]

نستدل من هذا النص على أن (عشتار) كانت زوجة الإله (آنو)، وتتضح لنا العلاقة الوثيقة بين (آنو) وإينانا (عشتار)، ووظائف هذه الإلهة على أنها ملكة الفرائض أو السمات، والمرأة التي تهب الحياة، ومحبوبة، آلهة السماء والأرض، وأنها إلهة حرب ترتعد لصرختها الأرض الغريبة، وأنها حاملةٌ لأوامر (آنو) من نصٍ من صلاة ابنة سرجون الأكدي (٢٣٧٠ . ٢٣١٦ ق.م )انخدونا إلى الإلهة (إينانا) في أور تصفها بأنها:

**ملكة جميع الفرائض، النور المشع**

**المرأة التي تهب الحياة محبوبة آن وارش الأرض**

**(...) التي تنطق بالكلمات وفق أوامر (آن)**

**(...) إنك تحملين أوامر (آن)**

**يا مليكتي، الأرض الغريبة ترتعد لصرخاتك**[٢]

والإله آن (آنو) هو مصدر السلطة ومبدأها الفاعل في المجتمع البشري وفي الكون وهو القوة التي أخرجت الكون من الفوضى، كما يتضح من النص الأتي:

**بعد أن خلق آنو السماء**

---

(١) رينيه لابات ،المعتقدات الدينية ،ص٢٨٧ .
(٢) يوسف الحوراني ، البنية الذهنية ،ص١٦٤-١٦٥ .

**قامت السماء بخلق الأرض**

**والأرض خلقت الأنهار**

**والأنهار خلقت الأقنية[١]**

وهكذا نجد تسلسلاً متدرجاً للعلاقات يبدأ بالمبدأ الذي هو (آنو) السابق للسموات، وبما أن (إينانا) محبوبته وزوجته، وهو مصدر السلطة المطلقة؛ فإن لها أهميةً في فكر إنسان وادي الرافدين[٢].

٢. **إنليل:** يتضح أثر (إنليل) في خصب الطبيعة، والحيوانات، وفي البشر، فلولاه لا تُشيد المدن، ولا تَعطي الأنهار مياهها، ولا البحار تعطي كنوزها الوفيرة، وبذلك تظهر وظيفته راعياً للمخلوقات والخصب كما في النصوص ألآتية:

**بدون إنليل، الجبل العظيم**

**لا المدائن شُيدت، ولا المقار أُسست**

**ولا الاصطبلات شُيدت، ولا حظائر الغنم أُقيمت**

**ولا الأنهار مياهها العالية جلبت الفيض**

**ولا البحر أعطانا ـ مختاراً ـ كنوزه الوفيرة**

**ولاسمك البحر وضع بيضه في الأحواض**

**ولا طيور السماء نشرت أعشاشها على الأرض الرحيبة**

**ولا الغيوم المحملة بالغيث في السماء فتحت أفواهها**

**ولا الحقول والمروج امتلأت بالحب الكثير**

---

(١) نائل حنون ، عقائد الحياة والموت ،ص٣٠ .
(٢) يوسف الحوراني ،البنية الذهنية ،ص١٦٤ .

**ولا الإعشاب والحشائش في السهول نبتت**

**ولا أشجار الجبل الكبير في البستان حملتَ ثمارها**

**ولا البقرة أرضعت عجلها في الإسطبل**

**ولا الغنمة ولدت حملها في الحظيرة**

**ولا الجموع الغفيرة من بني البشر اضطجعت آمنة**

**ولا البهيمة من ذوات الأربع ولدت صغارها**

**ولا رغبت في التناسل**[١]

ومن هذا النص يكون عمل الإله (إنليل) مكملاً لعمل الإله (آنو) ففي قوة الألوهية المطلقة يكون (إنليل) هو الفعل المتحرك الحاكم للمصائر كما في النص الأتي:

**لما آنو العلي، ملك الأنوناكي**

**وإنليل سيد السماء والأرض**

**مقرر مصائر الأرض**[٢]

أي: إن تقرير المصائر من وظائف هذا الإله بأوامره أو بكلمته، وتظهر أهمية كلمة إنليل . التي لاتتبدل . بخصب الطبيعة، وارتباط هذا الإله بالأرض والزرع والماء، وأثره في إيجاد الخصب من تقارب السماء و الأرض، كما في النص الأتي:

**تقارب السماء فيكون الفيض**

**من السماء ينزل الفيض إلى الأرض**

**تلامس الأرض فتكون الوفرة**

---

(١) صموئيل نوح كريمر ،طقوس الجنس المقدس ،ص٨٠ .
(٢) يوسف الحوراني ،البنية الذهنية ،ص١٥٩ .

**من الأرض تصدر براعم الخصب**

**حكمتك هي الزرع كلمتك هي الحبوب**

**كلمتك هي الماء الغامر حياة جميع البلاد**[١]

أما أثر (إنليل) في العلاقات الجنسية التي تُؤدي إلى الخصب، فإنه يظهر واضحاً في أسطورة (إنليل) و(ننليل)[٢] التي تدور أحداثها في مدينة (نفر) التي كان سكان وادي الرافدين يعتقدون وجودها قبل خلق الإنسان تبدأ الأسطورة بوصف المدينة:

**انظر تماسك السماء والأرض**

**انظر (إيدسالا)، نهرها الصافي**

**انظر بولال، بئر مائها العذب**

**انظر إنليل، فتاها الشاب**

**انظر ننليل عذراءها الفتية**[٣]

يتضحُ من هذا النص وصف المدينة، وتأكيد أهمية الماء في وصف بئرها ونهرها وذكر أبطال الأسطورة، وتشبيه الآلهة بالبشر في علاقتها الجنسية التي تؤدي إلى الخصب والإنجاب، وكيف أن الإله (إنليل) لم يقو أمام جمال (ننليل) التي شُبهت بالأنثى الجميلة العذراء، أي: إن أقوى الآلهة لا يقاوم سلطة الجنس، ويظهر ذلك من تحذير الأم لابنتها، كما في النص الآتي:

**لا تستحمي في مجرى الماء الصافي**

**لا تتنزهي، أي إنليل على طول القناة الأميرية**

---

(١) صموئيل نوح كريمر ،طقوس الجنس المقدس ،ص٨١ .

(٢) أسطورة انليل وننليل:وهي أسطورة سومرية تتألف هذا النص السومري من (١٥٤ ) سطراً وصلنا بشكل كامل وهو يعود إلى الفترة البابلية القديمة حوالي (١٧٠٠ ق م ) تم العثور عليه في مدينة نفر ينظر :قاسم الشواف ،ديوان الأساطير ،ط١ ،(بيروت ،١٩٩٦ )،الكتاب الأول ،ص٣٩ .

(٣) -صموئيل نوح كريمر ،الأساطير السومرية،ص٧٠ ؛ينظر :

Michael Jordan , Dictionary of Gods and Goddesses ,p 90-91 .

**الجبل الكبير إنليل المهيب، ذو النظرة البراق**

**سوف يُسلط عليك عينه**

**سوف يلجك ويجامعك**

**سوف يحبلك ساكباً فيك بحبوحته كلها**

**بذرته الشهوانية**(١)

ويستمر النص في توضيح عقائد الخصب والعلاقة الجنسية، ومحاولة (إنليل) إقناع (ننليل) بالجماع وهي رافضةٌ ومتمنعةٌ:

**رآها الراعي ... الذي يُقرر المصائر صافي العينين**

**ويتحدث السيد إليها عن الجماع وهي عازفةٌ**

**إن مهبلي صغيرٌ ولا يعرف المضاجعة**

**وشفتاي صغيرتان ولا تعرفان التقبيل**(٢)

وينتقل النص إلى وضع خطة من قبل (إنليل) ووزيره حتى يتمكن (إنليل) من مضاجعة (ننليل) التي ما زالت عذراء لا تعرف العلاقات الجنسية، وتخشى من هذه العلاقة مع مقرر المصائر الذي يعرف أهمية العلاقات الجنسية لاستمرار الخصب وتكاثر الآلهة، وليتمكن من إيجاد (سين) إله القمر، وذلك لارتباط الزراعة في تلك العصور بدورة القمر، ومن واجبات (إنليل): الخصب، كما في النصوص التي ذكرناها سابقاً، ويُطبق (إنليل) مكيدته كما في النص الآتي:

**حينذاك توجه إنليل إلى خادمه نوسكا**

**أي خادمي، نوسكا**

---

(١) قاسم الشواف ،ديوان الأساطير ،ص٤٠ .
(٢) صموئيل نوح كريمر وآخرون ،أساطير العالم القديم،ص٧٨ .

**أنت يا من خطط لي الإيكور[١]**

**ليأمر سيدي**

**هذه اليافعة ذات البهاء والظرف**

**لم يلجها أحدٌ بعدُ، لم يُجامعها أحدٌ**

**عند ذلك زود الخادم سيده بتفصيلة قاربٍ**

**وجلب له ما يُشبه الفُلك الكبير**

**تغلغل الملك بين القصب**

**ضاجع ننليل وجامعها**

**سكب إنليل في أحشائها بذرة ابنه سين[٢]**

بعد هذا الفعل تُقرر الآلهة معاقبة (إنليل) على اغتصاب (ننليل)، ويُقررون إخراجه من المدينة[٣]، فيُغادر (إنليل) إلى العالم الأسفل، وتلحقه (ننليل) التي عرفت أهمية العلاقات الجنسية لاستمرار الخصب، فتلد ننا (سين) إله القمر، ويتقمص (إنليل) هيأة حارس باب العالم الأسفل، ويُضاجع ننليل، فتحمل وتلد (مسلامتايا) المعروف باسمِ (نركال) ملك العالم الأسفل[٤].

من هذه الأسطورة نستدل على قدسية العلاقات الجنسية بين الآلهة، وأثرها في خصب الطبيعة، وإيجاد الآلهة المسؤولة عن الأجرام السماوية، أما علاقة (إنليل) بـ(إينانا) (عشتار) فهي علاقةٌ وثيقةٌ لأهمية (إينانا) في استمرار الخصب، لذلك يُعطي (إنليل) المتحكم بالمصائر لـ(إينانا) السماء والأرض، ويُحكمها بجميع الأشياء، وبذلك تتسلم من (إنليل) ملوكية هذه الآلهة واعترف بأهمية إلهة الخصب كما في النص الآتي :

---

(١) الايكور :معبد انليل في نفر ينظر قاسم الشواف ،ديوان الأساطير ،الكتاب الأول ،ص٤١ ٠
(٢) قاسم الشواف ،ديوان الأساطير ،الكتاب الأول،ص٤١-٤٢ ٠
(٣) صموئيل نوح كريمر ،أساطير العالم ،ص٧٩ ٠
(٤) المصدر نفسه ،ص٧١ ٠

**بهذا فرح السيد نونامنير(١)**

**وابتهج قلبه**

**لابنة سين، ابنة الحبيب**

**أيتها الملكة عشتار كما أعطت لك السموات**

**لتكن الأرض . أيضاً كذلك .**

**أيتها السيدة لتُعطَ لك الأرض الفسيحة**

**التي تُنشئ جميع الأشياء(٢)**

نستدل من هذا النص على العلاقة الوثيقة بين الإله (إنليل) المتحكم بالمصائر والإلهة (عشتار) وتحكمها بالسماء والأرض وجميع الأشياء

**٣- إنكي (إيا)**

ويتضح أثر الإله (إنكي) ثالث الآلهة الرئيسة في الحضارة الرافدينية في خصب الطبيعة من النصوص الآتية:

**عندما الأب إنكي جاس خلال الأرض المبذورة طلع الزرع خصيباً**

**عندما نود يمود قدم إلى نعجتي المنجية ولدت حملها**

**عندما قدم إلى بقرتي المبذورة وضعت عجلها المنتج**

**عندما قدم إلى عنزتي المنجية وضعت جديها المنتج**

**وأنت عندما تذهب إلى الحقل إلى الحقل المحروث**

(١) من أسماء الإله انليل ينظر :صموئيل نوح كريمر ،الأساطير السومرية ،ص٧٢ ٠
(٢) رينيه لابات ،المعتقدات الدينية ،ص٢٩٣ ٠

**تُكدس أكواماً وتلالاً من الحبوب فوق السهول العالية**(١)

وفي هذا النص تتشابه وظائف (إنكي) و(إنليل) في خصب الطبيعة، و في نصٍ آخر يظهر أثر (إنكي) في الخصب بشكل واضحٍ، ولأنه إله الماء، ولأن لماء الفرات ودجلة أثرٌ مهمٌ في خصب الأرض، فضلاً عن تشبيهه بالثور، كل هذه أدلةٌ على قوة خصب الماء للأرض، كما في النص الآتي:

**عندما رفع الأب إنكي عينه على نهر الفرات**

**وقف بخيلاءٍ كالثور الهائج**

**فملأ دجلة بالماء الرقراق**

**استسلم له دجلة كما لثورٍ هائجٍ**

**رفع قضيبه ومعه هدية الزفاف**

**جاء بالفرح إلى دجلة مثل ثورٍ بريٍّ كبيرٍ عند الإخصاب**

**الحبوب التي جاء بها حبوبه الغنية يأكلها الناس**

**ملأ إيكور بيت إنليل بالمقتنيات**

**بانكي إنليل يبتهج وتسر نيبور**(٢)

ذكر (إنكي) و(إنليل) بشكل متتالٍ تأكيداً لما أسلفنا بعدم تخصص إلهٍ واحدٍ من الإلهة للخصب، فالعلاقات الجنسية والخصب تُمارسها كل الآلهة الذكرية مع الآلهة الأنثوية بسبب التشابه الموجود في الفكر الرافديني بين الدولة الكونية للإلهة والدولة في بلاد الرافدين كما يظهر

(١)صموئيل نوح كريمر،طقوس الجنس المقدس ،ص٨٢ .
(٢)صموئيل نوح كريمر،طقوس الجنس المقدس ،ص٨٢ .

هذا الأثر للإله (إنكي) في علاقاته الجنسية مع الإلهة (ننخرساك) كما في أسطورة (إنكي وننخرساك)[١]

**وحده إنكي الفطن وإمام نينتو أم البلاد**

**إنكي الحاذق إمام نينتو (أم البلاد)**

**ملأ بماء قضيبه المجاري جمعاء**

**وبماء منيه الغزير أغرق منابت القصب**

**ممزقاً بقضيبه الكساء الذي كان يستر حضن الأرض**

**من أجل (دامكال . نونا)[٢] خصص إنكي منيه**

**وسكبه في رحم (ننخرساك)**

**ويتلقيها في رحمها المني . مني إنكي .[٣]**

وينتقل النص إلى أشهر الحمل التي تذكر الأسطورة أنها بعدد أشهر الحمل للمرأة، وكذلك علاقة الماء بالأرض (إنكي) إله الماء[٤].

**عند ذلك ومن أجلها عُدّ اليوم الأول شهراً**

**ويومان مضيا كشهرين**

---

(١) أسطورة انكي وننخرساك أسطوره سومريه تتألف من مائتين وثمانية وسبعون سطراً ينظر :نائل حنون ، عقائد الحياة والموت ،ص٦٦ ٠

(٢) دامكال نونا لقب من ألقاب الآلهة ننخرساك ينظر :قاسم الشواف ،ديوان الأساطير ،الكتاب الأول ،ص٢٩ ٠

(٣) صموئيل نوح كريمر ،الأساطير السومرية ،ص٢٩ ٠

(٤) Manfred Lurker ,The Routledge Dictionary,p98.

**وثلاثة أيامٍ مضت كثلاثة أشهرٍ**

**وأربعة أيامٍ كانت كأربعة أشهرٍ**

**وخمسة أيام كانت خمسة أشهرٍ**

**وستة أيامٍ بمثابة ستة أشهرٍ**

**وسبعة أيامٍ مضت وكأنها سبعة أشهرٍ وثمانية أيامٍ هي ثمانية أشهرٍ**

**وتسعة أيامٍ كانت أشهرها التسعة شهور الأمومة**[١]

نستدل من هذا النص على العلاقة الجنسية بين (إنكي) و(ننخرساك) وبما أن (ننخرساك) كانت تجسيداً للأرض والأمومة، وتذكر معها اسم الإلهة (نينتو) وهذا يُفيد أن الفكر الديني في بلاد الرافدين يُشبه المرأة بالأرض، ويُعطي هذه الوظيفة للكثير من الإلهات، ومنها (نينتو)، و(ننخرساك)، و(إينانا)، كما أنه يُشبه الظواهر السماوية، والرجل بالآلهة الذكرية، ولنأخذ مثلاً الإله (ننورتا) المتكفل بالريح الجنوبية العاصفة وإله الحرب، ويوصف كذلك فلاح (إنليل) كما في النص الآتي:

**المني الذي يهب الحياة البذرة التي تهب الحياة**

**المني الذي يهب الحياة البذرة التي تهب الحياة**

**ننورتا الذي نطق باسمه إنليل**

**يا مليكتي النعجة ولدت حملاً**

**في النهر يتدفق الماء العذب**

**في الحقل ينبت الحب الوفير**[٢]

---

(١) صموئيل نوح كريمر ،الأساطير السومرية ،ص٢٩ .
(٢) صموئيل نوح كريمر ،طقوس الجنس ،ص٨٤ .

نستدل من هذا النص على أثر (ننورتا) في الخصب[١]، إن الخصب لايُمثله إلهٌ واحدٌ كما أن كل إنسانٍ يحتاج إلى الخصب والعلاقات الجنسية، كذلك كل الإلهة الذكرية لها آثارٌ في الخصب، وكل الآلهة الأنثوية تُمثل المرأة بطلبها للخصب والعلاقات الجنسية، حتى آلهة الجحيم والعالم الأسفل تطلب العلاقات الجنسية كما في النص الآتي:

**نركال[٢] (...)**

**ذهبت إلى الحمام**

**وارتدت لباساً جميلاً**

**وأتاحت له رؤية لمحةٍ لجسدها**

**فلبى رغبة قلبه ليقوم بما يفعله الرجال والنساء**

**فتعانق الاثنان**

**وذهبا إلى السرير بولعٍ**

**استلقيا هناك، الملكة (إرشيكيكال) و(أيرا)[٣] ليومٍ**

**أولٍ، وليومٍ ثانٍ**

**استلقيا هناك، الملكة (إرشيكيكال) و(إيرا) ليومٍ**

**ثالثٍ، وليومٍ رابعٍ**

**استلقيا هناك، الملكة (إرشيكيكال) و(إيرا) ليومٍ**

---

(١) ينظر :
S Langdon M.A.THE H. Weld _ Blundell collection in THE ASHMOLEAN MUSEUM .OXFORD UNIVERSITY PRESS ,p 49 .

(٢) نركال هو اله من آلهة العالم الأسفل واله مدينة كوثي وتربيصو يشبه ايرا وننورتا ينظر :ستيفاني دالي ،أساطير من بلاد مابين النهرين ،ترجمة نجوى نصر ،ط١ ،(بيروت ،١٩٩٧ )،ص٣٨٣ ٠

(٣) ايرا اله الوباء الذي يخرب السهل ينظر : صموئيل نوح كريمر ،أساطير العالم ،ص ١٠٥ ٠

**خامسٍ، وليومٍ سادسٍ**

**وعندما حل اليوم السابع**

**نركال دون (...)**[١]

نستدل من هذا النص على أن أشد الآلهة قسوةً (إرشيكيكال)، وإله الوباء (إيرا) يُمارسون العلاقات الجنسية كالرجال والنساء، ونستدل . أيضاً ـ على عدم وجود إله خصبٍ، بل إن كل الآلهة تُمارس العلاقات الجنسية التي تؤدي إلى الخصب.

## وظيفة دموزي (تموز):

ينبغي أن نعرف أثر الإله (دموزي) الذي عُدّ إلها للخصب، وهو أقل مكانةً من أن ينفرد بهذا الأثر المهم، فمن النصوص المسمارية يتضح أن (إينانا . عشتار) هي التي رفعت (دموزي) كما في النص الآتي:

**ألقيت عيني على جميع الناس**

**دعوت دموزي لكي يتقلد ألوهية البلاد**

**دموزي المحبوب من إنليل**

**الغالي أبداً عند أمي**

**المحبوب أبداً من أبي**[٢]

ومن هذا النص نستشف على علاقة (إينانا . عشتار) مع (دموزي)، ومن الممكن استنتاج أن (إينانا) هي التي رفعت (دموزي) من إلهٍ راعٍ [٣] مسؤولٍ عن الحظائر إلى زوجٍ لها بتدخل أخوها الإله (أوتو . شمش) كما في النص الآتي:

---

(١) ستيفاني دالي ،أساطير من بلاد مابين النهرين ،ص٢٠٩ .
(٢) صموئيل نوح كريمر،طقوس الجنس ،ص٩١ .
(٣) نائل حنون ، عقائد الحياة والموت ،ص١٢٠ .

**إي شقيقتي، تزوجي من الراعي**

**إي إينانا العذراء، لم أنت راغبةٌ عنه**

**قشدته طيبةٌ، ولبنه طيبٌ**

**الراعي ما لمس بيده شيئاً إلا سطع**

**لم أنت راغبةٌ عنه**

**قشدته طيبةٌ، سوف يأكلها معك، هو الملك الحامي، لم أنت راغبةٌ عنه**(١)

من هذا النص نستدل على رفض (إينانا) لزواجها من (دموزي) لولا تدخل أخيها (أوتو) كما أن (دموزي) ليس إله خصبٍ، بل هو زوج (إينانا) إلهة العلاقات الجنسية والخصب لمدةٍ وجيزةٍ، وبعدها تخلصت منه، وأرسلته إلى العالم الأسفل، لأنه لا يشبع رغبة إلهة العلاقات الجنسية والخصب(٢).

ويبدو مما تقدم أن وظيفة (دموزي) في الخصب والعلاقات الجنسية لا تختلف عن سائر الآلهة الذكرية، بل هي أقل من وظيفة (إنليل) و(إنكي)، لأن مرتبته في الفكر الرافديني كانت أقل من هذين الإلهين، لكنه امتاز بأنه تزوج (إينانا) لمدةٍ من شبابها، ثم صار إلهاً من آلهة العالم الأسفل(٣).

### وظيفة (إينانا . عشتار)

تتضح وظيفة (إينانا) من أسطورة (إينانا وإنكي)(٤)، فعندما تقف إينانا أمام (ألابزو) في مدينة (أريدو) يقف (إنكي) مذهولاً بسحر جمالها، ويستدعي رسوله (أسيمد) قائلاً:

**هلم يا رسولي أسيمد، اصغ لأوامري**

---

(١) صموئيل نوح كريمر،طقوس الجنس ،ص١٠٥
(٢) نائل حنون ، عقائدالحياة والموت ،ص١٢٢ .
(٣)نائل حنون ، عقائد الحياة والموت ،ص١٢٢ .
(٤) أسطورة اينانا وانكي وهي أسطورة سومرية موجودة في متحف جامعة فيلادلفيا ينظر : صموئيل نوح كريمر،الأساطير السومرية ،ص١٠٧ .

**سأقول لك كلمةً فاعمل بما أقول لك**

**إن العذراء وحدها توجهت بخطاها نحو ألابزو**

**إينانا وحدها توجهت بخطاها نحو ألابزو**

**أدخل العذراء ألابزو أريدو**

**أعطها لتأكل كعك الشعير مع الزبد**

**قدم لها ماءً مبرداً لينتعش قلبها**

**على المائدة المقدسة، مائدة السماء**

ونفذ (أسيمد) أوامر سيده، وتجلس (إينانا) مع (إنكي) لينعما بالمسرات، وبعد أن تلعب الخمرة في رأسيهما يهتف (إنكي) قائلاً:

**باسم قوتي، باسم جبروتي**

**أقدم لابنتي الطاهرة إينانا**

**السلطة ... ال ... الألوهية، التاج المقدس، وعرش الملوكية العظيمين**(١)

هذا النص يدل بشكلٍ واضحٍ عن استلام (إينانا . عشتار) الألوهية المطلقة من إله الحكمة (إنكي) تحت تأثير الخمر، ومن الممكن أن تكون هذه الأسطورة تطوراً فكرياً في حضارة بلاد الرافدين، بالانتقال إلى فكرةٍ مجردةٍ للألوهيةٍ، وإدراك قوة إلهة الخصب والعلاقات الجنسية لاستمرار الحياة، وينتقل النص بقبول (إينانا) شارات الملوكية:

**ردت إينانا: أنا آخذهم، أقبل بهم**

---

(١) صموئيل نوح كريمر، الأساطير السومرية ،ص١٠٩ ؛ ينظر:خزعل الماجدي ،متون سومر،ط١ ،(عمان ،١٩٩٨ )،ص٢٠١ .

**إنكي رفع قدحه للمرة الثانية، رفع نخب إينانا وقال:**

**باسم قدرتي، باسم مزاري المقدس**

**إلى إينانا ابنتي أعطْيت جوهر الحقيقة**

**والنزول إلى العالم السفلي**

**والصعود من العالم السفلي**

**ردت إينانا: أنا آخذهم**

**إنكي رفع قدحه للمرة الثالثة، رفع نخب إينانا وقال:**

**باسم قدرتي، باسم مزاري المقدس**

**أُعطي ابنتي إينانا كهنوت السماء**

**أربع عشرة مرةٍ إينانا قبلت عطايا إنكي وقالت: آخذهم(١)**

**بعد ذلك وقفت إينانا أمام أبيها إنكي وأقرت باستلام النواميس معددةً إياها**

**أعطاني الأب إنكي نواميس الحضارة**

**أعطاني ابتهاج القلب**

**أعطاني السلاح المرهف**

**أعطاني تقدير الأحكام**

**أعطاني صنع القرارات(٢)**

---

(١) دايان ولكشتاين وصموئيل نوح كريمر ،اينانا ملكة الأرض والفردوس ،ترجمة شاكر الحاج مخلف ،ط١ ،(بغداد ،٢٠٠٨ )،ص٧٩ ٠

(٢)دايان ولكشتاين وصموئيل نوح كريمر ،اينانا ملكة الأرض ،ص٨٠-٨٤ ٠

لقد أعطاها أكثر من مئة مرسومٍ مقدسٍ تُعد أساس الحضارة[١]، وبعد أن يستيقظ إنكي من سكره يندم على ما وهب، ويعطي أوامره إلى وزيره باسترجاع النواميس، وعلى الرغم من محاولته استرجاع النواميس تمكن (ننشوبر) وزير (إينانا) من إنقاذ (إينانا) التي وصلت إلى (أوروك) بسلامٍ ومعها زورق السماء والمراسيم التي أُهديت إليها[٢].

ومن النص الآتي تتبين أهمية (إينانا) واستلامها نواميس الحضارة، ووظيفتها سيدةً للسماء والأرض، ومتحكمةً بالكون:

**أبي أعطاني السماء، وأعطاني الأرض**

**أنا سيدة السماء**

**هل بوسع إلهٍ . أيّاً كان . أن يحتقرني**

**موليل[٣] أعطاني السماء، وأعطاني الأرض**

**أنا سيدة السماء ... [٤]**

وكذلك أُعطيت (إينانا) صفة القتال الذي هو أحد وظائفها كونها إلهةً للحرب، وبتحكم (إينانا) بالإعصار والعاصفة أصبحت الآلهة كطيورٍ خائفةٍ من قوة (إينانا)، فهي القوة المجردة التي تجمع الخصب والقسوة، وهذه الصفات جمعتها لأنها ملكة الآلهة، ومن صفات الملوكية المحافظة على استمرار الخصب والقسوة مع الأعداء ما في النص الآتي:

**أعطاني القتال، أعطاني النزال**

**أعطاني الإعصار، أعطاني العاصفة**

---

(١) صموئيل نوح كريمر،الأساطير السومرية ،ص١٠٩ -١١٠ ينظر :
Manfred Lurker ,The Routledge Dictionary ,p137 .

(٢) كريمر المصدر نفسه ،ص١١٠-١١٢ ٠

(٣) موليل احد أسماء الإله انليل ينظر :رينيه لابات ،المعتقدات الدينية ،ص٢٨٨ ٠

(٤) رينيه لابات ،المعتقدات الدينية ،ص٢٨٨ ٠

**وضع على رأسي السماء كقبعةٍ**

**الأرض وضعها في رجلي كنعالٍ**

**ناولني الصولجان المتلألىء**

**الآلهة مثل طيورٍ خائفةٍ**

**أما أنا، فإني السلطانة**

**أما أنا، فإني البقرة المكرمة**(١)

ومن نصٍّ آخر تظهر وظيفة (إينانا) كقوةٍ مطلقةٍ بين الآلهة، وسيدةٍ للكون والنور المقدس الذي يملأ السماوات والأرض:

**أقول برداً وسلاما للواحد المقدس الذي يظهر في السموات**

**أقول برداً وسلاما إلى كاهنة السماء المقدسة**

**أقول برداً وسلاما إلى إينانا سيدة السماء العظيمة**

**المصباح المقدس الذي يُنير المساء**

**بهجة بداية فجر اليوم**

**السيدة الرائعة الإلهة إينانا المتوجة العظيمة التي تملأ**

**السموات والأرض بالنور والضياء**

**هي واقفة في السماء مثل الشمس والقمر**

**إلى كاهنة السماء العظيمة المقدسة**

**إليك إينانا أغني**(١)

(١) المصدر والصفحة نفسها .

ويظهر أثر (إينانا . عشتار) في الخصب بعد أن نزلت إلى العالم الأسفل، توقف الخصب كما في النص الآتي:

**ومنذ أن نزلت عشتار إلى عالم اللاعودة**

**لم يعد الثور يجامع البقرة**

**لم يعد الحمار يخصب الأتان**

**ولم يعد الرجل الشاب في الشارع يخصب المرأة الشابة**

**بل ينام الرجل وحده في حجرته**

**والمرأة الشابة وحدها من جهتها**(٢)

وقبل أن نستنتج من النصوص السابقة وظيفة (إينانا) يبدو لنا أن الكثير من الآلهة الرافدينية كانت تُمثل الأمومة والأرض، وقد ظهرت هذه المعتقدات زمن القرى الزراعية . كما ذكرنا . وواحدة من وظائف (إينانا . عشتار) هي اشتراكها مع غيرها من الإلهات بهذه الوظيفة، أي: المرأة والأرض، وهذا ما يتضح من النص الآتي:

**الأرض الفسيحة المسطحة لبست تألقها**

**جملت ببهجة جسدها**

**الأرض العريضة، بالمعدن الثمين واللازورد**

**زينت جسدها**

**تبرجت بالينع والعقيق الأحمر البراق**

**زينت السماء رأسها بأوراق الشجر**

---

(١) دايان ولكشتاين وكريمر ،اينانا ملكة الأرض ،ص١٧٠ .
(٢) رينيه لابات ،المعتقدات الدينية ،ص٣١٦ .

**وظهرت كأنها الأميرة**[١]

ووظيفة الأرض بالخصب والعلاقات الجنسية تُشبه وظيفة الأنثى، بينما وظيفة السماء هي وظيفة الذكر بالعلاقات الجنسية والخصب، والأرض هي التي تلد نباتات الحياة مثلما هي وظيفة الأنثى بالولادة التي تؤدي إلى استمرار الحياة والتكاثر، كل هذا نجده في النص الآتي:

**الأرض المقدسة العذراء تبرجت**

**من أجل السماء المقدسة**

**السماء، الإله الرائع الجمال، غرس**

**في الأرض العريضة ركبتيه**

**وسكب في رحمها، بذرة الأبطال**

**الأشجار، والمقاصب**

**الأرض الطرية، البقرة الخصيبة تشعبت**

**بمني السماء الغني**

**وبالفرح ولدت الأرض نباتات الحياة**

**وبغزارةٍ حملت الأرض هذا التاج الرائع**

**وجعلت الخمر والعسل يسيلان**[٢]

ومن هذا النص يتضح تمثيل الآلهة بالطبيعة، وهي صفةٌ تشترك فيها كل الإلهات[٣]، لكن ما يُميز (إينانا) هو أنها إلهة الحب والعلاقات الجنسية التي بدونها لا يكون الخصب والتكاثر، فلا يُمكن للإلهة الأم أن تحمل وتُنجب دون أن تُشرك جنس الذكر في مهمتها

(١) قاسم الشواف ،ديوان الأساطير ، الكتاب الأول ،ص٢١ .
(٢) قاسم الشواف ،ديوان الأساطير ، الكتاب الأول ،ص٢١ .
(٣) J.E.CIRLOT ,DICTIONARy OF SYMBOLS ,p ,218 .

الإنجابية، ولن يكون أسمى من مشاعر الحب لتربط بين الآلهة: الذكور، والإناث، ومتجسدة من قوىً طبيعيةٍ، وكذلك الإنسان والحيوان كي يستمر التكاثر من جيلٍ إلى جيلٍ، فابتكر سكان بلاد الرافدين إلهةً مسؤولةً عن الحب والعلاقات الجنسية والنزعة الشهوانية[١]، وهذه الإلهة هي (إينانا . عشتار)، وهي قوةٌ مجردةٌ مطلقةٌ تملك النواميس الكونية، ومع تقدم الحضارة الرافدينية في الألف الثالث قبل الميلاد أصبحت هذه الإلهة أهم الإلهات الرافدينية لأهمية وظيفتها في استمرار الحياة، بل والبحث عن الخلود كما في نزول (عشتار) وانبعاثها من العالم الأسفل، لذلك انبثقت من طقوس عبادتها فكرة الزواج المقدس في طقوسٍ احتفاليةٍ تتسم بالبهجة والفرح بهذا الاقتران المقدس، وبذلك يكون الخط الوظيفي المتجسد بـ(إينانا) كالأتي:

الحب . الجنس . (الزواج المقدس) . الخصوبة (التناسل والتكاثر في الطبيعة والإنسان) . الموت (هبوط (إينانا) إلى العالم السفلي) . البعث (قيامها من الموت)[٢].أي: إنها إلهة الخصب والعلاقات الجنسية،وهي بدايات تفكير الإنسان في البحث عن الخلود ومعرفة عالم ما بعد الموت كان لسكان بلاد الرافدين السبق في إبداع هذه الفكرة.

---

(١)وداد جاسم الجوراني ، الرحلة إلى الفردوس والجحيم في أساطير العراق القديم ،ط١ ،(بغداد ،١٩٩٨ )،ص١٠٩ .
(٢)المصدر نفسه ،ص١١٠ .

**عقائد الخصب في وادي النيل في ضوء الأساطير**

يُعد الأدب الأسطوري لحضارة وادي النيل أدب الخيال وأدب البنية اللغوية اللامحدودة، وهو أدب اللازمان واللامكان، فهو متحركٌ من زمانه ومكانه نحو كل العصور؛ ليُعالج إشكالات الفكر الإنساني الدائمة التي تُؤرق الإنسان، إذ يُناقش مشكلة الموت التي تُواجه الجنس البشري ليُقدم حلاً لمشكلة الإنسان الأزلية في استمرار الخصب والبعث والخلود[١].

ومن الممكن ملاحظة ثلاث مراحلٍ من الكتابات الدينية في وادي النيل تُمثل كل واحدةٍ منها مرحلةً زمنيةً تطورت فيها أفكار سكان وادي النيل عن عقائد الخصب والبعث والخلود، وأول هذه المراحل هي كتابات نصوص الأهرام[٢]، وظهرت هذه الكتابات زمن المملكة القديمة(٢٧٨٠ ـ ٢٢٨٠ ق.م) ، وقد نظمها كهنة هليوبوليس، وفيها قام المعبد الأعلى للإله (رع) ـ الذي عُبد إلهاً للشمس في عصورٍ مبكرةٍ تحت اسم (آتوم)، أي: التام.

وتطورت عقائد هليوبوليس منذ عصر (زوسر)[٣]، واستمر تدوين هذه النصوص على جدران الأهرام إلى زمن الأسرة السادسة[٤]، أما المرحلة الثانية من الكتابات الدينية فهي نصوص التوابيت التي ظهرت زمن المملكة الوسطى، أما المرحلة الثالثة فهي كتاب الموتى الذي ظهر في عهد المملكة الحديثة[٥].

---

(١) ايلاف سعد علي البصري ،وظيفة الإبلاغ ،ص٢٠٨ ٠

(٢) تتألف من مجموعة من الابتهالات والأدعية وهي تشكل أقدم مجموعة كاملة تتعلق بالديانة المصرية وكان أثرها على الكتابات التالية عميقاً لان مضمونها يتكرر كثيراً في النصوص الجنائزية وقد ظهرت في الحقبة التي تلت انهيار الدولة القديمة حتى نهاية الدولة الوسطى ينظر: جفري بارندر ،المعتقدات الدينية لدى الشعوب ،ص٣٤ ؛ينظر جيمس هنري برستد ،فجر الضمير،ص٨٢ ٠

(٣) زوسر:هو مؤسس الأسرة الثالثة حكم ٢٩ عام يعد مؤسس عصر الأهرام بني الهرم المدرج ينظر :انتصار ناجي عبد الزنكي ،الأوضاع السياسية والإدارية في مصر ،ص٣٧ ٠

(٤) رندل كلارك ،الرمز والأسطورة في مصر القديمة ،ترجمة احمد صليحة ،(القاهرة ،١٩٩٩ )، ص٣٧ ؛ ينظر:سليم حسن ،مصر القديمة مدينة مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الاهناسي،(القاهرة ،١٩٩٢ )، ج٢ ، ص٤٠٩ ـ ٤١٤ .

(٥) جين بوترو واوثو ادزارد وادام نكنشتاين ، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة ،ترجمة عامر سليمان ،( الموصل – ١٩٨٦ )،ص٣٢٣-٣٢٤ ينظر :
Geraldine Pinch , Egyptian Mythology ,California ,United States of America ,2002 .p14 .

## الآلهة الشمسية والخصب في ضوء الأساطير

ولمعرفة عقائد الخصب نبدأ بدراسة العقيدة الشمسية والخصب في ضوء الأساطير التي تضم نصوص الأهرام التي هي أقدم الأساطير التي تتحدث عن الخلق والإله (آتوم)، كما في النص الآتي:

**سبحانك آتوم**

**سبحانك أيها الموجود الذي خرج إلى الوجود من ذاته**

**سموت باسمك التل العالي**

**وجاءت إلى الوجود باسمك الكائن**(١)

يتضح من هذا النص أن (آتوم) أوجد نفسه بذاته دون أن تكون له زوجة، وهناك نصّ يربط بين الإله الواجد الأول وخلق آلهة الطبيعة، وهو النص الآتي:

**لقد بصقت فكان شو، وتفلت فكانت تفنوت**

**ووضعت ذراعك حولهما في وضع الكا**(٢)

**حتى تحل فيهما كاك**(٣)

يتضح من هذا النص كيفية خلق الآلهة الكونية عن طريق البصق، أي: من نفس الإله الواجد الأول، أما المادة التي أوجد منها الخلق، فهي الماء، كما في النص الآتي:

**في البدء**

**كان نون Noun**

(١) رندل كلارك ،الرمز والأسطورة ،ص٣٩ .
(٢) الكا او القرين كما جرى العرف على تسميتها تمثل قوى الحياة والشخصية والحماية وتكتب في الهيروغليفية بصورة ذراعين ممدودتين في وضع العناق ينظر:المصدر نفسه ،ص٤٤ .
(٣) المصدر والصفحة نفسهما.

**موجوداً وحيداً في الوجود**

**وكان نون محيطا أزلياً مظلما، ومن نون برز الإله**

**إله الشمس رع آتوم[١]**

يتضح هنا أن الماء هو الأصل المادي للوجود، وأن (رع آتوم) هو إله الشمس الذي ظهر من الماء الأزلي، والعلاقات الجنسية والخصب نجدها في نصٍ يصف العلاقة بين الأرض والسماء، وفيه تشبيه السماء بالأنثى، وهذا الوصف في نصٍ من نصوص الأهرام يحتوي على قصيدةٍ ألقاها (جب) على زوجته:

**... يانوت لقد أصبحت روحاً**

**تكونت بقوةٍ في رحم أمك تفنوت قبل ميلادك**

**كم هو قويٌ قلبك**

**تحركت في رحم أمك باسم نوت**

**أنت في الواقع ابنةٌ أكثر قوىً من أمها**

**ياأيتها العظيمة التي أصبحت هي السماء**

**لك السيادة فأنت قد ملأت كل مكانٍ بجمالك**

**الأرض بأكملها تقع أسفلك، فأنت سيطرت عليها، أخذت موقعك هناك**

**أنت احتويت كل الأرض وكل شيء فيه بذراعك**

**أنا جب، سأحمل بك باسمك، وهو السماء، باسم السماء**

**وسوف أصل الأرض كلها بك في كل مكان**

**تعاليت فوق الأرض**

---

(١) سيد القمني ،رب الثورة أوزير وعقيدة الخلود في مصر القديمة ،ط٢ (القاهرة ،١٩٩٩ )،ص٩٦ .

**أنت معظمةٌ عن أبيك شو**

**ولك قوة كبيرة عليه**

**لقد أحبك كثيراً، حتى أنه وضع نفسه وكل الأشياء إما بجانبك أو تحتك(١)**

ونجد في نصوص التوابيت نصاً يُخاطب (شو) الإله (آتوم . رع)، وفيه وصفٌ للعلاقات الجنسية بين الآلهة، وهذه العلاقات هي التي تُؤدي إلى الخصب، أي: إنجاب الآلهة واستمرار حالة التكاثر بينها، وهذا النص هو الآتي:

**هكذا أنجبتني**

**وضعتني من يدك بلذة القذف**

**إنني ذلك النجم الذي خرج من الاثنين ...**

**إنني ذلك الفضاء الذي جاء إلى الوجود في المياه**

**لقد خرجت منها إلى الوجود وشببت فيها**

**ولكن لم يُقضَ علي بالبقاء في عالم الظلام(٢)**

لقد استمر تغير أسماء الآلهة الشمسية في حضارة وادي النيل تبعاً للمتغيرات السياسية، وعلى الرغم من هذا التغيرات كانت العلاقة مع الخصب وإيجاد الحياة مستمرةً، وهذا ما نلحظه حتى في زمن الدولة الحديثة من نشيدٍ للإله (آتون) وأثره في الخصب وبعث الحياة؛ ويتضح ذلك في النص الآتي:

**إنهم يعيشون لأنك أشرقت من أجلهم**

**وتسير السفن نحو الشمال ونحو الجنوب**

---

(١) روبرت ارموار،آلهة مصر ،ص٢٩ ٠
(٢) رندل كلارك ،الرمز والأسطورة في مصر ،ص٤٥ ٠

**لأن الطرق كلها مفتوحةٌ عندما تظهر**

**وتمرق الأسماك في النهر أمامك**

**لأن أشعتك تتغلغل في المحيط**

**أيها الخالق لبذرة الحياة في النساء**

**إنك أنت الذي يجعل من البذرة إنسانا**

**إنك أنت الذي يُعنى في الطفل في بطن أمه**

**وأنت الذي يُهدئه بما يُوقف بكائه**

**لأنك تُعنى به وهو في الرحم**

**أنت الذي يُعطي النفس ليحفظ حياة كل من يخلقها**

**عندما ينزل الطفل من بطن أمه ليتنفس**

**في اليوم الذي يُولد فيه**[١]

يظهر لنا مما تقدم ذكره عن الآلهة الشمسية وعقيدة الخصب، وعلى وفق عقيدة سكان وادي النيل القدماء فإن الإله الرئيس بدأ بخلق نفسه بنفسه، وبعد ذلك بدأ عملية خلق الآلهة الأخرى بالبصق، وخلق منها مجموعةً من الآلهة، وخلق قسماً آخر عن طريق القذف في الرحم . كما يوضح ذلك النص أعلاه .، وعليه يُمكن أن نستنتج أن عدداً من الآلهة التي خلقت جاءت ممثلةً لعقيدة الخصب التي تحدثت عنها نصوص الأهرام.

### عقيدة البعث والخصب وعلاقتهما بالآلهة الشمسية

لما كان الخصب هو استمرار النسل ودورة الحياة؛ ربطت حضارة وادي النيل بين طقوس الخصب والبعث والخلود، فكانتا في الواقع مظهراً لدينٍ واحدٍ، وتعبيراً عن آمال المجتمع

---

(١) سمير الديب ،موسوعة الحضارة المصرية ،ص٧٤ ؛ ينظر:فراس السواح ،مدخل إلى نصوص الشرق ،ص٣٢٢-٣٣٩ .

ومخاوفه، ويظهر هذا في المعتقد الأوزريسي الذي جمع الخصب والخلود والبعث بالإله (أوزير)، لقد كانت الدنيا للإنسان القديم مفعمةً بالقوة، فكان يلمس قوة الحياة التي تتجلى في المخلوقات الحية كافةً، وكان يسعى لاستمرار هذه الحياة في العالم الآخر[١] كما يظهر ذلك في متون الأهرام:

**إن الملك لا يموت على الأرض بين الناس**

**لأن الناس يُفنون وأسماهم تُمحى**

**بعكس الملك الذي يصعد إلى السموات**

وتُصر نصوص الأهرام على إيضاح هذا المعنى بالتفرقة بين الملك الذي يحوي الطبيعة الإلهية وبين البشر العاديين:

**إن ماء أي نسل الملك تيتي**[٢]

**في السماء**

**وشعب تيتي**

**في الأرض**

**إن ماءك مأواه السماء**

**أما الآلاف**

**فمأواهم الأرض**

**إنك تدخل أبوب السماء**

**التي حرمت المواطنين**

---

(١) ينظر :

Manfred Lurker ,The Routledge Dictionary ,p74 .

(٢) تيتي :أول ملوك الأسرة السادسة التي استمر حكمها من (٢٣٥٠-٢١٨٠ ق٠م ) ينظر :سيريل الدريد ،الحضارة المصرية ،ص٣٦ ٠

**وانفرجت لك أبوب السماء**

**وهي التي تصعد الناس بعيداً**

**تفتح للملك المزلاج**

**إلى باب السماء المحرمة على الناس**(١)

يتضح من النص أن الخلود في العقيدة الشمسية خاصٌ بالملوك الذين يخلدون في السماء، بينما يحرم على الشعب الوصول إلى الخلود السماوي، وتُصور نصوص الأهرام الطريقة التي يصعد فيها الملك إلى السماء ويفرض نفسه على الآلهة . سواءً أكان هذا الفرض برضاهم أم بالقوة . ويُشاركهم حياتهم متنقلاً بين حقول النعيم، فقد جاء في وصف الملك المتوفى حين يستولي على السماء: "والآلهة تخافه (أي: الملك)، لأنه أكبر سناً من الواحد العظيم إنه صاحب السلطان على مكانه، وهو الذي يقبض على القيادة، والأبدية تُجلب إليه، والحكمة موضوعةٌ له عند قدميه، صح له عالياً فرحاً فإنه قد استوى على الأفق(٢)

العقيدة الشمسية وإله النيل والخصب

ويشترك الإله (رع) مع الإله (حابي) إله النيل لتوفير الخصب كما في الترنيمة الآتية:

**العظمة لك ياحابي**

**تأتي من بعيد لهذه الأرض تأتي في سلام لتُحيي مصر**

**أيها الخفي**

**يا مرشد الظلام، هي متعتك أن تكون مرشداً**

**أنت تروي الحقول التي خلقها رع**

**أنت تحمي كل الحيوانات**

(١) سيد القمني ،رب الثورة أوزير ،ص١٣٢-١٣٣ .
(٢) ينظر: سليم حسن : مصر القديمة ، ج٢ ، ص ٤١١ .

**أنت تسقي الأرض بلا توقف**

**أنت تنحدر من ممر الجنة (بالسماء)**

**أنت صديق اللحم والشراب**

**أنت واهب الحبوب**

**أنت تجعل كل الأماكن تزدهر ...**

**إذا تخطتك السماء**

**يسقط الإله على رؤوسهم**

**ويموت البشر**(١)

في هذا النص تتضح قدسية نهر النيل الذي ينبع في تصورهم من ممر الجنة في السماء، والذي يهب الحياة ويتكامل عمله مع إله الشمس (رع) في ري الحقول، واستمر عمل النيل المقدس في حضارة وادي النيل، ويتضح ذلك في نصٍ من نصوص التوابيت إذ جاء فيه:

**أنا إله النيل رب الإمدادات ...**

**الآتي بالفرحة والمحبوب جداً**

**أنا الإله العظيم حامي الآلهة وحارس خبزهم ... إله الأرض الأزلي**

**أنا إله النيل، رب المياه**

**أنا أخضر الزراعة**

**ولن يهزمني أعدائي**

**لقد أتيت لأجعل الأرضين خضاراً**(٢)

(١) روبرت ارموار،آلهة مصر ،ص١٣٢ ؛ينظر واليس بدج ،الديانة الفرعونية ،ص٢٨-٢٩ ٠
(٢) أحمد علي الطيب الزراعي ،المعبودات الكونية ، ص٤٩٤ ٠

يتضح مما تقدم أهمية نهر النيل، وارتفاع مكانة (حابي) الذي أصبح مطابقاً في أزليته للمعبودات الشمسية، وأنه رب الماء، و لايمكن هزيمته، هذه الصفات التي اكتسبها إله نهر النيل تدل على تطورٍ فكريٍّ مع تقدم الحضارة وازدياد الاعتماد على نهر النيل، وهذا ما نجده في الآلهة الرئيسة في حضارة وادي النيل التي تكون وظيفتها واحدةً في إيجاد الحياة مع اختلاف أسمائها كما في هذا النص من كتاب الموتى:

**إني آتوم**

**وأنا الذي كنت وحيداً**

**وإني رع**

**عند أول ظهوره**

**وإني الإله العظيم الخالق لنفسه**

**والذي سوى أسمائه**

**رب الآلهة**(١)

**العقيدة الطبيعية والخصب**

وهي عقيدة الإله (أوزير) التي تُعد عقيدةً شعبيةً في حضارة وادي النيل، وقد تصاعد أثرها حتى أصبحت أهم العقائد في وادي النيل، والنص الآتي يذكر آلهتها:

**طورت تطوير الأطوار، طورت نفسي في هيأة أطوار الإله (خبيرا)**(٢) **الذي كان تطوره في بداية الزمان تطورت مع أطوار الإله (خبيرا) الذي كان تطوره بتطور الأطوار، أي إنني أنشأت نفسي من المادة البدائية التي خلقتها، أنشأت نفسي من المادة البدائية اسمي أوزارس (أوزير)**

---

(١) سيد القمني ،رب الثورة أوزير ،ص ١٧٩ ٠

(٢) خبيرا اله من الإله الشمسية مرتبط بشروق الشمس ويمثل قوى الانتقال وتتابع الأجيال ويعرف باتوم ورع ينظر :روبرت ارموار،الهة مصر ،ص١٤٥ ٠

**جرثومة المادة البدائية، لقد جعلت إرادتي كلها في الأرض، بسطتها إلى الخارج وملأتها وشددت أزرها بيدي، كنت وحيداً إذ لم يكن ثمة شيءٌ مخلوقٌ في ذلك الوقت ما كنت أصدرت عن نفسي (شو)، ولا(طفنوت) نطقت باسمي بما هو كلمة القدرة من فمي، وأنشأت نفسي أنشأت نفسي في هيئة أطوار الإله (خبيرا)، وأنشأت نفسي من المادة البدائية التي طورت عدداً لا حصر له من الأطوار منذ بدء الزمان في ذلك الوقت لم يكن على الأرض شيءٌ موجودٌ، وأنا خلقت جميع الأشياء، لقد خلقت الخلق بوساطة الروح الإلهي الذي ظل في الهاوية المائية لا يفعل شيئا، ما وجدت مكاناً أقف عليه، لكني كنت قوي القلب، ولم أضع أساساً لنفسي، وخلقت كل شيءٍ مما خُلق، وكنت وحيداً، وضعت أساساً لقلبي (أو إرادتي)، وخلقت عدداً لايُحصى من الأشياء التي تطورت بأطوار الإله (خبيرا)، وجاءت صغارها إلى الوجود من أطوار ولادتها، أصدرت عني الإلهين (شو) و(تفنوت)، ومن كوني واحداً صرت ثلاثة، لقد انبثقا مني وجاءا إلى الوجود على هذه الأرض ... ومن (شو) و(تفنوت) انبثق (ست، ونوت، وآيزيس، ونفتيس، في ولادةٍ واحدةٍ)[١].**

يتضح من هذا النص كيفية خلق الآلهة الرئيسة، وأثر (أوزير) في بعث الحياة، وجعل إرادته في الأرض، وكيف أوجد الخلق بالكلمة، أي: إنه أصل الخلق، وإنه أحد الآلهة الخالقة، ونستدل على تداخل وظائف الآلهة الرئيسة، كما نستدل على أن (أوزير) هو باعث الحياة في الآلهة، وأنه هو الذي أوجد آباءه من الآلهة من انبثاقهم منه، وأن الآلهة تقوم باستنهاض الإله (أوزير) كإلهٍ للخصب، وذلك عندما تؤكد الإله بداً بالإله جب بأنه كل شي على ما يرام من القرابين المقدمة الإله اوتوم، وأن إلهة المشرق والمغرب انتابها السرور، وأن الإله (حورس) مسرورٌ لوالده الذي نهض من سباته كما مبين بالنص الآتي:

**سلامٌ عليك أيها العارف**

**لقد أعاد جب خلقك**

**واستحضرتك جماعة الآلهة**

**حورس مسرورٌ لوالده**

---

(١) واليس بدج ،الديانة الفرعونية ،ص٣٣-٣٤

**وآتوم راضٍ عن قرابينه**

**وإلهة المشرق والمغرب قرت عينها بهذا الحدث العظيم**

**الذي وقع بفضل ذرية الإله**

**أيا أوزير، انظر، انظر**

**أيا أوزير، اسمع، وأنصت**

**يا أوزير، اعتدل على جنبك، ونفذ ما آمرك به**

**يا من تكره السبات أيها الناعس**(١)

من هذا النص يتبين أن إيجاد (أوزير) هو تجديدٌ للطبيعة وانبعاثٌ للخصب، كما يتجلى عمل (أوزير) في الخصب في النص ٣٣٠ من نصوص التوابيت الذي يُعدّ أوضح تعريفٍ لأثر (أوزير) في الخصب والطبيعة تركه لنا المصريون القدماء، وقد جاء فيه:

**سواءً أحييت أم مت، أنا أوزير**

**ألج فيك فاظهر من جديدٍ**

**أفنى فيك، وأنمو فيك**

**أتدنى فيك، وأخر على جنبي**

**وبيت حيا الإلهة لأنني أحيا في القمح وأنمو فيه**

**وعليه يعيش المبجلون**

**أكسو الأرض**

**سواءً عشت أم مت أنا الشعير**

(١) رندل كلارك ،الرمز والأسطورة في مصر ،ص١١٠

**لا أبيد**

**ولجت في النظام**

**وأركن على النظام**

**وبت رب النظام**

**وانبثقت في النظام**

**واجعل هيتي مميزةً**

**أنا رب شنت (شونه القمح في منف)**

**ولجت في النظام**

**ووصلت إلى حدود ...** [١]

يتضحُ من هذا النص تشبيه (أوزير) بالشعير بكل مظاهره المتغيرة، فهو الذي يبذر على الأرض، فيطويه التراب، وتتحلل بذوره، ويأخذ في النمو من جديدٍ، وتُبعث الآلهة من جديدٍ، أي: يُلحقها النشور مع نمو محصول العام الجديد، وذلك حينما يكتسي سطح الأرض بالنبات، وهذا هو المصير الذي ينتظر الطبيعة في الدنيا، ولما كان (أوزير) رب (شونه) ـ معبده في منف ـ فإن روحه ستمر بالدورة الكاملة التي تمر بها الخصوبة الطبيعية[٢].

إن (أوزير) لم يصبح نداً لـ(رع) فقط، وإنما أصبح حاله أعظم منه في نواحٍ كثيرةٍ، حتى صورته الأساطير الجعل الذي كان ذات مرةٍ رمزاً وأنموذجاً للإله (خبيرا)، وعلة جميع الأشياء التي جرت إلى الوجود، وعلة الانبعاث نفسه، إن هذا الجعل قد خرج من منخري رأس (أوزير) الذي دُفن في (أبيدوس)، وبذلك أصبح (أوزير) مصدر الآلهة، والناس، والأشياء، وأصلها، ويبدو أنه في عهد الأسرتين (الثامنة عشر، والتاسعة عشر) قد تنازع مع (آمون) ـ الذي كان يُدعى حينئذٍ ملك الآلهة ـ، وأخذ وظائفه، كما مجدته الترنيمة الآتية:

---

(١) رندل كلارك ،الرمز والأسطورة في مصر ،ص١٤٠-١٤١ ٠

(٢) المصدر والصفحة نفسهما ٠

**المجد لك يا أوزير، أون ـ نفر[١]، يأيها الإله العظيم، أنت ملك الأبدية، ورب الديمومية الذي أمضى ملايين السنين في الوجود، الابن البكر في رحم نوت، صاحب تاجي الجنوب والشمال، صاحب التاج الأبيض الرفيع، أميراً على الآلهة والناس، تسلمت المحجن والسوط وعزة آبائك الإلهيين؛ ليمتلئ بالمسرة قلبك[٢].**

كما أن أثر (أوزير) بالخصب استمر في كل مراحل حضارة وادي النيل، وتجلى بهذه التعويذة الواردة في كتاب الموتى . المعروفةٌ باسم (تعويذةٌ من أجل التحول إلى شعيرٍ) .:

**إنني نبت الحياة**

**الذي شطا من أوزير**

**ونما فوق ضلوع أوزير**

**ويجعل الناس يحيون**

**ويُضفي القداسة على الآلهة**

**ويجعل من الأرواح أرواحاً**

**ويبقي على أرباب اليسار وأصحاب الثروة**

**ويصنع كعك البك إلى الأرواح**

**التي تُحيي الأحياء**

**أو تُكسب أعضاءهم الحيوية**

**أحيا في صورة القمح حياة الأحياء**

**لنا فوق ضلوع جب إله الأرض**

---

(١) اون- نفر :احد ألقاب الإله أوزير وتعني الطيب ينظر:احمد صالح ،التحنيط فلسفة الخلود ،ط١،(القاهرة ،٢٠٠٠ )،ص٣٦ ٠

(٢) واليس بدج ،الديانة الفرعونية ،ص٧٢ ٠

**لكن حبي كامنٌ في السماء، وعلى الأرض، وعلى صفحة الماء، وفي الحقول**

**الآن رضيت إيزيس عن ابنها حورس . إلهها .**

**وابتهجت به، حورسها، إلهها**

**أنا الحياة التي تستفيض من أوزير[١]**

ويتضح من هذا النص أن إيجاد الحياة في كل مظاهرها كان من فعل (أوزير)، وأنه القوة المجردة لاستمرار الحياة والخصب، وكذلك البعث والخلود، لكن العقيدة الأوزيرية لم تظهر متكاملةً، بل استمر فيها التطور[٢] حتى أصبح سيد الآلهة كما في النص الآتي:

**حمداً لك يا أوزير يا رب الأبدية وملك الآ لهة ...**

**يا عظيم، يا أكبر إخوته، وأكبر الآلهة الأولين**

**يا عظيم البأس حين يسقط العصاة**

**ووارث ملك جب في الأرضين**

**رأى جب فضله، فأنعم عليه بزعامة البلاد**

**لقد شكل البلاد . مصر . بيديه**

**مياهها، ورياحها، وقطعانها**

**وكل ما يطير في الهواء ويزحف في الأرض**

**لقد اخترق تاجه السماوات، واختلط بالنجوم**

**قائد كل إلهٍ، واضح القيادة[٣]**

---

(١) رندل كلارك ،الرمز والأسطورة في مصر ،ص١١٧-١١٨ .

(٢) Barbara S Lesko ,The Great Goddesses .p ,167 .

(٣) صموئيل نوح كريمر ،أساطير العالم ،ص٦٦ .

ويتضح من النص ملوكية (أوزير) على الآلهة، وأنها كانت تحت قيادته، ويظهر أثره في وراثة الأرض؛ فكان يلمس قوة الحياة التي تتجلى في المخلوقات الحية كافةً، فكان (أوزير) يجمع بين الحياة والخصب، والبعث والخلود، كما يتجلى ذلك من نصوص كتاب الموتى:

**الظهور في النهار، والحياة بعد الموت، يقول أوزير: مرحى أيها الواحد المشع من القمر، مرحى أيها الواحد المشع من القمر، لتضمن لأوزير انى أن يبزغ بين الجموع، لتدعه يستقر قاطناً بين القاطنين في السماء، لتدع العالم السفلي يفتح له الأبواب، ولتنظر يا أوزير، أن أوزير . انى سوف يأتي عند مشرق النهار، ليصنع ما يود على الأرض بين الأحياء[1].**

يتضح من هذا النص أثر (أوزير) في الربط بين الخصب، والتجديد الانبعاث، وكذلك ارتباطه بالحياة وتجديدها والخلود.

إن تطور المبدأ الأوزيري منذ عهد المملكة الحديثه قد وصل إلى فكرة امتزاج الوجود بالواجد في شكلٍ ينتمي إلى وحدة الوجود، كما في النص الآتي:

**إن تربة الأرض فوق ذراعيك**

**وأركانها تستقر فوقك**

**حتى عمد السماء الأربعة**

**وإذا تحركت فإن الأرض ترتعد ...**

**إن كل ما يُوجد فوق الأرض**

**يظل فوق ظهرك**

**وكل شيءٍ يستقر فوق عمودك الفقري**

**إنك أب الناس وأمهم**

**إنهم يعيشون بأنفاسك**

---

(1) برت ام هرو ،كتاب الموتى ،ص٢٥ .

**إنهم يطعمون لحم جسمك**

**والإله الأزلي، هذا هو اسمك**(١)

### انتصار العقيدة الطبيعية على العقيدة الشمسية، وانعكاس ذلك في الخصب والخلود

تذكر لنا الأسطورة معرفة (إيزيس) الاسم السري لـ(رع)(٢)، وكيفية هزيمته، فإن (رع) قد تعب من عمله اليومي، وشاخ، وضعفت قوته، وصار غير قادرٍ على التحكم في لعابه الذي يسيل من فمه؛ فينزل على الأرض، وبما أن (إيزيس) تمارس السحر جيداً، فإنها فكرت في استعماله في اغتصاب سلطة والدها العليا؛ فأسرعت بأخذ نقطةٍ من لعابه المخلوط بالأرض، وشكلته على هيأة ثعبانٍ في طريق (رع) اليومي، وفي اليوم التالي، عندما كان (رع) يمر في طريقه لدغه الثعبان بكل قوته، فانتشر السم في جسده، وآلمه كثيراً، ولم يستطع المعبود (رع) أن يُعالج نفسه، فأخذ (رع) يستنجد بجميع المعبودات؛ فقالت (إيزيس): أيؤلمك ثعبانٌ؟ أو يؤذيك مخلوقٌ من مخلوقاتك؟ ووعدته أن تجد الدواء له بسحرها، وطلبت منه أن يُخبرها باسمه السري، لأنه لايعيش إلا من يُدعى باسمه، فظن (رع) . وهو تحت تأثير الألم . خداع (إيزيس)؛ فأعطاها أسماءً من غير البوح بالاسم السري، فعرفت (إيزيس) أنه لم يُخبرها بالاسم السري، فانتظرت ليعمل السم في الجسد أكثر، وقالت: الواقع أن اسمك ليس من بين الأسماء التي أخبرتني بها، وفي هذه اللحظة كان ألم (رع) كبيراً، فأخذ (إيزيس) بعيداً حتى لا يسمعه أحدٌ، وبدأ بالمقايضة، ولم يكن (رع) في حالةٍ جيدةٍ تسمح له بالمساومة، فطلبت (إيزيس) أن يُعطي ابنها (حورس) كلتا عينيه (الشمس، والقمر)، فوافق (رع)، وهمس لها باسمه السري ووفت له بوعدها، وشفته من ألمه، وأصبحت عين (رع) هي عين (حورس)، وحصل (رع) على التقاعد من أعماله اليومية،

(١) فرانسوا ديماس آلهة مصر ،ص١٣١-١٣٢ .

(٢) لتفاصيل الأسطورة ينظر:جيمس بريتشاد، نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم ،ترجمة عبد الحميد زايد ،(القاهرة ،د ت )،ج١ ،ص٦٦-٦٧ .

وبذلك أصبح (حورس) كبير المعبودات، هذه الأسطورة مدونةٌ في برديتين: الأولى، في (تورين)، والأخرى، في المتحف البريطاني، وهي مؤرخةٌ من الأسرة العشرين (١٢٠٠ . ١٠٨٥) ق.م[١].

أما سبب هزيمة العقيدة الشمسية أمام العقيدة الطبيعية فقد كان فكرة البعث والخلود التي كانت في العقيدة الشمسية للملوك فقط، أما في العقيدة الطبيعية فقد أصبح التوحيد مع (أوزير) هو الأمل في الخلود عند المصريين، ومنذ الدولة الوسطى وما بعدها أصبح هذا التوحيد ميزةً يحصل عليها كل من يُمارس الطقوس الدينية المناسبة[٢].

لقد أصبح من العرف أن يُوضع اسم (أوزير) قبل اسم المتوفى، لأنه يُمثل الاعتقاد المصري بتجدد الحياة النباتية، وتجدد الحياة في السماء، وأن الشمس بعد غروبها يُمكن أن تُشرق من جديدٍ، وهذا الإيمان بتجدد الحياة أدى إلى قوة إيمان المصريين بالحياة بعد الموت[٣]، وقد بدأ تداخل الخلود الملكي والشعبي منذ عصر الدولة الوسطى، ففي بداية المرحلة التطورية للخلود الشعبي كان المصريون يعتقدون أن الميت (يذهب إلى حقول أياور، حيث ينمو الشعير والقمح إلى ارتفاع سبعة أذرعٍ، وأنه يحرث الأرض، ويحصد المحصولات، فإذا أدركه التعب في المساء جلس تحت شجرة الجميز)[٤].

أما في كتاب الموتى فإن هذه الصورة تنتقل فجأةً إلى العالم السماوي، حيث تذكر النصوص أنهم سوف (يعيشون مخلدين في حقل الفيضان السعيد، أي: الحدائق السماوية حيث تُوجد الوفرة والأمن على الدوام) [٥]، في حين يقول قائلٌ للمتوفى: (إن أبواب السماء مفتوحةٌ لجمالك، إنك تصعد وذنبك مغفور)، بجانب القول بأن السماء مقرٌ للخلود[٦].

من هذه النصوص يظهر تطور المبدأ الأوزيري بالبعث والخلود للوصول إلى السماء التي كانت للملوك فقط، وهذه المساواة بالخلود هي التي كانت السبب بسيادة المبدأ الأوزيري،

---

(١) روبرت ارموار ،آلهة مصر ،ص٥١-٥٣ ينظر؛سليمان مظهر ،أساطير الشرق ،ط١ ،(القاهرة ،٢٠٠٠ )،ص١٧-١٩؛ينظر : أحمد علي الطيب الزراعي ،المعبودات الكونية في كل من مصر ص١١٧- ١١٩ .

(٢) حول الطقوس الدينية ينظر :المبحث الثاني ،من الفصل الرابع ،من الرسالة .

(٣) جفري بارندر ، المعتقدات ص٤٦ .

(٤) شجرة الجميز أكثر الأشجار تعمير ينظر :
Barbara S Lesko ,The Great Goddesses .p 84 .

(٥) سيد القمني ،رب الثورة أوزير ،ص١٨٣ .

(٦) المصدر والصفحة نفسهما .

فيرى جيمس هنري بريستيد أن منصب أوزير قاضياً للأموات إنما هو لتحقيق العدالة والمساواة بالحصول على الخلود(١).

إن دراسة أساطير وادي النيل تكشف أن إنسان مصر القديمة أدرك أنه في مواجهة بنيةٍ كونيةٍ منفصلةٍ إلى عالمين: عالم الصور الأرضية الفانية، وعالم المثل العليا الذي يتحكم بالظواهر الطبيعية، ولعل هذه إحدى محاولاته لتبرير قوى الطبيعة الفاعلة(٢)، وقد كانت أسطورة أوزير هي الجامعة لهذه العوالم.

## أسطورة (أوزير) والخصب

تعد أسطورة (أوزير) خلاصة أفكار المبدأ الأوزيري في الخصب والخلود، ولا توجد نسخةٌ كاملةٌ للأسطورة وصلت إلينا من الزمن القديم، والنسخة الأولى هي التي كتبها الرحالة والمؤرخ اليوناني (بلو تارخ) في القرن الأول بعد الميلاد(٣)، وتُفيد الأسطورة بأن (أوزير) كان أولاً في شكله البشري، وهو قائد البشر الفانين، وكان إلهاً أسطورياً للبشر في شكل إنسانٍ، وفي لحظة ميلاده أعلن صوتٌ أن رب العالم قد ولد الملك العظيم (أوزير)، وُلد (أوزير) إلهاً، لكنه كبر ونما إنساناً، وأصبح ملكاً على مصر في وقتٍ كانت البلاد فيه مليئةً برجالٍ متوحشين(٤)، وبما أن (أوزير) الابن البكر أصبح ملكاً، وعلم الناس طريقة العيش والكتابة، وعرفهم بالموسيقى، وكيف يكونون بشراً بدلا من أن يكونوا وحوشاً في الأرض وفي العالم كله، فقد علم الجميع أن يكونوا أخياراً وحكماء ومهرةً، ولما اكتشف الناس أن (أوزير) قد حسن حياتهم احترموه وقدروا أفكاره كثيراً(٥).

وبعد شعور (أوزير) بالرضا لما قام به في وطنه أراد أن يُصدر حضارته للبلاد الأخرى، فرتب لزوجته (إيزيس) أن تقوم بإعمال الحكم في مصر في أثناء غيابه، وعين (تحوت) مساعداً لها، ثم سار بجيشه وأصدقائه إلى إثيوبيا مصحوباً بمجموعةٍ من المهرجين

(١) فجر الضمير ،ص٢٣٥ .

(٢) ايلاف سعد علي البصري ،وظيفة الإبلاغ في الرسوم ،ص٢٠٨ .
(٣) روبرت أرمور ،آلهة مصر ،ص٥٥ .
(٤) المصدر والصفحة نفسهما .
(٥) خزعل الماجدي ، الدين المصري ،ص١٢٤ .

والراقصين، وقام بتعليم السكان أساليب الزراعة وبناء السدود، وعلمهم صناعة الجعة من الشعير، ومر بالجزيرة العربية في طريقه إلى الهند، ثم رحل إلى أوربا، وقد حكم بالمنطق لا بالقوة[١].

أكل الحقد قلب (ست) . أخا (أوزير) . وتملكته الغيرة من نجاحه وزوجته (إيزيس)، وقد جمع (ست) اثنين وسبعين متآمراً، وتذكر الأسطورة أنه هيأ تابوتاً لأخيه في حفلةٍ، واستدرجه إليه، وأخبر (ست) المدعوين للوليمةِ أن من يكون التابوت على مقاسه يُعطيه هديةً له، وعندما فشل الجميع؛ لأنه ليس على مقاسهم، شجع (ست) أخاه (أوزير) على المحاولة، ولما دخل (أوزير) في التابوت وجده مناسباً له، وفي هذه اللحظة أغلق المتآمرون التابوت، وثبتوا الغطاء بالمساميرِ، وصبوا الغار الساخن حول التابوت ليختنق (أوزير) سريعاً، والقوا التابوت في النيل، فحمله الماء بعيداً[٢].

**إيزيس تبحث عن الجسد**

علمت (إيزيس) بموت زوجها، ودخلت في حدادٍ، وقامت بقص خصلةٍ من شعرها، ووضعت ثياب الحداد، وذهبت تبحث عن الصندوق ومحتواه المقدس، وعلمت أن أختها (نفتيس) قد وقعت في حب (أوزير)، واستدرجته إلى مخدعها، وأنجبت منه طفلاً اسمه (أنوبتيس)، وسامحت (إيزيس) أختها (نفتيس) على ما فعلته، وتشاركتا في حدادهما، ثم وجدتا جسد (أوزير) قرب (بيبلس)، وادعتا أن الجسد ذهب إلى البحرِ المتوسطِ في جبيل في (فينيقيا)، وقد اهتدت إليه (إيزيس)، وعادت به إلى أرض مصر[٣].

وتذكر لنا ترنيمةٌ جميلةٌ حب (إيزيس) لزوجها ومحاولة إعادة الروح فيه:

**... التي تعمل على جسدك الهامد بالرباط المعقود**

**التي تدفئ جسدك بدفئ صدرها**

**التي تجعل الهواء يدخل جسدك بقرب جناحيها**

---

(١) روبرت أرمور ، آلهة مصر ،ص٥٦ .
(٢) خزعل ألماجدي ،الدين ،ص١٢٥ .
(٣) المصدر والصفحة نفسهما .

**التي تجعل الحياة تسيل من جسدك إليها**

**إلى مجرة سكون الحياة ...**

من هذه الترنيمة نستدل على أن (إيزيس) تمكنت من تدفئة الجسد، ونفخ الروح بما يكفي ليتمكن (أوزير) من جعل (أيزيس) حاملاً منه[١].

وتلد (إيزيس) (حورس) في يوم الاعتدال الربيعي، أو بداية الربيع حينما بدأت فروع الحبوب تنبت من ظلام الأرض[٢].

وتنتقل الأسطورة إلى تمكن (ست) من قتل (أوزير) مرةً ثانيةً، وقطع جسده، وقام بحرق قطع الجسد حتى لا تعثر (ايزيس) عليها.

لكن (إيزيس) أخذت تبحث عن قطع جثمان زوجها، وكانت كلما وجدت جزءاً منه دفنته في الموضع الذي تجده فيه، فدفنت رأسه في (أبيدوس)، ورقبته في (هيلوبوليس)، وهكذا فعلت في الأجزاء الأخرى، ماعدا عضو التناسل الذي رماه (ست) في البحر، فابتلعه السمك[٣].

ومن تفاصيل هذه الأسطورة أن عقرباً لدغت الابن (حورس)، فأصبحت جميع الآلهة قلقةً، لأن العالم سيظل في ظلامٍ حتى يُشفى إله الشمس الجديد، وقام (تحوت) بترديد ترنيمةٍ لقتل السم، وشعر الطفل بتحسنٍ، وعاد (تحوت) إله الحكمة ليُعطي تقريراً عن أن الصبي سيحكم الأرض بمساعدة (رع) و(أوزير)[٤].

أما جسد (أوزير) الذي كان على (إيزيس) أن تبحث عن أشلائه، وبقوة تعاويذها السحرية نهض (أوزير) مرةً ثانيةً من الموت، وفي تلك الأيام كبر ابنه (حورس)[٥]، وتحدى (ست) لينتقم

---

(١) روبرت أرموار، آلهة مصر ، ص٦٠ ٠
(٢) المصدر والصفحة نفسهما ٠
(٣) طه باقر ،مقدمة في تاريخ ، ج٢ ،ص٩٥ ٠
(٤) روبرت أرموار،آلهة مصر ،ص٦٢ ٠
(٥) لرمزية حورس كاله للشمس وورث لإلهة المصرية ينظر :
Manfred Lurker ,The Routledge Dictionary ,30-31 .

لأبيه، وفي النهاية حصلت معركةٌ كبيرةٌ انتصر فيها (حورس) كما في النص الآتي من نصوص التوابيت:

**انصدعت الأرض حيث تحارب الرفيقان**

**واستحوذت أقدامهما على حقل الإ**

**له بأكمله في هليوبوليس**

**وعهد الرب آتوم . رع بالمهمة العظيمة**

**والآن انتهى الصراع، وكف النضال**

**وانطفأ لهيب الغضب، وانمحت رائحة الدم[١]**

وأعلنت الآلهة أن (أوزير) صاحب الحق، ووصفوه بـ(العادل)، وجعلوه قاضياً وملكاً للموتى في العالم السفلي [٢]، وعلى رأي السيد القمني؛ فإن (حورس) هو (أوزير) الذي أُعيدت ولادته[٣]، ومن فكرة اندماج الوجود وتكونه من (أوزير) يُمكن ترجيح هذا الرأي، وهناك مراثٍ لـ(أيزيس، ونفتيس) ترتلان فيها مقاطع شعريةٍ من المراثي الأوزيرية:

**أنا امرأةٌ مفيدةٌ لأخيها**

**أنا زوجتك، وشقيقتك، وأمك**

**عُد إذن، إلي على جناح السرعة[٤].**

ومن النصوص المهمة التي تُبين هذه الأسطورة في كتاب الموتى:

**يقول أوزير: إني الكاتب إني ... الجلال لك ... يا ثور ... ملك الأبدية إني واحدٌ من الآلهة الأمراء المقدسين الذين يجعلون (أوزير) ظافراً على أعدائه ... من بطن نوت الذين يذبحون أعداءك ويُقيدون لك بالأغلال الخبيث سيبو إني وسأظل يا حورس أقاتل من أجلك ... إني مع**

---

(١) رندل كلارك ،الرمز والأسطورة في مصر ،ص١٠٩ .
(٢) خزعل ألماجدي ،الدين ،ص١٢٧ .
(٣) رب الثورة أوزير ،ص١٩٢ .
(٤) خزعل ألماجدي ،الدين ، ص١٢٧ ؛ينظر:فراس السواح ،مدخل إلى نصوص الشرق،ص٣٢٠-٣٢١ .

**هؤلاء الذين يبكون ومع النساء اللواتي يندبن أوزير لقد أمر رع تحوت لكي يجعل أوزير ظافراً على أعدائه ... يا من تُعطي الأرواح الكاملة الخبز والجعة في منزل أوزير وتُمهد المسالك للأرواح الكاملة ... إني الكاتب وخادم القرابين المقدسة ... عسى أن يكون ممجداً على الدوام معك ... والميزان (قد حسم المحاكمة ) وصار خالياً**[١].

وهذه النصوص بينت أهم تفصيلات الأسطورة ووظائف الإله (أوزير) وابنه (حورس)، واعتلاء (حورس) عرش والده، أما (ست)، ففي نهاية الأسطورة سأل الإله (بتاح) عن مصيرِ (ست)، فقال: (رع) دعوه لي، سيكون مقره في صحبتي، وسيكون ابني، وسوف يزعق في السماء، فيخشاه الناس إلهاً للزوابع والعواصف[٢].

ومن مواضيع الأسطورة الحب والعلاقات الجنسية، وتمثلت بـ(إيزيس) زوجة (أوزير)، وهي واحدةٌ من الآلهة المصرية القديمة، فهي تقدم الأنموذج القديم للزوجة المحبة والأم المضحية، وحياتها زوجة (أوزير)، وكانت سعيدةً في زواجها من (أوزير) إلى أن أدت غيرة (ست) إلى قتل أخيه الأكبر، ونعت (إيزيس) زوجها، وكان عليها أن تخفي ابنها وتحميه، ومن مأساتها ووفاءها اكتسبت لقب الأم العظيمة، و يظهر حبها لزوجها في مرثيةٍ غنتها له بعد وفاته.

**أنا أبحث عن الحب**

**أنا حزينةٌ وبائسةٌ من أجل حبك لي**

**أيها المفارق عد إلى الآن**

وتدل نهاية الأسطورة على موضوعٍ سياسيٍّ هو انتقال القوة بيد الفرعون الحاكم الأوحد لمصر، وهزيمة أعدائه[٣].

ومن مواضيع الأسطورة: الاحتفال بدورة الطبيعة وتجددها السنوي، أي: بعث الحياة الزراعية في الربيع، وارتباط (أوزير) بالماء، وولادة (حورس) في يوم الاعتدال الربيعي، أي: إن

---

(١) برت ام هرو ،كتاب الموتى ،ص٢٢ –ص٢٣ .
(٢) خزعل الماجدي ، الدين ، ص١٤٥ .
(٣) روبرت أرموار ،آلهة مصر ، ص ٦٦ .

(أوزير) هو قوة النمو في الزرع والإنجاب في الحيوانات والبشر، أي: إنه من معاني الحياة والخصوبة[١].

وباستقراء الحضارة في الأسطورة يُمكن أن نستدل على أن مصر من البلدان التي نشرت الحضارة في العالم، واتصلت بحضارات وشعوب العالم القديم[٢].

وقد جسدت الأسطورة أفكاراً أخرى من أهمها: موت (أوزير) وحياته، وكيف أصبح إلهاً لعالم الأموات، فهو رمز الخلود، إذن الإيمان بالخلود والبعث والعدل[٣].

وهناك فكرة الصراع بين الخير والشر، فعلى الرغم من نجاحات الشر في بعض مراحل الصراع كانت الغلبة في النهاية للخير[٤].

وفي الأسطورة أيضاً، كانت القناعة الواعية إحدى الأفكار التي تتضح لنا من صبر وعمل (إيزيس) من أجل إنقاذ زوجها، أي: إن قناعة الإنسان المتأتية من وعيه لصواب العمل الذي يقوم به إنما هي محرك السلوك[٥].

إن فكرة الخصب وارتباطها بالآلهة، وتحكم الآلهة بالظواهر السماوية، وتجسيدها لهذه الظواهر كما أصبح (ست) إله الرعد والزوابع والعواصف[٦].

وقد عدت الأسطورة الإنسان روحاً مستقلةً تنطلق بالموت على شكل طائرٍ عندما بعث (أوزير) بجسده الأرضي جسداً يبعث الثاوي في أحضان الأرض، وستعود هذه الروح لتنال جزاء ما قدمت يداها، وسيُبعث الإنسان في قاعة الحساب يوم يُنصب ميزان العدالة، أي: محكمة (أوزير)، وهذا يعني: فكرة البعث والحساب، ومكافأة المحسن، ومعاقبة المسيء[٧].

(١) روبرت أرموار ،آلهة مصر ،ص٦٧ ٠
(٢) خزعل ألماجدي ،الدين ،ص١٢٤ ٠
(٣) Manfred Lurker ,The Routledge Dictionary ,p14 .
(٤) ايلاف سعد على البصري ،وظيفة الإبلاغ في الرسوم ،ص٢١١
(٥) جمال المرزوقي ،الفكر ،ص ١٧٨ ٠
(٦) خزعل ألماجدي ، الدين ،ص١٣٥ ٠
(٧) ابكار السقاف ،الدين في مصر القديمة، (القاهرة ،د ت)،ص٥٤ ٠

ويتضح السحر، واستخدام الآلهة لقواها الخارقة في ما فعلته (إيزيس) باستخدام تعاويذها السحرية ببعث (أوزير)، واستخدم السحر عندما لدغت العقرب (حورس)، فإن الترانيم التي قرأتها (تحوت) قد شفته من السم بما لايدع مجالاً للشك بأن المصريين اعتقدوا بفكرة السحر والتعاويذ، وأثرها في شفاء المرض، وإحياء الموتى[1].

أما التفسير العلمي، فإنه يدور في فكرةٍ فلكيةٍ وعلميةٍ، إذ إن (أوزير) هو المبدأ المنتج، وهو الخالق في الطبيعة، و(إيزيس) هي النوع الأنثوي في الطبيعة، و(ست) هو مبدأ الشر المدمر في الطبيعة، ولعلها رموزٍ لأحداثٍ حقيقيةٍ بعيدةٍ سبقت قيام وحدة مصر التاريخية[2].

وفي النهاية استطاعت عقيدة الخلود المصرية مع طقوسها ومعتقداتها الفرعية أن تخرج من مصر في ظل الإمبراطورية الرومانية(٣٠ ق م –٣٢٣ م) لتسود حوض البحر المتوسط بعد أن تحول (أوزير) إلى (سيرابيس)[3]، لتسود هذه العقيدة على العقل البشري حتى انتهاء القرون الخمسة لظهور المسيحية[4]، ويمكن القول: إن (أوزير) يُمثل تجسيداً لمبدأ أبدية الحياة الدورية، كما جسد النيل، والقمح، ومصر العليا والسفلى، وعُدت الحياة المتولدة من داخل الأرض التي تعمل على إخصاب السماء أنه رب النبات والمزروعات، وإله العلاقات الجنسية، والقوة المجردة للخصب والخلود.

---

(١) خزعل ألماجدي ،الدين ، ص١٢٧ ؛ينظر :
Manfred Lurker ,The Routledge Dictionary ,p11 .

(٢) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني لبلاد وادي النيل ،ص٨٢ .

(٣) هو تطور لأله أوزير ظهر في القرن الرابع قبل الميلاد واستمر إلى القرن الثالث الميلادي انتشرت عبادته في أجزاء واسعة من الدولة الرومانية ينظر:
Michael Jordan , Dictionary of Gods and Goddesses .p275 .

(٤)سيد القمني ،رب الثورة أوزير ،ص٢٣٣ .

**أوجه الاختلاف في عقائد الخصب في الحضارتين في ضوء الأساطير**

هناك اختلافاتٌ في عقائد الخصب للحضارتين كان من أسبابها كما بينا البيئة والوضع السياسي، وأصل السكان، ومن هذه الاختلافات الأساسية:

**أولاً: (أوزير) و(دموزي)**

لقد اعتمدت الكثير من الدراسات على تفسيرات العالم الإنثروبولوجي[١] البريطاني جيمس فريزر (James. G. Frazer)[٢] في تشابه عقيدة موت الإله وقيامته، وحاولت هذه الدراسات أن تبحث في النصوص المسمارية عن ما يسند تفسيرات فريزر تلك وتهمل ما يختلف معها[٣]، وقد عد (فريزر) قصة (أدونيس) رواية إغريقية لاختفاء (تموز) وقيامته، وذهب إلى أن شعوب مصر وآسيا الغربية القديمة جسدوا الاضمحلال والانبعاث السنويين للحياة، ولاسيما حياة النبات بإلهٍ يموت سنوياً ويقوم ثانيةً من موته، وبناءً على نظرية (فريزر) كانت الشعائر الخاصة بموت الإله وقيامته تختلف من مكانٍ إلى آخر، ولكنها كانت واحدةً في جوهرها، ويعود أصل الاعتقاد إلى السومريين ومن هذا خلص (فريزر) إلى أن الآلهة: (أوزير: في مصر، وأدونيس: في سوريا، و(أتيس): في آسيا الصغرى) إنما هي أمثلةٌ للإله (تموز)[٤].

وما يعنينا هو مناقشة موضوع (تموز) و (أوزير)، ومن دراستنا لموضوع العقيدة الأوزريزية وجدنا أنها تتكون من عناصر مختلفةٍ يظهر فيها الخلاف بين العقيدتين الشمسية والزراعية في وادي النيل ومحاولات التوفيق بينهما، وكذلك يظهر موضوع خلود الملك المتوفى، وانتقال الحكم إلى الملك الجديد، وأثر كل منهما في أفق الخلود الذي نُسب إليهما، ومن الواضح أن مثل هذه العناصر لا وجود لها في عبادة بلاد الرافدين[٥]، وحتى يُوفق (فريزر) في ذلك يذكر

---

(١) الانثروبولوجيا معناها علم الإنسان أو علم الإنسان وأفعاله وعلم الحضارات والمجتمعات البشرية وهو علم يهتم بالسلوك الإنساني ويعود إلى حقبه ليست حديثه ففي القرن الخامس قبل الميلاد ظهر هيرودتس الذي وصف بان اب الانثروبولوجيا ينظر:عبد علي سلمان ،الانثروبولوجيا الاجتماعية ،(الموصل ،١٩٨٥ )،ص١٥-١٦ ٠

(٢) لمعرفة نظرية فريزر ينظر :الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين ،ترجمة احمد أبو زيد ،٠القاهرة ،١٩٧١ )،ج١ ،ص١١-٦١ ٠

(٣) من الباحثين الذين اعتمدوا على نظرية فريزر ميرسا الياد في كتابه تاريخ الأديان والمعتقدات وفراس السواح في كتابه لغز عشتار ومغامرة العقل الاول وتقي الدباغ في كتابه الفكر الديني القديم والعديد من الباحثين الآخرين ينظر: فاضل عبد الواحد ،عشتار ،ص١٨٢ ٠

(٤) في الر د على نظرية فريزر ينظر :نائل حنون ،عقائد الحياة والموت ،ص١٨٤-١٩٢ ٠

(٥) ينظر:المبحث الثاني من الفصل الثاني من الرسالة ٠

تأليه الملوك في بلاد الرافدين، ويشبهها في تأليه الملوك في وادي النيل، وإقامة المعابد لهم[١] ، وهذا ما لا تُؤيده الدراسات المسمارية في بلاد الرافدين، فمسألة تأليه الملوك في وادي الرافدين لم تكن عقيدةً رافدينيةً ثابتةً، بل هي كانت في مدةً محدودة من الحضارة الرافدينية[٢]، ومن الاختلافات الأساسية بين وظائف (دموزي) و (أوزير)، نجد أن (دموزي) إلهٌ من الدرجة الثانية وليس من الآلهة الرئيسة في وادي الرافدين[٣]، أما (أوزير) فهو من الآلهة الرئيسة في وادي النيل، ونحن نرجح أن يكون (تموز) بنزوله إلى العالم الأسفل قد أصبح أحد آلهة العالم الأسفل[٤]، ولم يُبعث من هذا العالم، أما (أوزير) فهو إله خصبٍ، وعند نزوله إلى العالم الأسفل أصبح قاضي الأموات، لكنه انبعث مؤقتاً بسحر (إيزيس) لكي تخصب منه بالإله (حورس) الذي يُمثل تجديداً للخصب في العقيدة الأوزيرية[٥].

ويتضح من هذا عدم وجود تشابهٍ أساسيٍّ بين (تموز) و(أوزير)، بل إن الاختلاف واضح وأساسي بين وظائف هذين الإلهين.

ثانياً: عدد آلهة الخصب

بما أن عقيدة وادي النيل الدينية تكونت من مجموعةٍ من المدارس الدينية؛ كل مدرسةٍ انتشرت مفاهيمها في مدينةٍ من مدن وادي النيل[٦]، لذا؛ تعددت آلهة الخصب، ولأن وادي النيل وقع تحت تأثير ثلاثة عوامل كونيةٍ وطبيعيةٍ مختلفةٍ، هي الشمس والنيل والخضرة التي جسدها بآلهةٍ رئيسة تنافست مدارسها الدينية فيما بينها إلى أن تطورت العبادة، وأصبح (أوزير) مصدر الحياة والخصب، وإله الانبعاث والتجديد والخلود[٧]، بينما في وادي الرافدين كانت فكرة الخصب والعلاقات الجنسية تُمثلها الإلهة (إينانا)، لكن لم يستطع الفكر الرافديني . بسبب صراعه مع البيئة الصعبة وكثرة الغزوات والحروب في بلاده . أن يصل إلى مستوى الفكر المصري بربط

(١) جيمس فريزر،الغصن الذهبي ،ج١ ،ص٣٦٦-٣٦٧ .
(٢) ينظر:اسامه عدنان يحي ،الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم ،أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب بغداد ،٢٠٠٧ ،ص١٩٨-٢٠٠ ؛ ينظر أيضاً طه باقر ،مقدمة في تاريخ، ج١،ص٣٨٧ .
(٣) ينظر :نائل حنون ،عقائد الحياة والموت ،ص١٢٠ .
(٤) المصدر والصفحة نفسهما .
(٥) ينظر المبحث الثالث من الفصل الأول من الرسالة .
(٦) عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة ،ص٥٦ .
(٧) ينظر :المبحث الثاني ،من الفصل الأول ،من الرسالة .

الخلود بالخصب بل إنه ابتكر فكرة وجود إلهةٍ تجسد قوة الحياة والخصب والعلاقات الجنسية، وحاول بأساطيره أن تنزل هذه الإلهة إلى العالم الأسفل وتحكم هذا العالم، كما في الأسطورة الآتية:

**من الأعلى العظيم اتجهت بأفكارها إلى الأسفل القديم**

**من الأعلى العظيم اتجهت الربة بأفكارها إلى الأسفل العظيم**

**هجرت سيدتي السماء وتركت الأرض**

**إلى العالم الأسفل قد هبطت**

**هجرت الملك والسلطان**

**زينت نفسها بالنواميس الكونية السبعة[١]**

**وبعد ان جمعت اليها كل النواميس هيأت نفسها[٢]**

هذه النصوص تدل على نزول (إينانا) إلى العالم الأسفل لكي تتحكم فيه، ويرى أحد الباحثين أن سبب النزول إلى العالم الأسفل كان لإطلاق أرواح الموتى المحتجزة هناك[٣]، أي: بعث الموتى وتخليصهم من هذا العالم، وربما يكون سبب النزول إلى العالم الأسفل هو محاولةٌ فكريةٌ لسكان بلاد الرافدين في الوصول إلى الخلود، واستمرت محاولاتهم تلك، وقد تجلت بوضوحٍ في ملحمة (جلجامش) في سعيه نحو الخلود، وفي نزول (أنكيدو) إلى العالم الأسفل، كما في النص الآتي:

**إذا اعتزمت النزول إلى العالم الأسفل هذا اليوم**

**فسأقول لك كلمةً فاتبع كلمتي**

---

(١) النواميس الكونية تعرف بالسومرية(ME) وبالاكدية (Parsu) والتي رأى فيها سكان بلاد الرافدين القدماء أنها تحكم الكون وإنها تسيطر على شؤون الإنسان والحضارة وهي مجموعة الإحكام والقواعد التي خصصت لكل ذاتية كونية وظاهرة حضارية للإبقاء عليها عاملة إلى الأبد بمقتضى الخطط التي وضعها الإله الذي خلقها ينظر:مهند عاشور شناوه ،مجمع الآلهة،ص١٩٨ .

(٢) فراس السواح ،مدخل إلى نصوص الشرق ،ص١٨٦ .

(٣) فاضل عبد الواحد علي،عشتار ومأساة تموز ،ص ١١٠ .

**سأرشدك، فسر وفق إرشادي**

**لاتكتسِ بالحلة النظيفة (الزاهية)، وإلا هب بوجهك الأموات**

ولكن (أنكيدو) لم يأخذ بنصح صديقه (جلجامش) بل سلك على غير ما أوصاه، فلبس حلةً فاخرةً، ومسح جسمه بالزيت العطر، فتجمع حوله سكان العالم الأسفل، وقبّل المرأة التي يُحب وضرب المرأة التي يبغض، وقبّل الابن الذي يُحب وضرب الولد الذي يكره، فغلبه صراخ العالم الأسفل، فقررت ملكة العالم الأسفل أن لا يخرج (أنكيدو) من ذلك العالم، لأن من سننه أن من يدخله لا يرجع منه[1].

وما يُفيدنا من هذا النص هو فشل (أنكيدو) في الخروج من العالم الأسفل، وقرار ملكة العالم الأسفل برفض السماح له من الخروج من هذا العالم، لأن ذلك يُخالف قوانين العالم الأسفل، وقد شكلت قضية الموت موضوعاً أرهب الإنسان في بلاد الرافدين حتى بات ينسج عنه القصص والروايات، وحاول جاهداً الوصول إلى وصفٍ دقيقٍ ومناسبٍ، لذا نجد (أنكيدو) ـ في ملحمة (جلجامش) ـ يصف الموت لصديقه، ويمنحه مزايا وخصائص تفوق البشر، وذلك في قوله:

**((كانت السماء ترتعد، فاستجابت لها الأرض**

**وكنت واقفاً وحدي، فظهر أمامي**

**مخلوقٌ مخيفٌ مكفهر الوجه**

**كأن وجهه مثل وجه طير الصاعقة (زو)**

**ومخالبه كأظفار النسر**

**لقد عراني من لباسي وأمسك بي**

---

(1) طه باقر ،ملحمة جلجامش أوديسة العراق الخالدة ،(بغداد ،١٩٨٠ )،ص١٠٥-١٠٦ .

**بمخالبه، وأخذ بخناقي حتى خمدت أنفاسي))**[١]

من هذا النص يتضح خوف إنسان بلاد الرافدين من العالم الأسفل، وعدم اطمئنانه لمصيره في هذا العالم، ولم تكن (عشتار) هي الوحيدة التي حاولت دخول هذا العالم، فقد كان أيضاً الإله (شمش Šamaš) الذي كان ينتقل بين العالم الدنيوي والعالم الأسفل بشكل متعاقب، وتواجده في ذلك العالم يبدأ بعد الغروب ويستمر الليل كله[٢]، كما كان يمارس القضاء في مملكة الأموات، وهي ذات المهام التي كان يُمارسها على ما يبدو في العالم الدنيوي.

أما القمر، فكان ينتقل عند شروق الشمس من العالم الدنيوي إلى العالم الأسفل ليقضي راحته في النهار، ويمر في ثمانية وعشرين (أو تسعة وعشرين) يوماً في كل شهرٍ في العالم الأسفل، ومثلها في العالم الدنيوي.

**((يا ننا، عسى أن تسر روحك، ويستقر قلبك**

**عسى الإله أوتو سيد العالم السفلي العظيم**

**بعد أن يُنور الأماكن المظلمة أن يحكم قضيتك (بعطف)**

**عسى الإله (ننا) أن يُقرر مصيرك برحمته في يوم النوم**

**عسى نركال الذي هو إنليل العالم الأسفل ...))**[٣]

ويبدو أن الإنسان الرافديني أراد من تحليله لمسألة غياب الشمس والقمر عن العالم الدنيوي أن يضع تحليلا مقنعا من جانبٍ، وأن يخلق من جانب آخر نوعاً من الطمأنينة، ويُخفف من حدة الخوف والقلق من العالم الأسفل والموت، وذلك بأن يُقنعهم بأن الظواهر الموجودة في عالمه موجودةٌ ذاتها في عالم الأموات.

---

(١) طه باقر ،ملحمة جلجامش ، ص١٠.
(٢) شيماء ماجد كاظم الحبوبي،الحيوية والاستمرارية في عقائد بلاد الرافدين القديمة حتى ٥٣٩ ق ٠م ،رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب ،بغداد ،٢٠٠٧ ،ص١٨٦ ٠
(٣) نائل حنون، عقائد ما بعد الموت،ص١٤٠ ٠

أما الإلهُ (دموزي) الذي امتاز بطبيعةٍ نباتيةٍ ومائيةٍ في آنٍ واحدٍ، فقد عُدّ نزوله إلى العالم الأسفل تحقيقاً للاتفاق الذي عُقد بين ملكة العالم الأسفل (إيرشيكيكال) وأختها (عشتار) التي اختارت زوجها الإله (تموز) ليحل محلها في ذلك العالم[١].

وبما أننا نرجح أن يكون الإله (دموزي) ملكاً وصل نتيجة تكريمه من إلهة الخصب (إينانا) إلى مصاف الآلهة، وهذا ما نجده في نصٍّ يرد على لسان (دموزي) بعد أن أحس بموتٍ وشيكٍ:

**((كان قلبه مملوءاً بالدموع، فخرج إلى السهل**

**الراعي كان قلبه مملوءاً بالدموع، فخرج إلى السهل**

**فربط نايه حول عنقه ونطق بالنواح**

**أطلق النواح، أطلق النواح**

**أيها السهل، أطلق النواح**

**أيها السهل، أطلق النواح، أطلق العويل**

**دع أمي سرتور تنطق كلمات النواح**

**دع أمي التي لا تملك عشرة أرغفة**

**تنطق كلمات النواح**

**فيوم أموت لن يكون لها أحد يعنى بها**

**على السهل كأمي دع عيني تذرف الدموع))**[٢]

(١) حول نزول تموز إلى العالم الأسفل ينظر :طه باقر ،مقدمة في أدب العراق القديم ،(بغداد ،١٩٧٦ )،ص٢٤١-٢٤٢ .

(٢) صموئيل نوح كريمر وآخرون، أساطير العالم القديم، ص١٠٠ .

وما يُفيدنا من هذا النص هو الخوف من الموت والبكاء على الميت وعدم وصول الفكر الرافديني إلى فكرة الخلود لا كما الفكر المصري الذي ربط فكرياً بين قوة الحياة (أوزير) وبين العالم الأسفل، وفكرة الخلود، ولم يقف عند حدود الفكر الرافديني، أي: تجدد الحياة من قبل إلهة الخصب (إينانا)، بل إن إله الخصب (أوزير) أصبح إله الانبعاث والخلود، وقاضي الأموات، فاعتقد المصريون بأن الحياة المتجددة التي سيحيونها تشابه الحياة التي عاشوها على الأرض(١).

ونتيجةً لتقديس المصريين للشمس (التي تُشرق صباحاً، وتسطع نهاراً، وتختفي مساءً في الغرب(٢)) هذا التقديس الذي تخيلوه مدخلاً إلى مملكة الموتى في حالة اختفاءٍ مؤقتٍ، لأنها تظهر مرةً أخرى في صباح اليوم التالي، وبذلك اعتقد المصريون بأن الحياة الإنسانية تتماثل مع المسار اليومي للشمس؛ فالإنسان يولد كما تولد الشمس في الصباح، ويعيش حياته الأرضية، ويموت مثلها، ثم يُواصل الإنسان الحياة بعد الموت في عالم خارج نطاق حواسه، ويُبعث مرةً أخرى إلى حياةٍ أخرى(٣).

ومن هذا المعتقد نُلاحظ أن المصريين قد آمنوا بإمكانية نهوض الميت من موته بعد أن يتم توفير مستلزمات ذلك النهوض، من أداءٍ للصلوات والشعائر، والنصوص، والتمائم، والصيغ السحرية(٤)، وآمن المصريون أيضاً بأن الموتى يعملون في آخرتهم في حقل البردي بزراعة الأرض التي تُعدّ أحب الحرف، ويجني هذا الفلاح (المتوفى) من عمله هذا ثمرةً عظيمةً تختلف اختلافاً كبيراً عما كان يجنيه في الحياة الدنيا، فالقمح ينمو على ارتفاع سبعة أذرعٍ ونصفٍ، والسنبلة وحدها تربو على ثلاثة أذرعٍ ونصفٍ، فكان الموتى يُعدون الأرض، ويبذرون البذور، ويحصدون المحصول، ويخزنونه، ثم يلهون بلعب النرد في نهاية اليوم، بعد الفراغ من العمل تحت ظلال شجرة الجميز (٥).

---

(١) خزعل ألماجدي ،الدين المصري ،ص١١٦ .
(٢) فرانسوا ديماس ،الهة مصر ،ص١٣٧ .
(٣) خزعل ألماجدي ،الدين المصري،ص١٠٩-١١٠ .
(٤) واليس بودج ، الديانة الفرعونية ،، ص٢٢٥
(٥) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني لبلاد وادي النيل ص١٥٧ .

وقد تولد عن ذلك وعن عقيدة موت وبعث الإله (أوزير) الذي عُدّ ملكاً لكل للموتى الذين يعيشون في العالم السفلي بحمايته وحماية زوجته (ايزيس)(١).

وقد اعتقد المصريون بأنهم سيُبعثون أحياءً، ولن يموتوا مثل (أوزير) في حياةٍ جديدةٍ وسعيدةٍ؛ فآمنوا بأن الميت سوف يصحو ثانيةً على النحو الذي بُعث به (أوزير) للحياة من جديدٍ، لاعلى شكل شبح خيالي، وإنما في بعثٍ مجسدٍ، لأن الآلهة جمعت عظام (أوزير) وأعادته إلى الحياة، وأن (نوت) و(أوزير) سوف تقتربان منه حينما يموت، فتُضم عظامه بعضها إلى بعضٍ من جديدٍ، وتُجمع له أعضاؤه، ويُوضع قلبه في جسده، وستأتيه روحه، وتُصاحبه من جديدٍ (ألكا) الخاصة به، وهذا هو مصير الأتقياء الذين يعبدون (أوزير)؛ فهم لا يذهبون أمواتاً بل أحياءً، ولا يحيون . كما تقدم . بعد الموت حياة الأشباح، وإنما يُبعثون لحياةٍ جديدةٍ يحرزون فيها أجسامهم وأرواحهم وسائر أعضائهم(٢)، فقد رسخ الاعتقاد بالعقيدة الأوزيرية منذ أيام الأسرة الثامنة عشرة؛ إذ تشوق الناس إلى البعث والحياة بعد الموت مثل (أوزير)، والتماثل معه(٣)، ولاسيما أن المصري كان قد اقتنع بأن الأعمال التي يقوم بها في حياته تخضع لتحليلٍ وتمحيصٍ على أيدي القوى الإلهية بعد موته(٤)؛ فوُلدت فكرة محكمة (أوزير) وتطورت، فهي تنتظر كل إنسانٍ بعد مماته كي يُحاكم على تصرفاته على وفق قواعد الأخلاق.

ومن الجدير بالذكر أن أول المحاكمات الإلهية قد جرت لـ(أوزير) وخرج منها بريئاً، كما في النص الآتي:

**أظلمت السماء وارتجت الأرض**

**حورس آتٍ وتوت قادمٌ**

**ليقيما أوزير على جنبه**

---

(١) ينظر :فرانسوا ديماس ،آلهة مصر ،ص١٢٨-١٣٠ .

(٢) تقي الدباغ ، الفكر الديني القديم ، ص٩٢ .

(٣) ينظر :

Barbara S Lesko ,The Great Goddesses .p .176 .

(٤) واليس بودج ، الديانة الفرعونية ، ص١٤٥ .

**ويُمثلا به أمام الجماعة المقدسة**

**الخطاب موجه الآن إلى ست**

**تذكر ست وتدبر ماتهمك به جب**

**وما وجهته لك الآلهة من اتهامٍ**

**في بيت الكبير (أي: بيت آتوم إله الخليقة) في هليوبوليس**

**بأنك طرحت أوزير أرضا**

**وقلت: يا ست (كلا إنه هو الذي استثارني)**

**... وحينما قلت: يا ست (كلا هو الذي هاجمني)**

**... مد ساقيك وأسرع في خطاك حتى تذهب إلى ما وراء**

**الأرض الجنوبية**

**انهض يا أوزير حتى ولو مثل ست**

**حينما سمع اتهام الآلهة، والاتهام الموجه من أبي الآلهة**

**أعطِ ذراعاً لإيزيس يا أوزير، يا أوزير، وذراعاً لنفتيس**

**وتعال بينهما**[١]

فقد قُتل (أوزير) على يد (ست) الذي نسب لـ(أوزير) أموراً شائنة تلحق العار بشرف (إيزيس) عندما وضعت (حورس) بعد وفاة زوجها (أوزير)، ولما شب (حورس) قامت بينه وبين (ست) مشاجراتٌ احتكموا بعدها إلى المحكمة العليا، فحكمت بصحة نسب (حورس)، وأدانت (ست) الذي عرف من ذلك الحين بإله السوء، فكان لهذه الأسطورة أثرٌ عظيمٌ في عقائد قدماء المصريين، لأنهم اعتقدوا أن كل من أحسن في دنياه ولا سيما من ذاقت نفسه الآلام مثل (أوزير)

(١) رندل كلارك ،الرمز والأسطورة في مصر ،ص١١٥

لابد من أن يُكافأ بالنعيم في الحياة الأخرى، وعلى غير ذلك يكون مصير من أساء في دنياه كما هو الحال مع (ست)[١]، ولاسيما أن الآلهة في محاكمتها قد قررت إحضار (أوزير) للمحكمة من مسكنه في السماء، فيما تولى (تحوت)[٢] إجراء التحقيقات في تهم (ست) ضد (أوزير)، فأثبت براءة (أوزير)، واقتنعت الآلهة بذلك، وأثبت أن (ست) كان كاذباً، وأن (أوزير) كان بريئاً وقائلاً للحقيقة، فقررت كل آلهة السماء والأرض تنصيبه قاضياً للموتى، وجعلت مملكته في العالم الآخر[٣].

وقد نشأ عند المصريين القدماء اعتقادٌ بإمكانية تحويل الميت إلى مادة الإله من حيث إمكانية القيامة والحياة بعد الموت، وحتى تأليه الميت، فكان الفرعون عندهم أثناء الحياة يُطابق ويُعادل الإله (حورس) ابن (أوزير)، وعند الموت يصير (أوزير)، ويصبح ابن الملك الذي يعتلي العرش في مكان أبيه الإله (حورس)، ثم توسعوا في هذا الامتياز، وجعلوه يشمل أعضاء الأسرة المالكة، ثم صار الاتصال بـ(أوزير) حقاً لجميع الناس إلا أن الفرعون يتحد مع الآلهة في السماء، ويُصبح إلهاً مثلهم[٤].

إن عقيدة الخصب والعلاقات الجنسية وإلهتها (إينانا) كانت أوضح وأكثر ظهوراً في أساطير بلاد الرافدين، بينما نجد أن هذه العقيدة على الرغم من اشتراكها مع عقيدة بلاد الرافدين بالفكرة المجردة للخصب والحياة طورت عقيدة الانبعاث والخلود التي أصبحت مرتبطةً بقوة الحياة والخصب، وإله الخضرة (أوزير) الذي تطورت عبادته من إلهٍ للخصب إلى إله للخصب والخلود والانبعاث، وهذا من أهم الاختلافات الأساسية بين الفكر الرافديني والفكر المصري في عقائد

---

(١) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني ،ص١٦٣ ٠

(٢) يعده المصريون مؤلف ما يعرف " بكتاب الموتى " ، واعتقدوا أنه قلب الخالق وعقله ، ولسانه والناطق بإرادته ، وإنه الكاتب والناسخ الذي يحتفظ بسجل لكلمات وأفعال الناس ، وهو مبتكر القانون المادي والمعنوي، وهو رمز مجسد للعدل ، وهو معين لتقييم أفعال وكلام الناس ، وقد أصبح أكثر قوة في العالم الآخر حتى من " أوزير " نفسه الذي يعزو براءته وانتصاره على " ست " إليه ، لذا فإن كل مؤمن وتابع "لأوزير " يعتمد على " تحوت " لتأمين بقائه اللانهائي في محكمة أوزير ينظر :

E. A. Wallis, Budge,The Book of the Dead, (England, 1922, p14

(٣) واليس بودج ، الساكنون على النيل ، ص٢١٧

(٤) ينظر :المبحث الثاني من الفصل الثاني من الرسالة ٠

الحياة والخصب التي ظهرت في أرض الرافدين، لكن هذه العقائد لم تتمكن من الوصول إلى الاستقرار في فكرة الانبعاث والخلود، لكن هذه الفكرة تطورت في وادي النيل لاستكمال هذه المرحلة المهمة في الفكر الديني الإنساني.

**أوجه الشبه في عقائد الخصب في ضوء الأساطير للحضارتين:**

تتشابه حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل في مرتكزاتٍ فكريةٍ اتسمت بها الحضارتان، ومن هذه المشتركات: فكرة العلاقات الجنسية والخصب التي مُثلت في وادي الرافدين بالإلهة (إينانا)، ومُثلت في وادي النيل بالإله (أوزير) وارتباطهما بالطبيعة واستمرار الحياة وتجدد المواسم الزراعية والتكاثر، فالإلهة (إينانا) هي إلهة الخصب عند سكان وادي الرافدين، وهي أيضاً مصدر الماء والزرع والخير الذي يتدفق من ثدييها:

**أيتها السيدة، إن ثدييك هما حقلك**

**وحقلك الواسع الممتد الذي يسكب النبات**

**وحقلك الواسع الممتد الذي يسكب الحنطة**

**والماء متدفقاً من العلى ـ للمولى ـ والخبز من العلى**

**الماء متدفقاً من العلى ـ للمولى ـ والخبز من العلى**

**اسكبي للمولى المأمور ليشرب منك**[١].

من هذه النصوص يتضح أثر (إينانا) في الخصب وتوفير مصادر الحياة كما هو أثر (أوزير) في النص الآتي:

**(الولاء لك يامالك الملوك، ورب الأرباب، وأمير الأمراء، من رحم (نوت) حكمت العالم والعالم الأسفل، جسدك معدنٌ لماعٌ ورأسك زرقة اللازورد وبريق الفيروز، يحف بك أنت يا له إن، يامن قضيت ملايين السنين في وجودك، ويامن يتخلل جميع الأشياء في جسدك، امنحني**

---

(١) فاضل عبد الواحد علي ،عشتار ومأساة تموز ،ص٢٤-٢٥ .

**عظمةً في السماء، وقدرةً على الأرض، ونشوة الظفر في العالم الأسفل، وهب لي أرغفة الخبز في منزل البرودة، وأعطيات الطعام والشراب في أنوهليوبوليس[١])**

من هذا النص يتضح أثر (أوزير) كونه مصدراً للحياة، وواهب أرغفة الخبز، ومتخلل جميع الأشياء، فكرة التجديد والموت والانبعاث، وارتباطها بالجنس، وهي من المشتركات بين (عشتار) و(أوزير)، وهذا مالمسناه من أسطورة نزول (عشتار) إلى العالم الأسفل وأسطورة (أوزير).

ولأهمية (إينانا) للجنس والخصب وتوقف الخصب بنزولها إلى العالم الأسفل تدخل الإله (إنكي) وأنقذها من العالم الأسفل وملكته الإلهة (إيرشيكيكال) كما في النص الآتي:

**خلق أيا إنسانا بما أوتي من حكمةٍ في قلبه**

**خلق جميل المحيا، الفتى اللعوب**

**تعال يا جميل المحيا، يمم وجهك ناحية**

**بوابة كورنوكي[٢].**

وتستمر الأسطورة حتى يُنفذ (جميل المحيا) تعليمات (إنكي) ويُنقذ (عشتار)، وهذا ما يُورده النص الآتي:

**رش عشتار بمياه الحياة، وجاء بها إلى أختها**

**أخرجها من الباب الأول، وأعاد لها**

**رداء جسدها الفاخر[٣].**

من هذا النص يتضح لنا أن نزول عشتار إلى العالم الأسفل هو توقفٌ للخصب، لأنها إلهة العلاقات الجنسية واستمرار الخصب، وقد كانت في سباتٍ، وعملية بعث الحياة فيها يتم عن

---

(١) واليس بدج ،الديانة الفرعونية ،ص١٣٢ .

(٢) كورنكي اسم للعالم الأسفل اي ارض اللاعودة ينظر :ستيفاني دالي ،أساطير من بلاد الرافدين ،ص١٩٦ .

(٣) المصدر نفسه ،ص١٩٧ .

طريق الماء الذي يُعد مصدراً للخصب في الأرض، ونجد العمل نفسه يُؤديه (أوزير)، كما في النص الآتي:

**لبى حورس نداءك يا أوزير**

**ستُوضع على ذراعيه**

**وستأمن بقوتك**

**فحورس في العالم الأسفل**

**وسيفيض النهر من أجلك حتى بوتو**(١)

**وسيغمر من بعدك الآلهة**

**وسيمنحك إياه آتوم**

**وسينحر الذكور نحرك**

**وستجمع الإناث الشيء الكامن فيك الذي لا شكل له**

**من بذرتك يا أوزير**

**التي ستمتد قوتها حتى بوتو**

**لتحيا يا أوزير**(٢)

نستدل من هذا النص على أن الذكور والإناث يتقربون إلى (أوزير) والقوة الكامنة فيه، وأن الماء يرتبط كذلك بـ(أوزير) ويغمر الآلهة، وسيكون منحه لك، وبما أن الحضارتان (الرافدينية والمصرية) حضارتان زراعيتان نجد أهمية الماء وارتباطه بالحياة وتجديدها.

(١) عاصمة مملكة الشمال في مصر في الدلتا قبل توحيد المملكة المصرية ينظر :طه باقر ،مقدمة في تاريخ ،ج٢ ،ص ٢٩ .
(٢) رندل كلارك ،الرمز والأسطورة في مصر ،ص١٢٦ .

كذلك من الأفكار المتشابهة بين أساطير الحضارتين في الخصب انتقال نواميس الحضارة إلى قوة الخصب، وهذا ما يتضح في أسطورة (إنكي) و(إينانا) وكيف أنها أخذت نواميس الحضارة وشارات الملك[١]، وهذه الأسطورة تُشبه في معناها أسطورة (رع) ومعرفة (إيزيس) لاسمه السري وسيطرتها على وظائف الإله (رع) وملوكيته للآلهة التي نقلتها إلى ابنها (حورس) الذي هو امتدادٌ لأبيه (أوزير)[٢].

ومن دراسة أساطير الخصب للحضارتين يُمكن أن نجد مشتركاتٍ بين الإلهة (إينانا) والإله (أوزير) كونهما قوتي الخصب ومانحي الحياة والانبعاث بعد الموت، وملوكية الآلهة واشتراكهما في محاربة قوى الشر، لكن الاختلاف بينهما يتجسد بكون (أوزير) مع هذه الوظائف هو قاضي الأموات وإله الخلود، ولم يتمكن الفكر الرافديني من الاطمئنان إلى الخلود والعالم الأسفل على الرغم من محاولاته الكثيرة في الأساطير والملاحم الوصول إلى هذا الاطمئنان إلى الخلود وتنظيم عالم الأموات الذي وصل إليه إنسان وادي النيل.

**اثرعقائد الخصب الرافدينية على العقيدة الاوزرية في ضوء الأساطير**

لمعرفة تأثيرات عقائد الخصب الرافدينية في العقائد الأوزيرية في ضوء الأساطير يجب تتبع ظهور هذه العقائد في وادي الرافدين، مما ذكرت لنا النصوص المسمارية.

فإن عبادة الإلهة (إينانا) ظهرت في مدينة الوركاء منذ سنة(٣٥٠٠ ق.م)[٣]، ولم يمضِ زمنٌ طويلٌ على هذا التاريخ حتى ماانفك بعض الكهنة والمفكرين وذوي المخيلة في مدينة (أوروك) يعتنقون فكرةً تُدخل الاطمئنان والبهجة في القلب، هذه الفكرة هي أن ملكهم قد أصبح عاشقاً وزوجاً للإلهة (إينانا)، ومن هنا ظهرت فكرة الزواج المقدس التي استمرت واحدةً من العقائد

(١) ينظر المبحث الأول من الفصل الأول من الرسالة.
(٢) ينظر المبحث الثاني من الفصل الأول من الرسالة.

(٣) حول متى ظهرت عبادة الآلهة اينانا ينظر :
Michael Jordan , Dictionary of Gods and Goddesses ,p137 .

الرئيسة في أرض الرافدين[١]، وابتداءً من هذه الحقبة الزمنية نسب سكان وادي الرافدين كل مظاهر الخصب في الطبيعة وضمان تكاثر الإنسان والحيوان إلى الإلهة (إينانا)[٢].

لقد استمرت عقائد الخصب وعبادة الإلهة (إينانا) في مراحل الحضارة الرافدينية كلها، وانتقلت من السومريين إلى الأكديين الذين تمسكوا بعقائد الخصب وأساطير الإلهة (إينانا) مع تغيير اسمها إلى (عشتار)[٣].

ويذكر الأستاذ جان بوتيرو أن (إينانا . عشتار) تُمثل أنموذجاً لشخصية عميقة وغنية ذابت فيها غالبية الآلهة القديمة التي لم يبقَ من أسمائها وأشكالها إلا تسميات ومظاهر شخص (عشتار) إلهة الأنوثة وقوة العلاقات الجنسية والخصب، ومن هنا تستمد (إينانا) قوتها ومكانتها عند الإله (آنو)، فقد لُقبت بـ(سيدة الشعوب، وحاكمة السماء والأرض، والأولى بين الآلهة)[٤].

ومن النصوص المسمارية نعرف أن هذه العبادة استمرت إلى سقوط الدولة البابلية سنة (٥٣٩ ق.م)، وحتى بعد سقوط بابل، ومن الأدلة على استمرار هذه العبادة بالحيوية نفسها التي ظهرت بها: تشييد بوابة (عشتار)، وممارسة أعياد وطقوس الجنس المقدس في العصور البابلية الحديثة (٦١٢ . ٥٣٩ ق.م)[٥]، وهذه العقيدة لم تكن تُمثل الخصب والعلاقات الجنسية، بل كانت تُمثل بحث الإنسان عن الخلود والانبعاث والتجديد، فإن زيادة النمو والإنتاج في الطبيعة (وعند الحيوانات والإنسان) لاتتم إلا بكسب رضا الإلهة (إينانا) والتقرب إليها بتقديم القرابين وإقامة الأعياد والتراتيل الممجدة لها، فـ(تموز) الملك عندما تزوجها انتقل من عالم البشر الفانين إلى عالم الآلهة الخالدين[٦]، في حين أن (جلجامش) عندما رفض الزواج منها لم يحصل على الخلود، وتمكنت الأفعى من أكل عشبة الخلود التي حاول إيصالها إلى (أوروك) كما في النص الآتي:

**هناك نباتٌ جذره مثل العنكبوت**

---

(١) صموئيل نوح كريمر ،طقوس الجنس ،ص٨٨-٨٩ .
(٢) فاضل عبد الواحد علي ،عشتار ومأساة ،ص٣٧-٣٨ .
(٣) صموئيل نوح كريمر ،أساطير العالم ،ص٩٨ .
(٤) ينظر :الديانة عند البابليين ،ص٥٣ .
(٥) ينظر :ناجح المعموري ،أساطير الآلهة ،ص٨٤ .
(٦) صموئيل نوح كريمر ،طقوس الجنس ،٨٩ - ٩١ .

**إذا وصلت يداك لهذا النبات**

**ستكون ثانيةً كما كنت في صباك**(١)

وبعد أن حصل (جلجامش) على هذا النبات تمكنت الأفعى من سرقته منه، كما في النص الآتي:

**رأى جلجامش بركةً ماؤها باردٌ**

**نزل إلى وسطها ليستحم**

**شم ثعبانٌ رائحة النبات**

**تسلق بصمتٍ، وحمل النبات**

**عندئذٍ جلس جلجامش يبكي**(٢)

وما يُعنينا من هذه النصوص هو فشل (جلجامش) في الوصول إلى الخلود، لأنه رفض الاقتران بإلهة الخصب (إينانا) التي سرها جماله، وأدهشتها رجولته، وأعجبت به أشد الإعجاب:

**فقالت له: تعال، وكن أنت ياجلجامش زوجاً لي**

**امنحني ثمرتك هديةً**

**للربة العظيمة عشتار**

**ماذا سأقدم إليك لو أخذتك كزوجةٍ**

**أنت مثل المدفأة الخامدة في البرد**

**تعالي لأفصح لك عن محبيك**(٣)

(١) نائل حنون،ملحمة جلجامش ،ط١ ،(دمشق ،٢٠٠٦ )،ص٢٣٢ .
(٢) المصدر نفسه ،ص٢٣٣ .

(٣) محمد خليفة حسن أحمد ، الأسطورة والتاريخ ، ص٦٣-٦٤

وما يتضح من هذا النص هو عدم احترام إلهة الجنس من قبل (جلجامش)، ورفضه الاقتران بها، وعلى الرغم من كل محاولاته للحصول على الخلود فشل في ذلك، لأنها هي إلهة الحياة والخلود، وقد حاولت (عشتار) النزول إلى العالم الأسفل للسيطرة على هذا العالم، وبعث الموتى من هذا العالم ،لكن (إيرشيكيكال) لم تسمح لها بتحقيق ذلك الهدف، وتعد محاولة (عشتار) بعث الموتى دليلاً على أن إلهة الخصب حاولت أن تمنح الخلود، وذلك ببعث الموتى إلى عالم الإحياء، فمن الممكن أن تكون (عشتار) إلهة الخصب والخلود في الحضارة الرافدينية على الرغم من أن إلهة الجحيم والعالم الأسفل (إيرشكيكال) منعت بعث الإحياء، بل وأرادت القضاء على الإلهة (عشتار) حتى يتوقف الخصب[1].

ومن هذا نعرف أن الإنسان الرافديني قد وفق فكرياً بإعطاء الإلهة (عشتار) مهمة الخصب والنماء والعلاقات الجنسية، لكنه أراد أن يُعطي هذه الإلهة وظيفة الخلود والبعث والتحكم في عالم الأموات، لكنه لم يتمكن من إعطاء هذه الإلهة هذا العمل وعلى الرغم من أنه عد (تموز) إلهاً من آلهة العالم الأسفل بسبب اقترانه مع (عشتار)، واختياره له لهذا العالم، ولكن بسبب الطبيعة القاسية والحرب في أرض الرافدين لم يتمكن الإنسان من تكوين عقيدةٍ واضحةٍ للخصب كما في وادي النيل الذي اتسمت فيه العقيدة الأوزيرية بالتطور مع المتغيرات السياسية والفكرية، إن (أوزير) في أول ظهورٍ له في النصوص زمن الأسرة الخامسة[2]، أما القول بقدم (أوزير) لأن قرينته (إيزيس) التي ظهرت في النصوص المصرية من (٢٧٠٠ ق.م) أو قبل ذلك[3] فلايمكن التسليم به، وذلك لأن مهام الآلهة المصرية كانت متغيرةً، وأحياناً متحدةً، كما نجد في التشابه بين (إيزيس) و(حتحور) التي كانت تضع على رأسها تاجاً مقرناً، وهما امتدادٌ لعقيدة الإلهة الأم قبل تطور الفكر المصري بعبادة الإله (رع) وبعده (أوزير)[4]، ولا يُمكن التسليم كذلك بالقول بقدم (أوزير) لقدم ابنه (حورس)، فإن (حور) أو (حورس) قد ظهر في ثلاث صورٍ رئيسةٍ، هي: (حور: الأكبر)، و(حور: ابن إيزيس)، و(حربوقراط: حور الطفل)، ويُمكن التفريق بين (حور

---

(١) ينظر :المبحث الأول من الفصل الثاني من الرسالة .
(٢) سيد القمني ،رب الثورة أوزير،ص١٥٣ .
(٣) ينظر :

Michael Jordan , Dictionary of Gods and Goddesses ,p 142 .

(٤) روبرت ارموار ،آلهة مصر ،ص٨١ .

الأكبر) الذي ظهر قديماً[١]، و(حور ابن أوزير)، فمنذ عصور ما قبل التاريخ نجد الصقر أهم رمزٍ لـ(حور)، فإنه . بطلاً للأسطورة . الأوزيرية قد صُور في صورةٍ إنسانيةٍ كاملةٍ بمنطق التطور الارتقائي[٢]، وكما أسلفنا، فإن الديانة في وادي النيل تعتمد على الشمس والنيل والخضرة، ولكلٍّ إلهتها، وحتى الأموات كانت لهم إلهتهم كالإله (أنوبيس وبكر وخنني امنتتي)[٣]، ولم يكن (أوزير) عضواً في مجمع الآلهة المصري الذي يتزعمه (رع)، ولو كان في مجمع الآلهة لم نرَ صراع بين (أوزير) و(رع) ترك أثاره مسجلةً على متون الأهرام، وحتى بعض التعاويذ التي كان الغرض منها منع (أوزير) وأقاربه من دخول الحرم الذي هو قبرٌ شمسيٌّ[٤]، ويبدو أن قوة العقيدة الأوزيرية التي تطورت مع الزمن، ووصلت إلى مراحلها المتكاملة عقيدةً للخصب، وقوةً مجردةً لبعث الحياة والوصول إلى الخلود في زمن المملكة الحديثة، ومع تطور هذه العقيدة أُجبر الكهنة على إدخال (أوزير) مجمع الآلهة، وإعطائه وظائف الكثير من الآلهة، وأهمها وظائف آلهة الخصب والخلود والتقرب إليه بالقرابين والاحتفالات والتمجيد للحصول على الخصب والخلود.

ومن هذا العرض يمكن أن نقول: إن السبب الرئيس في سيادة هذه العقيدة على الحياة في وادي النيل كان التأثيرات الرافدينية، وكما ذكرنا، فإن هذه العقيدة ابتكرت في بلاد الرافدين قبل وادي النيل بقرونٍ عدةٍ، وبما أن العلاقات والصلات الحضارية بين بلادي الرافدين والنيل، كانت مستمرةً في مراحل تاريخيةٍ مختلفةٍ، وقد تطورت كثيراً مع الزمن، ووصلت إلى مراحل متقدمةٍ من التلاقح الفكري زمن رسائل تل العمارنة التي تضمنت ترجمة أساطير رافدينية كما ذكرنا[٥]، وهناك تأثيراتٌ رافدينيةٌ غير مباشرةٍ عن طريق سوريا التي عُبدت فيها عشتار، وانتقلت عبادتها إلى وادي النيل، والتي جُسدت بتماثيل أنثويةٍ عاريةٍ كانت دليلاً على الخصوبة[٦]، وهذا ما يُرجح احتمال أن المؤثرات الرافدينية هي التي كانت وراء تطور هذه العقيدة، ثم أضاف إليها

---

(١) ذكر حورس في النصوص القديمة زمن المملكة القديمة ابن الإله رع والإلهة حتحور و هو غير المقصود بأسطورة أوزير ينظر :
Manfred Lurker ,The Routledge Dictionary ,p 75 .
(٢) سيد القمني ،أوزير رب الثورة ،ص١٤٩ .
(٣) المصدر نفسه ،ص١٥٣ .
(٤) جيمس هنري بريستد،فجر الضمير ،ص١٢٢ .
(٥) ينظر :المبحث الثالث من الفصل الأول من الرسالة .
(٦) ينظر :
Barbara S Lesko ,The Great Goddesses .p ,34 .

مفكرو وادي النيل فكرة الخلود والانبعاث ؛ وبذلك استكملت هذه العقيدة واهبت الحياة والعلاقات الجنسية التي تؤدي إلى الخصب هي التي تؤدي إلى الانبعاث والخلود.

# الفصل الثالث:

## عقائد الخصب في حضارتي بلاد الرافدين ووادي النيل في ضوء الشواهد المادية

### المبحث الأول: عقائد الخصب في حضارة بلاد الرافدين في ضوء الشواهد المادية

### المبحث الثاني: عقائد الخصب في حضارة وادي النيل في ضوء الشواهد المادية

### المبحث الثالث: مقارنة بين عقائد الخصب الحضارتين في ضوء الشواهد المادية

**عقائد الخصب في حضارة وادي الرافدين في ضوء الشواهد المادية**

لقد بدأ الإنسان في العصر الحجري الحديث بالزراعة حين وعى في ذاته بعداً وجودياً يتطلب منه ما هو أكثر من الغذاء الآني ومن الدفء أو الأمن المؤقت من الأعداء، وهذا ما يُمثل اتساع حسه بالزمن، مستفيداً من تجارب الماضي وحاجات الحاضر التي رسمت في ذهنه تطلعاتٍ إلى المستقبل، كما أنه جعل بالزراعة علاقته بالأرض علاقة امتدادٍ ذاتيٍّ وجودي؛ فيسوؤه ما يُضرها، ويُسعده ما يُفيدها أو يُخصبها[١].

هذه المظاهر بلورت سياقاً فكرياً لديه في ظهور المعتقد الديني، ويشرك مع البيئة، بمفهومٍ عامٍّ ينتمي ويُلخص فكرة الخصب المتجسد بتناسل البشر والحيوانات، وتنامي النباتات وخصب الأرض، وهذه مفاهيمٌ ودلالاتٌ فكريةٌ تُعطي للمضمون أثراً واضحاً في الاشتراكِ لتكوين سياقٍ ضمن حدود المعتقد الديني[٢]،الذي منه كان يتحد مع العالم والطبيعة بوساطة علاقاتٍ اجتماعيةٍ بسيطةٍ داخل جماعةٍ صغيرةٍ هي مجتمع القرية أو دويلة المدينة[٣]، وقد نتج عن ذلك .كما ذكرنا .[٤] ظهور عقائد الخصب التي اهتدينا إلى ظهورها من الشواهد المادية التي أنتجها الإنسان في بلاد الرافدين، والتي يمكن تقسيمها على وفق الشواهد المادية بلاد الرافدين، وتوظيف هذا النتاج لمعرفة عقائد الخصب إلى:

---

(١) يوسف الحوراني ،البنية الذهنية ،ص٣٢ .
(٢) محمد جاسم محمد حسن ألعبيدي ،الإشكال النحتية على سطوح الآنية الفخارية ،ص٦٦-٦٧ .
(٣) فاضل عبد الواحد علي ،الطوفان،(بغداد ،د . ت)،١١٢ .
(٤) ينظر التمهيد من الرسالة .

**أولاً: النحت المجسم[١] (التماثيل) وتوظيفها في معرفة عقائد الخصب**

وأول هذه التماثيل ظهوراً في بلاد الرافدين كانت تماثيل الدمى الطينية (Terra cotta) التي وُجدت في مواقع مختلفةٍ فيه بصورة أشكالٍ متطورةٍ لنساءٍ وأخرى ممثلةً لحيواناتٍ مصغرةٍ، فإن إنتاج مثل هذه النماذج وتقاليد صناعتها مرتبطٌ بالخصوبة والدمى الطينية تُسمى بالسومرية (ZANA)، و بالاكدية (passum)، وكانت هذه الدمى تُصنع غالباً من مسحوق العظام المحروق (الرماد) ممزوجاً بالطين وبشحومٍ حيوانيةٍ، فيتحول إلى كتلةٍ صلبةٍ قويةٍ إذا ما فُخرت[٢]، وقد صُنعت الدمى الطينة بإشكالٍ آدميةٍ وحيوانيةٍ من الطين المفخور وغير المفخور، وقد عُثر في قرية (جرمو) من العصر الحجري الحديث وحدها على ما يُقارب (٥٠٠٠) دميةُ، معظمها كانت مفخورةً فخراً خفيفاً أو معمولةً بصورةٍ غير جيدةٍ، وكان عددٌ منها مطلياً باللون الأحمر[٣]، وهناك عددٌ كبيرٌ من الدمى كان يُمثل نساءً عارياتٍ، وقد أطلق الباحثون على هذا النوع من الدمى اسم (الإلهة الأم)، وقد كانت أشكالها تتسم بالبدانة ممثلةً بنساء في حالة حملٍ، ومن المحتمل أن تكون هذه الدمى رمزاً للخصب والإنجاب والقوى الطبيعية[٤]، ولم تظهر فيها دمىً تُبين الأم ووليدها، وهذه الأشكال الأنثوية كانت من النوع البسيط الذي مثل الأنثى من غير الحمل، ومن غير الأثداء[٥]، أو مثلها على أشكالٍ مركبةٍ عبرت عن المرأة في حالة الحمل،

---

(١) وهو عملية تجسيد كل ما يتركز من مشاهد فنية لدى فكر النحات وإحساساته في تلك المادة المهيأة للتشكيل وغالبا ما تكون تلك المادة خشبا أو حجرا أو صخورا أو معدناً حول النحت والنحاتين وأدواتهم ينظر: محمد جاسم محمد حسن ألعبيدي ،الإشكال النحتية على سطوح الآنية الفخارية ص١٦-١٧ ؛ينظر أيضا إسراء عبد السلام مصطفى موسى العساف ،فن النحت في العصر السومري الحديث ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ،الموصل ،٢٠٠٥ ،ص١٨-٣١ .

(٢) وسناء حسون يونس حسن الأغا ،الطين في حضارة وادي الرافدين ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ،الموصل ،٢٠٠٤ ،ص١١٦ .

(٣) اكرم محمد عبد كسار ، "قراءة في نتاجات الإنسان الفنية الأولى" ، سومر ، مج٣٩، ج١-٢ ، ١٩٨٣، ص٣٥.

(٤) طه باقر وآخرون ،العراق القديم،ج٢ ،ص٦-٧ .

(٥)ينظر :الشكل رقم (١).

وربما مثلت فكرة الخصوبة لصانعها، أو مثلت الآلهة الأم[١] التي أستمر ظهورها في المراحل الزمنية اللاحقة[٢].

وامتازت الدمى الطينية في عصر (حسونة) برأسها المدبب المائل للخلف والأثداء النافرة والإعجاز الضخمة، وعلى وسط بعضها حزوزٌ، وتظهر أعضاؤها الأنثوية واضحةً[٣]، لقد كانت هذه الدمى من مزايا هذا العصر[٤]، أما دمى (تل الصوان) الطينية فمثلها مثل النحت الحجري تمتاز بتقنيتها العالية والإحساس بمادة الطين، وكذلك وُجدت في (تل الصوان) دمىً منحوتةً من المرمر رأسها متوجٌ بالقار دليلاً على الشعر، ولها عيونٌ صدفيةٌ وحواجب واضحةٌ، ولها أثداءٌ صغيرةٌ قياساً لجسدها، وبطنٌ ممتلئةٌ، وأفخاذٌ بدينةٌ، وتضع يديها متشابكتين على بطنها، ويُشار لعضوها الجنسي بمثلثٍ[٥]، وفي عصر (حلف) تمثلت الدمى الطينة الأنثوية في جلسة القرفصاء التي تُمثل المرأة عند الوضع، وهناك دمىً طينيةٌ أنثويةٌ جالسةٌ تحمل ثدييها بيديها، ويُلاحظ وجود ألوانٍ على الجسم[٦]، وهي بذلك تكون أقرب إلى الواقعية من التماثيل التي سبقتها، كما أن أحد تماثيل (تل الصوان) كان تمثالاً مميزاً لذكرٍ يُركز فيه على عضوه الجنسي[٧]، وهذا التمثال يُعد فريداً بموضوعاته ومعالجته، فالتماثيل الذكرية نادرةٌ في بلاد الرافدين[٨].

وعند الانتقال إلى جنوب بلاد الرافدين استمر ظهور التماثيل وتصوير المرأة بصورةٍ مستمرةٍ، ومن دون انقطاعٍ في مواقع عصور ما قبل التاريخ، ومن نماذج عصر العبيد هناك النماذج الممثلة للإلهة الأم التي عُملت أشكالها من الطينِ المفخور، ووجد على رؤوسها تاجٌ يُشبه الأفاعي أو عمامةٌ من القار، وهناك آثار الدهان الأسود على العيون، واللون الأحمر على الخدود، وهو يُمثل امرأةً عاريةً بوجهٍ يُشبه رأس الأفعى، وطاقية رأسٍ عاليةٍ، وقد أُلصقت كراتٌ أو حبيباتٌ طينيةٌ صغيرةٌ على الكتفين[٩]، وفضلاً عن النماذج الممثلة للإلهة الأم كان هناك

---

(١) ينظر :الشكل رقم(٢)٠
(٢) عادل عبد الله الشيخ ، بدء الزراعة وأولى القرى،ص٧-٨ ٠
(٣) ينظر :الشكل رقم(٣) ٠
(٤) خزعل ألماجدي ،أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ ص٩٤ ٠
(٥) ينظر :الشكل رقم(٤) ٠
(٦) خزعل ألماجدي ،أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ ،ص٨٤ ٠
(٧) ينظر :شكل رقم (٤)٠
(٨) وسناء حسون يونس حسن الأغا ،الطين في حضارة،ص١١٧ ٠
(٩) عادل عبد الله الشيخ ، بدء الزراعة وأولى القرى ،ص٦٨ ٠

الأنموذج الذي يُمثل الذكر الذي كان تمثيله قليلاً جداً، وكان موضوعه أقل إثارةً للنحاتين منذ العصور القديمة، وهذا الأنموذج الذكري الذي كان بارتفاع (١٤)سم، وكان معمولاً من الطين المشوي يُمثل ذكراً عارياً ذا وجهٍ شبيهٍ بالأفعى وعمامة رأسٍ مخروطيةٍ، وهو يحمل عصا على ذراعه اليسرى، وكانت أكتافه مزينةً بحبيبات الطين[١]، وفضلاً عن ذلك تُعطينا دراسة الأشكال المعمولة من الطين بعض الأفكار عن الهيئة واللباس، فمثلاً ظهور الرجال باللحى الطويلة والشعر الطويل المعمول بلفةٍ في الخلف وحلق الشارب، أما النساء فقد ظهرن بالباروكات (الشعر المستعار)، وقد عُملت نماذج الشعر من القار الذي أُلصق على الرأس[٢]، وهذا يدل على الاهتمام بتزيين التماثيل الأنثوية وإظهار جمال المرأة، في حين يُركز في التماثيل الذكرية على إظهار صفات الرجولة، ووُجدت في مدينة (أور) هيأة رجلٍ من الطين الخام الملون بلحيةٍ خفيفةٍ ظاهرةٍ، وفي (أريدو) عُثر على دميةٍ طينيةٍ لذكرٍ تبدو فيها الأعين شبيهةً بحبة القهوة[٣].

ويتضح من هذه التماثيل الواقعية بالتصوير الفني والدلالة بالتشبيه بين عالم الإنسان والآلهة، وقد مر هذا التصوير بمراحل طويلةٍ من التطور إلى أن وصل إلى الواقعية في طور العبيد بتشبيه الآلهة بالصفات الإنسانية، وهو ما يُعرف في حضارة بلاد الرافدين بالدولة الكونية، ومن هذه التماثيل يتبين استمرار تقديس المرأة . رمز الخصوبة . التي تبلورت في صفاتٍ رمزيةٍ للخصب بمشاهد مباشرةٍ، ومن تلك النماذج تماثيل نسوةٍ تُمسك كل واحدةٍ منهن بثدييها، وبذلك يتضح تجسيد المرأة دلالةً على الأرض والخصب الأنثوي، أما نظيرها الذكري فهو متغيرٌ لكثرة العوامل التي تُشرك مع الأرض بالخصب؛ كالنهار والأمطار، ومن رموزه كذلك الثور الذي جُسد في تماثيل عصور ما قبل التاريخ، وبما أن الأرض معطاءٌ إذا جادت الظروف الأخرى، فالأرض من غير المطر لا تُعطي شيئاً، والمرأة من غير الرجل لا تُخصب[٤]، ومن ملاحظة هذه التماثيل يتضح أن صلة (التشبيه والتشخيص) بين التماثيل ومضامينها قد أمكن الاستعاضة عنه بصلةٍ

---

(١) ينظر :شكل رقم (٥) ٠

(٢) عادل عبد الله الشيخ ، بدء الزراعة وأولى القرى ،ص٦٨؛ ينظر
Jermey Black,Gods Demons p. 81.

(٣) وسناء حسون يونس حسن الأغا ،الطين في حضارة،ص١١٧ ٠

(٤) ينظر :المبحث الأول من الفصل الأول من الرسالة ٠

روحيةٍ أعمق، هي صلة الرمز الذي تتسامى فيه المدلولات فوق فردية الظواهر الطبيعية، وهو مفهومٌ يخرج بالمادي إلى حيز المثالي بقوة معتقد النهوض الاجتماعي[١].

أما بعد ظهور المعابد فقد خُصصت كل التماثيل في بلاد الرافدين للمعابد، وقد مُثل فيها شكل الإنسان على الحجر لغرضٍ واضحٍ هو مقابلة الإنسان للإله، كما كان سكان بلاد الرافدين يعتقدون أن التمثال له حياةٌ خاصةٌ، ولذلك كانت لها أسماءٌ، وكانوا يعتقدون أن التمثال يُخبر الإله بما صنعه صاحب التمثال إن كان ملكاً أو كاهناً؛ لذلك حرص ملوك بلاد الرافدين على صناعة التماثيل وإيداعها داخل المعبد أمام دكة الإله، وكانت عدد من التماثيل يُغطى بمواد ثمينةٍ من الذهب أو الفضة والأحجار الكريمة[٢].

ومن التماثيل السومرية التي تدل على استمرار تجسيد المرأة في بلاد الرافدين تمثالٌ منحوتٌ من حجر الأبستر الشمعي اكتشف في معبد (إينانا) في مدينة الوركاء، وهو يُصور رأس فتاةٍ بالحجم الطبيعي، لذلك عُرف بـ(رأس فتاة الوركاء)[٣]، إن وجود هذا التمثال في معبد (إينانا) كان توظيفاً لعقائد الخصب، إذ تؤكد الصورة المبالغة بكبر العينين قدسية التمثال، ففي معظم تماثيل السومريين كانت للعينين مكانةٌ مقدسةٌ في دلالاتهم التعبيرية، و لم يكن تمثال الوركاءِ صورةً لإلهٍ، بل كان قناعاً تستقر فيه شارة القدسية حين تستدعيها العبادة[٤]، ومن دلالات المكان وإبداع التمثال يرجح أنه كان رمزاً احتفالياً لقوى التأنيث والإخصاب في الوجود، وهو استمرار تطوريٌّ لرموز الآلهة العارية في عصور ما قبل التاريخ، وتجسيدٌ لوظيفة (إينانا) في العلاقات الجنسية والخصب.ومن توظيفاتِ عقائد الخصب هناك مجموعة الأربعة عشر تمثالاً[٥] التي اكتشافها الأستاذ (فرانكفورت) في (تل أسمر) في ديالى[٦] التي وجدت في محراب الإله، وهذا يُؤكد أنها منذورةٌ لفعل العبادة، وموجودةٌ تؤكد تواصل الإنسان مع فكرة الإله، ويُرجح الأستاذ زهير صاحب أن هذه التماثيل كانت تُمثل احتفالية الزواج المقدس، فأكبر التماثيل حجماً هما

---

(١) زهير صاحب ،الفنون السومرية ،ط١،(بغداد ،د ت)،ص٧٤-٧٥ .
(٢) طارق عبد الوهاب مظلوم النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث، بحث منشور في حضارة العراق ، ( بغداد، ١٩٨٥)، ج٤ ص، ٢٥.
(٣) ينظر الشكل رقم (٦) .
(٤) زهير صاحب ،الفنون السومرية،ص٧٩-٨٣ .
(٥) ينظر الشكل رقم (٧)
(٦) سيتون لويد،اثأر بلاد الرافدين ،ص١٣٢ .

الكاهن والكاهنة، ولهما استعاضةٌ رمزيةٌ أو وظائف احتفاليةٌ يتقمصـها التمثال ليُعلن عن حيويته كطاقةٍ فاعلةٍ[١].

لقد جسد الإنسان الرافديني الخصب في مظاهر عدةٍ لأهميته في فكره الديني ووجوده، ومن هذه التماثيل التي جسدت الخصب تمثال الجدي، وتمثال ورقة العنب[٢]، وتتضح هنا رمزية الخصب في هذا التمثال، فهو يتكون من مفردتين، الأولى: شجرة الكروم التي ينتج منها النبيذ الذي يُقدم للآلهة في المعابد وفي احتفالات الخصب، والثانية: ذكر الماعز الذي يتميز بطاقةٍ ذكريةٍ، إذ يُشاهد في موسم التكاثر بفاعليةٍ جنسيةٍ[٣].

لقد استمر تجسيد عناصر الخصب في الفن الرافديني، فالعنب . مثلاً . استمر عنصراً رمزياً له أثرٌ كبيرٌ في الخصب، ومن الأمثلة على ذلك مشهد صُور في حديقة القصر الملكي في نينوى تظهر فيه جلسة الملك (آشور بانيبال)[٤] مع زوجته تحت أشجار الكروم وقد عُمرت مائدتهم بشتى أصناف الطعام في جوٍّ بهيجٍ تحت أنغام الموسيقى[٥]، وهذا ما يدل على استمرار تجسيد عناصر الخصب مع تغير الفن وتطور أشكاله، ومن التماثيل التي اتسمت بمدلولاتٍ دينيةٍ تماثيل (الأسس)[٦] التي ظهرت في فجر السلالات الثاني[٧]، ومن هذه التماثيل ما يمتاز بوجود زوجٍ من القرون فوق شعر الرأس، وهي علامةٌ تُميز الإله، ومنها ما يكون على شكل أسدٍ[٨] يرمز إلى قوة الألوهية الذي ظهر رمزاً لكثير من الآلهة[٩].

(١) الفنون السومرية ،ص٨٤-٨٦ .
(٢) ينظر الشكل رقم (٨)
(٣) ينظر : زهير صاحب ،الفنون السومرية،ص٩٨-٩٩ .
(٤)من الملوك الأشوريين حكم من(٦٦٩-٦٢٦ ق٠م ) وأعاد احتلال مصر وفي عصره اتسمت الدولة الأشورية بالتوسع والقوة ينظر:ل دولابورت ،بلاد مابين النهرين ،٢٨٢ .
(٥) غسان مردان حجي ألنجاري، العناصر الزخرفية في الفن الآشوري الحديث،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ،الموصل،٢٠٠٣ ،ص١٧ .
(٦) تماثيل الأسس:وهي تماثيل صنعت من البرونز بالدرجة الأولى وهناك بعض تماثيل الأسس مصنوعة من الخشب أو الحجر أو الفخار تودع في أسس المعبد الأربعة ويكون الجزء الأسفل من التمثال على هيئة مسمار ينظر :صبحي انور رشيد،تماثيل الأسس السومرية ،(بغداد،١٩٨٠)،ص٥ .
(٧) ينظر الشكل رقم (٩) .
(٨) صبحي أنور رشيد،تماثيل الأسس ،ص١٠ .
(٩) من الإلهة التي يرمز لها الأسد الاله انليل والإله انكي والإله ننورتا والعديد من الآلهة الذكرية وكذلك يرمز إلى الآلهة اينانا ينظر:
Jermey Black, Gods Demons, p . 118-119 .

لقد استمر ظهور التماثيل ورموز الآلهة في عصور حضارة بلاد الرافدين، ومن الأمثلة على ذلك ظهور رمز الإلهة (عشتار) في العصر الآشوري الوسيط، فقد اكتشف في (نمرود)[١] ـ على سطح آنيةٍ فخاريةٍ ـ مشهدٌ يضم هيأة الإلهة (عشتار) بشكل امرأةٍ مجنحةٍ نصفها الأسفل عارٍ[٢].

وهناك مشاهد فنيةٌ من العصر الآشوري الوسيط (١٥٠٠ –٩١١ ق٠م)تُظهر الوردة رمزاً للإلهة (عشتار)، ومنها ما يُظهر الوردة ذات الثمانية تتويجات[٣] ترمز بوضوحٍ إلى الإلهة (عشتار)[٤].

### ثانيا: النحت البارز[٥] وتوظيفه لمعرفة عقائد الخصب

يُعد (إناء الوركاء النذري)[٦] من النتاجات الفنية التي مثلت النحت البارز وعبرت عن كشفٍ فلسفيٍّ ومعرفيٍّ للعقليةِ الرافدينية في تمثيل الحقيقة الكونية

والقوة المجردة للخصب[٧] التي مثلتها الإلهة (إينانا)، و كان شكل هذا الإناء اسطوانياً ذا قاعدةٍ مخروطيةٍ بأربعة حقولٍ منقوشةٍ نقشاً بارزاً يفصل بينهما خطٌّ أفقيٌّ يبلغ ارتفاعه ثلاثة أقدامٍ، وقد عُثر عليه في بقايا مدينة الوركاء، وهو يعود إلى العصر الشبيه بالكتابي[٨].

---

(١) النمرود :وهي ثاني العواصم الأشورية بعد أشور وتعرف كذلك باسم كالح بناها الملك الأشوري أشور ناصر بال الثاني الذي حكم من(( ٨٨٣-٨٥٩ ق.م)ينظر:قيس حازم توفيق ،العواصم الأشورية دراسة تاريخية في طبيعة المدن الأشورية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ،بغداد، ٢٠٠٨ ،ص٧٧-٧٨ ٠

(٢) انطوان مورتكات ، الفن في العراق القديم ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي،( بغداد، ١٩٧٥ )، ص٣٣٤- ٣٣٥٠

(٣) حول رموز الإلهة ينظر ملحق رقم ٢ ٠

(٤) فاتن موفق فاضل ،رموز أهم الإلهة،ص١١٢ ٠

(٥) يعدّ هذا النوع من النحت الأكثر استخداما في جميع العصور، وقد خضع للقوانين نفسها التي خضع لها النحت المستدير أو المجسم الذي يشاهد من جميع الجهات بخلاف النقوش البارزة. التي يمكن إن نراها من جهة واحدة، فضلاً عن أنها نحتت من اجل تخليد ذكرى الإحداث التي تصورها والنحت البارز إما إن يكون على سطح مستوى أو على سطح مدور كما هي الحال في الإعمال الجدارية، وفي الأختام الاسطوانية والمنبسطة والإعمال النحتية المعروفة الأخرى ينظر: إسراء عبد السلام مصطفى موسى العساف ،فن النحت في العصر السومري،ص٥١ ؛ينظر زهير صاحب الفنون السومرية ،ص١١٦ ٠

(٦) ينظر الشكل رقم (١٠) ٠

(٧)زهير صاحب الفنون السومرية،ص١١٩ ٠

(٨) فاتن موفق فاضل علي الشاكر،رموز أهم الآلهة العراقية القديمة دراسة تاريخية دلالية،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ،الموصل ،٢٠٠٢ ،ص١٠٣ ؛ينظر :زهير صاحب ،الفنون السومرية ،ص١١٩-١٢٥ ٠

ومن معاينة الحقول الأربعة التي تُزين الإناء يتبينُ أنها تتناقص من الأعلى إلى الأسفل، حيث يظهر في الحقلين السفليين سنابل شعير تعقبها أشجار النخيل وأغنامٌ وأكباشٌ، أي: النباتات والحيوانات التي كان يعتمد عليها الإنسان آنذاك، وهي التي كانت تهبها لهم إلهة الخصب (إينانا)(١)، ويُشاهد في الحقل الثاني رجالٌ يجلبون الهدايا والقرابين إلى معبد الإله وهم عراةٌ، ويظهر في الحقل الأعلى من الإناء حزمتا القصب وأمامها امرأةٌ تستقبل موكب القرابين من كاهنٍ عارٍ(٢)، وهذه المرأة إما أن تكون الإلهة (إينانا) أو كاهنةً تُمثلها، وتظهر بوضعية الوقوف وهي ترتدي رداءً وغطاءً، وخلفها . داخل المبنى المقدس . مجموعةٌ من النذور والهدايا، وهذا المنظر بأكمله يُمثل استقبال الإلهة (إينانا) لعريسها في رأس السنة للاحتفال بالزواج المقدس(٣).

وظهر كذلك في بلاد الرافدين فن الألواح الفخارية التي وُجدت في المعابد على دكة النذور، وفي أرضيات غرف المعبد، الشوارع والبيوت السكنية . ولاسيما في الغرف التي ربما تكون أماكن عبادة . وعلى سطح الطبقات.

إن العثور عليها في هذه الأماكن غالباً ما يُعطيها خصوصيةً دينيةً ولاسيما تلك التيُ وجدت في المعابد، فقد تُمثل هدايا نذريةٍ مقدمةٍ من المتعبد إلى الإله أو المعبد(٤).

لقد تنوعت مواضيع هذه الألواح، ولكن من مواضيعها المتكررة ألواح المرأة العارية والمشاهد الجنسية التي تُمثل مشهداً من مشاهد الجنس، والتي تهدف إلى زيادة جاذبية المرأة، وهي عاملٌ مساعدٌ في الحياة الجنسية وضمان الخصوبة والإنجاب(١).

---

(١) هاري ساكز ،عظمة بابل ،ص٤٩ .
(٢) فاتن الشاكر ،رموز أهم الآلهة،ص١٠٣ .
(٣) هاري ساكز ،عظمة بابل ،ص٤٩ .
(٤) فيحاء مولود علي الحيالي ،ألواح فخارية من مواقع حوض حمرين من العصر البابلي القديم دراسة فنية حضارية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ،بغداد ،٢٠٠٦ ،ص١٠٠ .

ويتضح من ذلك الاستمرارية الفكرية في حضارة بلاد الرافدين، وتطور أفكار الخصب، كما لاحظنا من الإناء النذري في الوركاء، ولكن مع استمرار الإبداع ومعرفة عمل الإلهة (إينانا . عشتار) إلهة العلاقة الجنسية وقوة الخصب المجردة في الكون التي لابد منها لاستمرار الحياة، وهذا ما يتجلى من رمزية هذه الإلهة؛ فمن ملاحظة رموز الخصب على سطوح الآنية الفخارية في عصور ما قبل التاريخ ومقارنتها برموز هذه الإلهة يتبين أثرها بوضوحٍ.

لقد ظهرت رموز الخصب في الكثيرِ من الشواهد المادية على سطوح الآنية الفخارية في التماثيل، وقد كان كلٌ من: (السماء، والشمس، والقمر، وإنزال المطر، والرقصات الحماسية، والأسماك، والزهور، والنجوم، والأشكال النحتية المتشكلة بهيأة حيواناتٍ تُؤدي القربان) سيرةً واضحةً تعني أن تاريخاً يستنطق المجهول لشعبٍ واعٍ بذاكرةٍ قويةٍ معدةٍ من مجتمعٍ بسيطٍ إلى قبيلةٍ فمدينةٍ ثم شعبٍ حتى صار حضارةً[٢]، لذلك ينبغي أن نتعرف على الرموز التي تدل على الخصب والتي ظهرت في عصور ما قبل التاريخ، واستمر ظهورها في العصور التاريخية، ومن هذه الرموز:

١. **المندالا:** وهي دائرةٌ تنقسمُ أجزاءً متناظرةً تستند كلها إلى المركز، أو تنبعث عنه في تكوينٍ جماليٍّ متماسكٍ، وترمز إلى حركة الوجود حول مركزٍ واحدٍ، وتُشير (المندالا) إلى فردٍ مركزيٍّ عظيمٍ يُحيط به الكون، أو إلى انبعاث الكون منه، وقد ظهر هذا الرمز في ثقافة (دور سامراء)[٣].

٢. **الصليب:** وهو من الرموز التي ظهرت في فخاريات (حسونة) و(سامراء)، واستمرت في (دور حلف)، وتدل على لقاءٍ ذكريٍّ أنثويٍّ[٤].

٣. **منظر النساء الأربع العاريات وهن يرقصن**[١]: وتُوجد معهن في الرسم ثماني عقارب، والنساء ينثرن شعورهن بحركةٍ تدل على تحريك الهواء من أجل جلب المطر، لقد تكرر هذا

---

(١) صبحي أنور رشيد، "دمى من أشور من متحف الشرق الأدنى في برلين"،مجلة سومر،الجزء الأول والثاني، المجلد:٣٧، ١٩٨١، ص٢٥٦.
(٢) محمد جاسم العبيدي ،التوظيف الميثيولوجي لسياق فن الفخار القديم ، (بغداد ،٢٠٠٥ ) ،ص١٤ ٠
(٣) ينظر: خزعل الماجدي ،أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ،ص١٠٢ ٠

(٤) Jermey Black,Gods Demons,p171 .

المنظر في فخاريات (سامراء) وما بعدها، ووجود النساء مع العقارب يُمكن أن يكون من أول الاستدلالات على صراع الخصب مع الجدب[٢].

٤. **رمز السنبلة:** ويظهر في فخار (حسونه)، ويُشير إلى الخصب والنبات[٣]، وهو من الرموز التي يُعد ظهورها في حضارة بلاد الرافدين دليلاً على إلهة الخصب.

٥. **النجمة:** وهي التي ظهرت بشكلٍ رباعيٍّ وسداسيٍّ في (دور حسونة)، وتبدو كأنها متحركةٌ، وتميل أشعتها إلى الحركة باتجاه عقرب الساعة[٤].

٦. **منظر السمك**[٥]: وتظهر فيه أربعة طيورٍ بأجنحةٍ طويلةٍ وذيولٍ، وفي منقار كلٍّ منها سمكةٌ، ويُحيط بهن ثمان سمكاتٍ تسبح باتجاهٍ معاكسٍ لعقرب الساعة، ويظهر في مركز الشكل رمز الصليب المعقوف واضحاً[٦].

٧. **النجمة الثُمانية:** وهي التي ظهرت في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد في بلاد الرافدين، وتدل على الإله، فالعلامة المسمارية (دنكر Dinger) تدل على الإله، ويُرسم بأشعةٍ ثُمانيةٍ، وربما دلت هذه النجمة على الإلهة (إينانا ـ عشتار) ـ تحديداً ـ[٧].

ومن رموز إلهة الخصب (إينانا) التي ظهرت في مراحل مختلفةٍ من الحضارة الرافدينية حزمة القصب ذي النهاية المعقوفة بشكلٍ حلقيٍّ يتدلى منها شريطٌ متموجٌ (شكل ٣٧)، وظهر هذا الرمز في تاريخ فن وادي الرافدين القديم منذ العصور المبكرة، وتحديداً في عصر الوركاء، ويُوصف هذا الرمز بأنه عضادة (أو عمود) باب البيت، أو كوخٍ من القصب، وُيرجح أنه كان يُصنع من حزمةٍ من القصب أيضاً تنتهي بشكلٍ معقوفٍ من الأعلى، وكان يتصل بهذه الحزمة أو العمود السائد حصيرةٌ من القصب لتُشكل الباب، أما النهايات الفائضة من القصب فكانت

---

(١) ينظر الشكل رقم (١١) .
(٢) خزعل ألماجدي ،أديان ومعتقدات ،ص١٠٥
(٣) المصدر نفسه،ص١١٣ .
(٤) ينظر : Jermey Black,Gods Demons,p 169 .
(٥) ينظر :الشكل رقم (١٢) .
(٦) Jermey Black,Gods Demons,p 170-171 .
(٧) خزعل ألماجدي ،أديان ومعتقدات ،ص١١٥ لمعرفة دلالات الرموز ينظر:لوك بنوا،إشارات ورموز وأساطير ،ترجمة ،فايز كم نقش ،ط١ ،(بيروت ،٢٠٠١ )،ص٤٧-٥٨ .

تُترك لتلتصق بجدران البيت أو الكوخ بعد إغلاق الباب من الخلف، وبذلك يكون هذا الرمز كان يُشكل رمز الإلهة (إينانا . عشتار)(١).

واستمر رمز النجمة ذات الأطراف المستدقة أو المدببة، وكانت ترمز في المشاهد الفنية إلى الإلهة (عشتار)، واقترن ظهورها بالهلال القمر، أو بالقرص الشمسي لـ(شمش)، إذ يظهر هذا الرمز غالباً على المشاهد الفنية، فقد ورد من عصر فجر السلالات ختمٌ فيه مشهد رمز الإلهة (إينانا . عشتار) النجمة الثمانية مع رمزٍ لـ(شمش) والقمر مجتمعةً فوق حيواناتٍ متصارعةٍ، ويُلاحظ في العصر الأكدي ظهور رمز النجمة الثمانية مع قرص الشمس وهلال القمر منقوشاً على مسلة (نرام . سين) على الرغم من تعرض رمز الإلهة (عشتار) إلى ضررٍ ٍجزئيٍ(٢).

وقد ظهر على مشاهد الأختام الاسطوانية في العصر الآشوري الحديث(٩١١-٦١٢ ق٠م) منها ماعُثر على ختمٍ يعود تاريخه إلى القرن التاسع (أو الثامن) قبل الميلاد، إذ يُشاهد عليه مذبحٌ، وعلى جانبٍ منه تقف الإلهة (عشتار) وهي محاطةٌ بالأشعة، وترتدي غطاء الرأس ذي الريش، أما شعرها فقد صُور وهو ملتفٌ حول رقبتها، ويُقابلها الملك يقف في وضع التهيؤ ويظهر خلفه رمحٌ ذو أعلامٍ، وفوقه نجمةٌ، ويُوجد خلف المذبح الكرات السبعة (الإلهة ألسبتي)(٣).

من هذه الرموز يتبين لنا تطور مدارك الإنسان عن الخصب والإلوهية، ومعرفة العلاقة السببية بينهما، وقوة الإلوهية هي التي تُوفر الخصب في الطبيعة والإنسان، فالانتقال الذي حصل في الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد في وادي الرافدين وظهور الديانة الرافدينية لم يأتِ إلا عبر قرونٍ من التطور في المفاهيم ودلالاتها الرمزية، فالانتقال من تجسيد المرأة كتمثالٍ للخصب إلى النجمة الثُمانية رمزاً لإلهة الخصب والعلاقات الجنسية إنما يدل على الانتقال من المحسوس إلى المجرد، وقد استمر نتاج بلاد الرافدين الفني بالتكامل المعرفي والتنوع الجمالي حتى نتج عنها أعمالٌ فنيةٌ في أرض الرافدين الأختام إذ صورت الكثير من مشاهد الخصب.

(١) فاتن موفق الشاكر ، رموز أهم الآلهة ،ص٩٩ ؛ ينظر :فراس السواح ،لغز عشتار ،ص٤٩-٥٠ ٠
(٢) المصدر نفسه ، ص١٠٨ ٠
(٣) المصدر نفسه،ص١٠٩ ٠

### ثالثا: الأختام[١] وتوظيفها في معرفة عقائد الخصب

إن دراسة هذا الابتكار تُظهر أن هذا الإنتاج الفني هو وليد رقي الفكر ونشاط الخيال وتطور التقنيات، فهو خطابٌ فكريٌ تتجسد فيه صورٌ ذهنيةٌ[٢]، وقد أعطت وفرة الأختام طابعاً فنياً متميزاً لحضارة بلاد الرافدين، وقد كان لها أهميةٌ في توضيح الطرز الفنية ومعرفة العقائد الدينية، فدراسة النصب والمسلات والتماثيلِ والألواح الحجرية لا تكون كافيةً لإعطاء صورةٍ واضحةٍ عن مواضيع فن حضارة وادي الرافدين، لذلك اعتمدت الأختام مصدراً أساسياً في دراسة ذلك الفن[٣]، ولاسيما الأختام الاسطوانية منها، فقد ساعدت الكثير من الباحثين على معرفة مواضيعها الفنية للمراحل الحضارية المختلفة، ويُمكن معرفة الفكر الديني لسكان بلاد الرافدين من المشاهد المنفذة عليها، ومعرفة مواصفاتها، ولقد عرضت الأختام[٤] صورة مشاهدٍ دينيةٍ كثيرةٍ ظهرت فيها الآلهة في حالاتٍ عدةٍ، كما ظهر الكهنة والمتعبدون من المشاهد والمضامين المنفذة على تلك الأختام[٥]، لقد استخدمت طريقة الرموز في تمثيلِ الآلهة وتعريفهم على سطوح الأختام، فكان لكل إلهٍ رمزه الخاص الذي يدل عليه، فإله القمر سن (ننار) ـ مثلاً ـ استخدم رمز الهلال للدلالة عليه ويرجع تاريخ هذا الرمز إلى عصورٍ قبل التاريخ، يؤكد أنه رمزٌ لهذا الإله فضلا عن التسمية المنفذة على الشكل[٦]، وقد كان يُحدد بزركشاتٍ، أو يظهر محمولاً من قبل الآلهة[٧]، ومن الرموز الأخرى رموزٌ خاصةٌ بالإله (أيا ـ إنكي)[٨]، وهي تُعبر عن كائنٍ حيوانيٍّ

---

(١) الأختام من الابتكارات المهمة التي تميزت بها حضارة بلاد الرافدين هي الأختام الاسطوانية والمنبسطة ، وكان الختم يسمى بالسومرية (KISIB) وفي الاكدية (Kunukku) وهي من الصناعات المهمة التي استخدمت الطين مادة أساسية اذ عثر على عدد كبير من الأختام المنبسطة والاسطوانية مصنوعة من الطين المفخور إلى جانب الأختام المصنوعة من الأحجار والمعادن وغيرها من المواد وربما كان استخدام الاختام المصنوعة من الطين المفخور ناتج عن رخص ثمنها وسهولة صنعها ونقشها ينظر : عادل ناجي : "الاختام الاسطوانية حتى فجر السلالات" ، حضارة العراق ، جـ٤ ، (بغداد – ١٩٨٥) ، ص٢٢٠.

(٢) زهير صاحب ،الفنون السومرية ،ص١٥٦- ١٦٦ .

(٣) ادورد كييرا. ، كتبوا على الطين، ترجمة محمود حسين الأمين،( بغداد،١٩٦٤ )،ص٢٠ .

(٤) حول مواضيع الأختام ينظر :الشكل رقم (١٣) .

(٥) إسراء عبد السلام العساف ،فن النحت،٦٢ .

(٦) Jermey Black,Gods Demons,p 75 .

(٧) ينظر : J., Green, A. Black, ,Gods Demon and Symbols of Ancient Mesopotamia, London1998, p. 54 .

(٨) فاتن الشاكر ،رموز أهم الإلهة ، ص ٣٠ ؛ينظر : سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق ، ص ٢٣

مركبٍ،ونقصد بالمركب أنه يتكون من العنزة والسمكة، وهو حيوانٌ خرافيٌّ يُمكن بوساطته التعرف على هذا الإله حتى وإن حُذف إناء الماء الفوار الذي كان أحد الدلالات على هذا الإله، وأول ظهور لهذا الرمز كان في عصر سلالة (أور) الثالثة التي ظهر على سطوح أختامها . أيضاً . رمز الإله (شمش)(١).

وفي مشهدٍ للإله (شمش) يظهر فيه ممسكاً بيده اليمنى المنشار (وهو أحد رموز هذا الإله)، وتظهر الإلهة (عشتار) المحاربة تقف فوق الأسد وقد وضعت قدمها الأيمن فوق رأسه، وتُمسك بيدها اليمنى سلاحاً مؤلفاً من هراوةٍ لها رأسان، وفي اليسرى تُمسك سلاحاً مقوساً(٢).

أما الإله (آنو) المتمثل بحزمة القصب المعقوفة التي شُكلت على هيئة عمود (أو عمودي) البوابة اللذين يوصلان بخط العتبة، فقد ظهر رمزه على طبعة ختمٍ يتضمن موضوعها قطيعاً يقترب من مأوى الأبقار وقد أُحيطت بوابتها بحزمة قصبٍ معقوفةٍ من غير شريطٍ متدلٍ، كما يتبين في مشهد ختمٍ آخر عُثر عليه في فناء معبد (إينانا) القديم بمدينة الوركاء (الطبقة الرابعة) عمودي بوابة في كوخٍ وُضع كل واحدٍ منها على كل جانبٍ منها، وقد بدأت مجموعةٌ من العجول بالخروج لتنتظم إلى الأبقار والثيران(٣).

ويُشاهد على طبعة ختمٍ آخر مشهدٌ لرمز الإله (آنو) وهو يُشبه تلك الموضوعات السابقة التي ظهرت على طبعات الأختام المكتشفة في الطبقة المبكرة في الوركاء، إذ يُشاهد فيها امرأةٌ تجلس على كرسيٍّ عالٍ تنظر إلى الإمام مدخل المعبد الذي تُطوقه حزمة القصب من غير شريطٍ للرمز إلى الإله (آنو)(٤).

كما تظهر أختامٌ موضوعها الرئيس الخصب كما في مشاهد الأختام في عصر فجر السلالات، وفي أختام العصر الاكدي، وتتمثل هذه الأختام بإلهٍ، أو آلهةٍ في وضع الجلوس على كرسيٍّ أو على كومة بيدرٍ من الحبوب أو السنابل، ويُمسك بيده غصناً وتخرج من كتفه أو

(١) إسراء عبد السلام العساف ،فن النحت،ص٦٣-٦٥ .
(٢) صبحي انور رشيد ،تاريخ الفن في العراق القديم ،فن الأختام الاسطوانية ،(بيروت ،١٩٦٩ )،ج١ ،ص٨٦
(٣) فاتن الشاكر ،رموز أهم الإلهة،ص١٦ .
(٤)فاتن الشاكر ،رموز أهم الإلهة ،ص١٩ .

جسمه عدة أغصانٍ، وتحمل الإلهة الثانوية بيدها أغصاناً، أو تخرج من جسمها أغصان، أو تحمل محراثاً[١].

ومن دراسة معاني هذه الأختام وتطورها الفكري وتقارب رموز بعضها رموز الإله (آنو) من الإلهة (إينانا)، وكذلك تقارب هذه الأفكار (أو الرموز) من واقعية الحياة بين الدولة الرافدينية والدولة الكونية، يتبين لنا من هذا التقارب أن الفكر الرافديني عمل بهدف خلق موازنةٍ بين الأحاسيس الداخلية وعالم التجربة الخارجي، وعند تكوين التشكيل الفني أدرك الموازنة على أنها نظامٌ تقابليٌّ بين الظاهرة الطبيعية وعالم المعتقدات الروحية، أي: بين الدولة الدنيوية والدولة الكونية، ومثلما أن كل إنسانٍ يحتاج إلى الغذاء والتكاثر كذلك كل إلهٍ يحتاج إلى الغذاء والتكاثر، وكما أن الإله (آنو) هو القوة الألوهية المطلقة في الكون فإن الإلهة (إينانا) هي قوة الخصب المطلقة في الكون، ويجب على السكان التقرب إليها بتقديم النذور وبناء المعابد لها وممارسة طقوسها لتجديد الحياة بالعلاقات الجنسية التي تُؤدي إلى الخصب والتجديد الذي يؤدي إلى الخلود الذي يُمكن الاستدلال عليه من دراسة المدافن الرافدينية والمعابد.

### المدافن والمعابد وفكرة الخلود

لقد كشفت التنقيبات الآثارية في كهف (شانيدار) في شمال بلاد الرافدين عن تسعة هياكل عظميةٍ لسبعةٍ من البالغين وطفلين من نوع إنسان النياندرتال تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط، قبل (٦٠) ألف سنةٍ . تقريباً . وكانت الهياكل تحت دائرةٍ من الأحجار، وقد دُفنت معها ورودٌ، وهذا ما ثبت بتحليل العينات المأخوذة من تراب القبر، وهو دليلٌ على ظهور معتقداتٍ دينيةٍ تخص الدفن والانبعاث والخلود في عصورٍ مبكرةٍ جداً[٢]، واستمرت ممارسة الدفن تحت أرضيات المساكن في حضارة بلاد الرافدين، ففي موقع (جرمو) كانت العادة أن يُلحد الميت في قبرٍ يُحفر تحت أرضيات بيوت السكن[٣].

---

(١) صبحي انور رشيد ،تاريخ الفن في العراق،ص٦٥ .
(٢) نائل حنون ،المدافن والمعابد في حضارة وادي الرافدين القديمة دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسمارية والآثار ،ط١ ،(دمشق ،٢٠٠٦ )،ج١ ،ص١٦ .
(٣) طه باقر ،مقدمة في تاريخ ،ص١٩٥ .

واستمرت هذه الطريقة في الدفن في (تل الصوان)، وكانت الجثث قد مُدت على حصران القصب فضلاً عن التغطية بالقير، ووُجد على رؤوس عدد من الجثث اللون الأحمر الذي كان يُمثل نوعاً من الطقوس، وكان يُضاف اللون على الجلد الذي بعد تحلله يصل اللون إلى العظم ويستقر، ووُجدت الأصداف التي تعود للرداءات وهي أنواعٌ من الأحزمة حول الخصر، أو قلائد حول الرقبة[١].

وانتقلت طقوس الدفن إلى العبيد في الجنوب بعد انتقال مركز الحضارة إليه[٢]، وما العناية بالدفن ودفن المقتنيات مع الميت . كما أثبتت ذلك التنقيبات الأثرية . إلا إيمانٌ بحياة ما بعد الموت، وإيمانٌ بالانبعاث من جديدٍ، وهذا ما يُفيدنا في معرفة نزول إلهة الخصب إلى عالم الأموات حتى تُنقذ هؤلاء الأموات وتبعثهم من جديدٍ[٣]، أما المعابد فظهرت أولاً في تل الصوان وهي تقع في التل الجنوبي وكانت مشيدةً مباشرةً فوق الأرض البكر، وكان شكلها العام قريباً للمربع، وكانت مقسمةً ثلاثة أقسامٍ رئيسةٍ، وامتازت بالطلعات البنائية في أركان البناية، وقد عُثر في إحدى غرف هذه البناية على تمثال الإلهة الأم فضلاً عن تمثالين فاقدي الرأس بما يوحي بأن هذه البناية ذات طابعٍ دينيٍّ عقائديٍّ، أي: إنها (معبدٌ)، وما يدعم هذا الافتراض هو وجود المقبرة الكبيرة في أسفل أرضيات غرفها[٤].

وانتقلت ظاهرة بناء المعابد . مع تطورٍ أكبر . في دور العبيد، وكانت تُشيد ببساطةٍ على الأرض فوق قاعدةٍ مرتفعةٍ أو دكةٍ، ويُرقى إلى المعبد بوساطة منحدرٍ ترابيٍّ صغيرٍ، وكان من أول المعابد (المعبد الأبيض) معبد الإله (آنو)[٥].

الذي يُعد تحولاً إلى عبادة الآلهة السماوية وحدوث الانتقال الفكري من عبادة الأرض إلى عبادة الظواهر السماوية، فإن هذا التطور ظهر في دور سامراء لكنه وصل إلى مرحلة النضج في العصر الشبيه بالكتابي، ويتجلى ذلك بوضوحٍ في دور الوركاء التي كانت أبنيتها مشيدةً باللبن، ولاسيما معابدها العقائدية الكبيرة وأشهرها (معبد الحجر الكلسي) الذي يقع في حرم

---

(١) عادل عبد الله الشيخ ، بدء الزراعة وأولى القرى،ص٣٥ .
(٢) ينظر : نائل حنون ،المدافن والمعابد ،ص١٦-٢٥ .
(٣) ينظر :المبحث الأول من الفصل الثاني ،من الرسالة .
(٤) عادل عبد الله الشيخ ، بدء الزراعة وأولى القرى،ص٨٢ .
(٥) نائل حنون ،المدافن والمعابد ،ص١٠٥ .

(إينانا)[١]، ويُعد من أكبر أبنية الحقبة الأولى حيث شُيد البناء على مخططٍ طوليٍّ أبعاده (٧٠×٣٠) متراً بزوايا تتجه نحو الجهات الأربعة الأصلية، وكان الجزء المركزي في تصميم هذا المعبد هو الفناء الذي كان على شكل الحرف (T) اللاتيني ويتميز بمساحته الطويلة[٢]، وما يُميز هذا المعبد هو رمزية الألوهية واتجاه الزوايا نحو الجهات الأربعة، ويُمكن أن يكون ذلك رمزيةً لتحكم الآلهة بالكون، وهذا يختلف في استخدام الرمزية عن معبد تل الصوان، وهذا التطور الفكري يدل على بدايات التفلسف، وإن الإلهة (إينانا) رمز الخصب تحتاجها كل الإلهة، وبيدها النواميس الكونية، وبذلك تكون هذه الإلهة شريكة للكثير من الآلهة بواجباتها كما أن الإله (آنو) هو رمز الإلوهية وقوتها المطلقة، وحاكم أعلى للدولة الكونية، فضمن نظام ثنائية الأضداد تُمثل (إينانا) رمز العلاقات الجنسية وهي المتحكمة بالخصب، ونظيرها (آنو) رمز قوة الألوهية، أما الإله (دموزي) فهو إلهٌ ثانويٌّ رفعته (إينانا) بزواجها منه وأوصلته إلى الخلود في العالم الأسفل، ولا نرجح أنه إله الخصب بل هو بصفته الذكرية يشترك مع الأنثى بإيجاد الخصب، ومزيته أنه اشترك في زواجٍ مقدسٍ مع إلهة الخصب والعلاقات الجنسية، ولأنه ليس نظيرٌ لها سلمته إلى شياطين العالم الأسفل، والأرجح أن (إينانا) هي التي تُمثل قوة العلاقات الجنسية والمسؤولة عن تجدد الحياة بكل أشكالها، كما أن الإله (آنو) أوجد الحياة، فهي المسؤولة عن استمرار الحياة كما دلت على ذلك الشواهد المادية.

---

(١) ينظر الشكل رقم (١٤) .

(٢) عادل عبد الله الشيخ ، بدء الزراعة وأولى القرى،ص٨٢ ينظر:

Jermey Black,Gods Demons,p 174-177.

**عقائد الخصب في ضوء الشواهد المادية في وادي النيل:**

تُعد حضارة وادي النيل حضارةً دينيةً تقوم على خدمة الدين، وتتميز بمعتقداتها الدينية التي تُناقش الكون والوجود وعقائد الخصب وعقائد ما بعد الموت، وبما أن الدين بدأ اعتقاداً وكانت أداته الأسطورة التي تُعد وسيلةً للمعرفة والكشف والفهم، وتطور الدين حتى أصبحت الأسطورة طقوساً تستهدف استرضاء الآلهة والتعبد بها[١].

وبما أن الشعائر الدينية ليست سلسلةً من الأفعال التي تُؤدي لذاتها، بل هي حركات لها مدلولاتٌ رمزيةٌ، أي: إنها تُشير إلى أمورٍ أخرى مختلفةٍ عنها دائماً ما تكون مرتبطةً بدنيا الآلهة، وليس بوسعنا أن نفصل اللاهوت عن الطقوس في ديانة وادي النيل، لأن الأول يُغلف الثانية ويحتويها، فمثلاً عُدت مقصورة الإله الأفق أي أرض الضوء الواقعة خلف الأفق الذي يبزغ منه الفجر، والذي تحيى فيه الآلهة، ومثل المعبد صورة الكون القائم في حين أن أرضه كانت التل الأزلي الذي انشقت عنه مياه المحيط الأزلي عند بدء الخليقة[٢]

ومن هذا يُمكن أن نستدل على العقائد الدينية من الرموز التي تظهر لنا من الشواهد المادية، ولهذه الرموز معانٍ متنوعةٍ ومعقدةٍ، ولذلك علينا أن نشرح أصلها والغرض منها بطريقةٍ مرضيةٍ، ويبدو الرمز ـ أحياناً ـ كأنه يُناقض نفسه، وفي الحقيقة تُوجد الرموز التي تُشير إلى كلٍّ من قطبي الوجود (أي: الحياة والموت، والخير والشر)، فقد عُد الإله (أوزير) ـ مثلاً ـ إلهاً للعالم الآخر، وهو ـ أيضاً ـ سيد السماء، وروح الحياة للأرض، وكان بمنزلة الشمس الغاربة والشمس المشرقة، ومن الممكن أن يقتله أخوه (ست) ويبقى خالداً[٣]، ويتواجد ـ أيضاً ـ (أوزير) بالقمر، وهو يُمثل الانبعاث والتجديد، وقد نُسبت له صفات جميع الآلهة بعد زمن الأسرة الثامنة عشرة[٤].

وكان للبيئة الطبيعية الأثر الأساسي في تأسيس مزايا حضارة وادي النيل وتفردها وخصوصيتها في مراحل تأسيس الفكر الحضاري، فقد كان الفكر يتسلم أو يستقبل منبهات البيئة الطبيعية المحيطة به ويُؤولها إلى أنظمةٍ فكريةٍ ليبثها بشكل رموزٍ وعلاماتٍ لها علاقة

---

(١) إيلاف سعد علي البصري ،وظيفة الإبلاغ في الرسوم ،ص٢١٩ .
(٢) ارنست كاسيرر،الدولة والأسطورة ،ترجمة احمد حمدي محمود ،(القاهرة ،١٩٧٥ )،ص٦٠-٦٣ ؛ ينظر:رندل كلارك ،الرمز والأسطورة في مصر ،ص٢٧ .
(٣) مانفرد لوركر ،معجم المعبودات ،ص١٣ .
(٤) واليس بدج ،الديانة الفرعونية ،ص١٠٤ .

بخصوصية البيئة المكانية التي وُلدت فيها[١]، ولعل من المناسب أن نُؤكد قول الدكتور غوستاف لوبون في النتاج الفكري لسكان وادي النيل: (ترى الآداب عندهم ضعيفةً جداً في كل وقتٍ، وترى فن التصوير عندهم هزيلاً جداً، وترى فن البناء وصنع التماثيل أسفر عندهم عن أنفس الآثار، فلا تزال مبانيهم تُثير إعجابنا، ويصلح ما تركوه لنا من تماثيل أن يتخذ نماذج حتى في زماننا)[٢]، وما يُفيدنا هو توظيف الشواهد المادية لمعرفة عقائد الخصب في بلاد وادي النيل، وبما أن العقيدة في وادي النيل مرت بأطوارٍ متنوعةٍ، وقد تغيرت مع الزمن والمؤثرات السياسية والفكرية، وسنقسم الموضوع على النحو الآتي:

### أولا:عقائد الخصب في عصور قبل التاريخ في ضوء الشواهد المادية

وأهم هذه الشواهد في هذه العصور هو التماثيل وصناعة الدمى الفخارية والرسوم والزخارف[٣]، ومن دراسة هذه الشواهد يتبين لنا عبادة سكان وادي النيل في تلك الحقبة التي لا توجد فيها نصوصٌ كتابيةٌ، والدليل الوحيد لمعرفة الديانة هو الشواهد المادية التي دلت على وجود عقائد خصب وارتباطها منذ دور البداري بشعائر الدفن والمقابر، فقد وُجدت تماثيل للنساء[٤] صُنعت من العاج أو الطين في المقابر، أي إن من أهم معاثر الدمى الأنثوية في بلاد وادي النيل هي المقابر التي وُجدت فيها تماثيل أنثويةٌ تُظهر مواضع الخصب[٥]، فقد عُثر في مقابر البداري على سبعة تماثيل نسائيةٍ صغيرة الحجم، صُنع أربعةٌ منها من الطين، واثنان من الفخار، والسابع كان مصنوعاً من العاج، ويُعد توصل الإنسان المصري إلى نحت تماثيله من العاج تطوراً في فن النحت لتميز العاج بتماسك أجزائه وإمكان صقله[٦]، كذلك ظهرت بين سكان دور البداري شعائر دفن الحيوانات[٧]، كما جسدت نقوشٌ بارزةٌ صراع الحيوانات على جدران المقابر، كما في النقش البارز من مقبرة بسقارة تبين أحد أفراس النهر يقضي على أحد

---

(١) إيلاف سعد علي البصري ،وظيفة الإبلاغ في الرسوم ،ص١٩٧ .
(٢) السنن النفسية لتطور الأمم ،ترجمة عادل زعيتر ،ط٢ ،(القاهرة ،١٩٥٧ )،ص٧٤ .
(٣) ينظر:مرجريت مرى،مصر ومجدها الغابر ،ترجمة محرم كمال ،(القاهرة ،١٩٩٨ )،ص٢٦- ٢٨ .ينظر :سمير أديب،موسوعة الحضارة المصرية ،ص٢٩٣ .
(٤)-ينظر الشكل رقم (١٥) .
(٥) ج.هاوكس ول .وولى،ما قبل التاريخ وبدايات المدنية ،ص٥١-٥٣ .
(٦) احمد أمين سليم ،العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم ،(القاهرة ،٢٠٠٠ )ص٧٥ .
(٧) ج.هاوكس ول .وولى،ما قبل التاريخ وبدايات المدنية ،ص٥٣ .

التماسيح(١)، ويظهر على وجه التمساح ملامح آلام الاحتضار حينما غرس فرس النهر أنيابه الطويلة المقوسة الحادة في جسده ليقضي عليه دفاعاً عن نفسه(٢)، وهذا المشهد يدل على تطور الفن المصري في تجسيد المعالم الواقعية في النقوش البارزة وربما يدل هذا المشهد على رموزٍ دينيةٍ، كما عُبدت الحيوانات التي ارتبطت بحياة سكان وادي النيل الذين كانوا يمتهنون الزراعة، ومن هذه الحيوانات كان الثور والكبش اللذان أثرا في مخيلة السكان بقدرتهما الإنتاجية وقوتهما الإخصابية، أما البقرة فقد ألهمت عنايتها الفائقة بوليدها وحنوها عليه مفهوم تقديسها كرمزٍ للأمومة(٣).

ولقد كانت التماثيل تُصنع من الطين والعاج والخشب والمعادن(٤)، ويُرجح الأستاذ سيتن لويد أن هناك تبايناً في المواضيع الدينية بين سكان وادي النيل، فإن شعب الوجه القبلي يتميز بخصائص أفريقيةٍ موروثةٍ من أسلافهم في حين يميل سكان الوجه البحري إلى التأثر بأفكار جيرانه الآسيويين ومصادرهم المادية(٥)، ومن دراسة آلهة وادي النيل في عصور ما قبل التاريخ يمكن تحديد مجموعتين من الآلهة؛ فهناك الآلهة التي كانت مرتبطةً بمكانٍ خاصٍّ مثل آلهة الأقاليم القديمة التي كان يُرمز إليها بشكل حيوانٍ أو رأس حيوانٍ، ففي (دندرة)(٦) . مثلاً . قُدست (حتحور) على هيئة بقرةٍ ، والإله (تحوت) (٧) في شكل طائر الأبيس(٨)، وفي الأشمونين عُد الإله (خنوم) ـ الذي صُور برأس كبشٍ . سيد الفنتين، أما الإلهة التي لم تكن مرتبطةً بمكانٍ خاصٍّ فقد مثلت العناصر الكونية المختلفة والظواهر الطبيعية، وغالباً ما صُورت في هيأةٍ آدميةٍ، ومثل ذلك كانت إلهة السماء (نوت) و(إله) الأرض (جب) وإله الخصب والحياة (أوزير)، والإله الخالق (بتاح)، وتنتمي الآلهة التي صُورت بشكل الحيوان (Theriomor-Phic) إلى حضارة

---

(١) ينظر الشكل رقم(١٦ ) ٠

(٢) إبراهيم يوسف الشتله ،جذور الحضارة المصرية،ص١١٠ ٠

(٣) جمال المرزوقي ،الفكر الشرقي ،ص٧٣ ٠حول عبادة الحيوانات في مصر ينظر :سليمة اكرم ،حيوانات محبوبة مومياوات الحيوانات من مصر القديمة (القاهرة ،د ت )،ص١٤-١٥ ٠

(٤)مرجريت مرى،مصر ومجدها الغابر،ص٢١-٢٣ ٠

(٥) ينظر:فن الشرق الأدنى القديم ،ص٣٤ ٠

(٦) دندرة:عاصمة الإقليم السادس من أقاليم وادي النيل وتقع شمال غرب قنا عبر نهر النيل معبوداتها الرئيسة حتحور ينظر : محمد بيومي مهران ،المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم ،(القاهرة ،د ت )،ج١ ،ص٧٧ ٠

(٧) تحوت :مركز عبادته في هرموبوليس وهو مرتبط بالقمر لذلك جعل رب للوقت والإله الذي اخترع الكتابة ينظر :مانفرد لوركر،معجم المعبودات ،ص٨٤ ٠

(٨) طائر الابيس: هو طائر الكركي يسمى عند المصريين الابيس ينظر :سليم حسن ،موسوعة مصر القديمة ،ج٢ ،ص٣٤٩ ٠

شمال إفريقيا الحامية (Hamitic)، في حين ارتبطت الآلهة التي مُثلت على هيأةٍ آدميةٍ بأفكار الآسيويين في الشرق[١].

وكان الفن المصري قادراً على تغيير الصور الفنية في الشواهد المادية مع تطور الفكر والرمزية للمعبودات، فصورة النمر الأرقط المجنح كانت رمزاً لكلٍّ من السماء والشمس، وقد كان القارب والهرم صورةً رمزيةً دافعةً لروح المصري للتوجه إلى الأبدية، ولما كان الغرض من الرموز الحقيقية كلها هو توجيه الفرد نحو مركز الوجود بعيداً عن الاجتماعات الظاهرية الخارجية للحياة، فإن كل المظاهر الطبيعية الرمزية تبلورت حول أقطاب الوجود[٢]، وحول المجيء إليه والذهاب بعيداً عنه، أي: الموت، وكذلك حول الضوء والظلام والخير والشر والخصب والحياة، وربطهما بالبعث والتجديد والخلود[٣]، والملاحظ على الشواهد المادية أنها مثلت كل التغيرات التي في ديانة سكان وادي النيل في عصور ما قبل التاريخ وعصورها التاريخية، وكانت عقائد الخصب مرتكزاً أساسياً في هذه التغيرات التي حدثت، ويُمكنُ تقسيم هذه التغيرات في ديانة سكان وادي النيل على النحو الآتي:

**أولاً: العصر الأول (عصر الثورة الزراعية)**

لقد كانت الآلهة المحلية هي أساس الديانة التي كانت تعتمد في العبادة على فكرة الإلهة الأم، وساد انتشار هذه الدمى في الشرق الأدنى، وهناك أدلةٌ على التماثيل الأنثوية والذكرية في وادي النيل وفكرة تقديس الحيوان وارتباطه بالخصب، وقد ارتبطت الشعائر الجنائزية بالعقيدتين، ووُجدت تماثيل الإلهة الأم[٤] في المقابر[٥]، وكذلك وُجدت دلائل على دفن الحيوانات، كما عُثر في مقابر هليوبوليس على مدافن للماعز[٦]، وقد دفن السكان الأواني الفخارية المملوءة بالقرابين مع الماعز تكريماً لها[٧].

---

(١) مانفرد لوركر ،معجم المعبودات ،ص٢٦ ٠
(٢) ينظر الشكل رقم(١٧)٠
(٣) مانفرد لوركر ،معجم المعبودات ،ص١٢ ٠
(٤) ينظر الشكل رقم(١٨) ٠
(٥) ينظر :المبحث الثاني من الفصل الأول ،من الرسالة ٠
(٦) ينظر الشكل رقم(١٩) ٠
(٧) إبراهيم يوسف الشتله ،جذور الحضارة المصرية ،ص١٢-٢٠ ٠

ومن هذا نرجح أن يكون الارتباط بين فكرتي الخصب والخلود موجوداً في ديانة سكان وادي النيل منذ عصورٍ مبكرةٍ لكنها تطورت مع المتغيرات والزمن.

**ثانياً: العصر الثاني (غزو ملوك الأسرات)**

وكان إلههم (حورس) الصقر، وكانوا يقاتلون أقواماً كان إلههم التمساح وفرس النهر، التي كانت تُقدس، ونشأت من هذه الحرب أسطورة (حورس) و(ست) التي كانت تختلف عن أسطورة (أوزير) لكنها اندمجت فيها تدريجياً[١]، وكان سبب هذا التغير في المعتقد وظهور هذه العقيدة واختزال عقائد أخرى باندماجها معا، هو الحرب التي نتج عنها وحدة وادي النيل.

**ثالثاً: (فكرة ألوهية الملك)**

يتسمُ الحكم في مصر بترابط أجزائه جميعاً برباطٍ وثيقٍ، وذلك بفضل النيل، وهذا الترابط جعل الحكم المركزي ضرورةً لازمةً لحياة الشعب، تبلورت بعد هذا صفات الربوبية في الحاكم الأعلى وذلك بعد توحيد البلاد، إذ أصبح الفرعون هو مصدر القانون ومنبع الحياة لأنه تجسيد الإله على الأرض[٢].

ويبدو من الشواهد المادية والنصوص الأسطورية أن من المعتقدات الأساسية في عبادة سكان وادي النيل هو ارتكازها على فكرة الملكية الإلهية وعد الملك إلهاً بين البشر، وبهذا الشكل أصبح صاحب السلطان في مملكته ومالك أرضها وغلاتها والمسؤول عن فيضان النيل[٣]، وعن شروق الشمس وميلاد الناس وإنبات الزرع[٤]، وكان من أبناء الآلهة وهو يرعى شؤون آبائه، ويتلقى منها لقاء ذلك السلطة التي يسود بها على الأرض[٥]، فإنه رب أرض مصر وسيد من عليها وما عليها، وأنه يجلس على العرش كسليل للآلهة، ويُمارس سلطاته على أنه واحدٌ منهم[٦]، وساد اعتقادٌ بأن هناك نفساً واحدةً أو شخصاً واحداً فقط جدير بالعبادة هو شخص

---

(١) ينظر : مرجريت مرى،مصر ومجدها الغابر،ص١٣٦؛ينظر :سيد القمني ،أوزير رب الثورة ،ص١٤٩-١٥١ .
(٢) مهدي فضل الله ،بدايات التفلسف الإنساني، الفلسفة ظهرت في الشرق ،ط١ ،(بيروت ،١٩٩٤ )،ص٧١ .
(٣) مرجريت مرى،مصر ومجدها الغابر،ص١٣٧ .
(٤) ينظر الشكل رقم(٢٠ ).
(٥) سيرج سونيرون ، كهان مصر القديمة،ص٣٧ .
(٦) انتصار ناجي عبد زنكي ،الأوضاع السياسية والإدارية في مصر ،ص٨٨ .

فرعون، فكل إنسانٍ يتكون من جسدٍ وقلبٍ إلا فرعون فإنه يتميز وحده بأنه يمتلك روحاً خالدةً مما يفسر الشعائر التي كانت تُقام له[١]، وكان من المعتقدات الدينية أن الفرعون هو واهب الحياة، فهو الإله المتجسد قوة العطاء والخصب لشعبه وبلاده[٢].

وفضلاً عما تقدم كان الملك يُدعى (الإله الكامل) على ما جرى عليه العرف آنذاك، وكان يُسمى (حورس) و(ابن رع)، وكانت الشخصية الإلهية التي يمتلكها قانونيةً وكان هدفها تدعيم السلطة الملكية قانونياً، ولم تكن هذه الشخصية الإلهية تُنتزع شيئاً فشيئاً من صفة الملك الإنسانية، فلم يكن في استطاعته أن ينتهك ـ دون عقابٍ ـ حرمة (الماعت) [٣] التي ترمز إلى إقامة النظام السياسي العام في مصر، والتي يجب تكريمها بإقامة العدالة[٤]، فقد كان الملك يتقيد في سياسته بتعاليم (الماعت) التي هي آلهة العدل، ويجب على الحاكم أن يرعاها في تنفيذ سياسته في الحكم، وصورت العلامة الهيروغليفية استقامة القاعدة التي وضع عليها العرش والتي كانت تمثيلاً رمزياً للتل[٥]، وكان الفرعون يتمثل بالرسوم والتماثيل وهو يحمل العصا المعقوفة[٦] (عصا الراعي) والمذبة (سوط الراعي) وهذه شارات الألوهية في حضارة وادي النيل[٧].

وتستمر هذه الهالة من القداسة للملك حتى تصل السلطة الملكية إلى قمة سطوتها في عهد الأسرة الرابعة متمثلةً ببناء الأهرامات (رمز خلود الملكية)، فالأهرام وبنائه شاهدٌ ماديٌ[٨] على فكرة الانبعاث والخلود، لقد جهزت حجر الدفن بالمقتنيات وكميات من المأكولات المختلفة، وهذا ما ساعدنا على معرفة مظاهر حضارة وادي النيل عن طريق دراسة هذه الآثار

---

(١) مهدي فضل الله ،بدايات التفلسف الإنساني ،ص٧١ ٠
(٢) مرجريت مرى،مصر ومجدها الغابر،ص٣٧ ٠
(٣) الماعت : رمز العدالة في حضارة وادي النيل ورمز فيه المصري الى المثل العليا ينظر: مانفرد لوركر ،معجم المعبودات ،ص٢١٥ ٠
(٤) فرانسوا دوماس ، إلهة مصر ، ص١١٢
(٥) مانفرد لوركر ،معجم المعبودات ،ص٢١٥ ٠
(٦) ينظر الشكل رقم (٢١ ) ٠
(٧) مانفرد لوركر،ص١٤١؛ينظر:حسن شوقي ،الدر المكنون في جدث الملك توت عنخ امون ،ط١،(القاهرة ،د ت )،ص٣ ٠
(٨) ينظر الشكل رقم (٢٢)٠

الشاخصة(١)، كما أن الرسوم التي جاءتنا على جدران الأهرامات والمعابد الملحقة بها تنوعت مواضيعها، وكانت من الشواهد المادية على العقائد المصرية، وقد صورت القرابين للآلهة ورموزها، وصور الزوارق والسفن، وصور أنواع النباتات، ومناظر الصيد والحرث والبذر، ومن المناظر الأخرى مناظر الحزن والبكاء الجماعي لصفوفٍ من الرجال تُقابلها صفوفٌ من النساء، وكذلك مناظر الرقص، حيث تقف الراقصات على الرجل اليسرى، واليدان مرفوعتان إلى الأعلى(٢)، وما يُعنينا من هذه المناظر أنها كانت تجسيداً للمشاعر الدينية وأعياد الآلهة وأحزانها، وارتباطها بعقائد الخصب من مشاهد الزراعة ورموز الآلهة، ومعرفة الحياة بمظاهرها المختلفة في وادي النيل.

وفي نهاية هذه الأسرة حدث تبدلٌ في شخصية الفرعون الإلهية، ويظهر هذا من تبديل لقب الملك من (الإله العظيم) إلى (الإله الطيب)، وقد خرجت هذه الأسرة على الناس بأسطورةٍ تجعل ملوكها أبناء الإله (رع) من صلبه، وتجعل (رع) هو الأب الفعلي للفراعنة، الذين أخذوا لقب (ابن رع)، وهذا ناتجٌ من غير شكٍ من طغيان سلطة الكهنة ولاسيما كهنة الإله (رع)(٣).

**رابعاً: تطور عبادة (رع) في عصر الدولة القديمة(٢٦٩٠-٢١٨٠ ق٠م)**

وهي أقدم الآلهة الشمسية(٤)، فإن من الظواهر السماوية التي تُؤثر بالخصب والتجديد الشمس التي مثلتها الكثير من الآلهة المصرية الأساسية، فكان (رع) يُمثل الرمز المرئي للمطلق(٥)، فعندما يظهر على هيأة الشمس بدأ الخلق، وكانتْ الحياة تُقاس بمساره اليومي، ويُعتقد بأنه يُبحر على صفحة السماء في زورقين أحدهما للنهار حين يُنير الأحياء، والآخر لليل حين يُنير عالم الأموات في العالم الأسفل، وعده المصريون الإله الخاص بفكرة العدل والحقيقة ومثلوا العدالة (ماعت) ابنته، كما أطلقوا على قرص الشمس الظاهر (آتون) في عصر

(١) سمير اديب ،موسوعة الحضارة المصرية ،ص٨٣٢؛حول الأهرامات؛ ينظر أيضاً :راجي عنايت، الهرم وسر قوته ،ط٦ (القاهرة ،١٩٩٦ )،ص٥٣ -٦٢ ؛ينظر أيضاً سمير اديب ، أهم المعالم الأثرية في منطقة الجيزة ،(القاهرة ،١٩٩٧)،ص١٠ وما بعدها ٠
(٢) ينظر: جيمس بيكى،الآثار المصرية في وادي النيل ،ترجمة لبيب حبشي وشفيق فريد ،(القاهرة ،١٩٩٣ )،ج١،ص٢٤٠-٢٧١ ٠
(٣) ينظر :سليم حسن ،مصر القديمة،ج٢ ،ص٨-١٠ ٠
(٤) مرجريت مرى،مصر ومجدها الغابر،ص١٣٧ ٠
(٥) ينظر الشكل رقم (٢٣)٠

(إخناتون)، ومن الآلهة التي استمدت من الإله (رع) هو الإله (أمون) إله مدينة طيبة الذي لُقب بـ(ملك الآلهة)، وقد جُسد بكبشٍ[١]، وهو من الحيوانات التي تدل على الخصوبة، وقد سُمي . بعد إن اندمج مع الإله الشمس . (آمون . رع)، وعُد الأصل الأول في الخلق وإيجاد الحياة، إذ خلق إله الهواء (شو) وإلهة الرطوبة (تفنوت) وهي من المظاهر الشمسية[٢]، ومن اتحادهما ولد إله الأرض (جب) وإله السماء (نوت)[٣].

**خامساً: المبدأ الأوزيري**

و(أوزير) هو إله الخصب، ويُعد من الآلهة المستمدة من قوة الأرض، وخصوصيتها في الحفاظ على الحياة بوصفها أحد مظاهر الطبيعة، وعُدت رمزاً للخصب والتجدد والنماء في الفكر المصري، وعُد (أوزير) ابناً لإلهة الأرض (جب) وإله السماء (نوت)، وكان (أوزير) رمزاً للحياة المنبعثة من الأرض وواهب الحياة والتجديد والانبعاث[٤] لقد تطور هذا المبدأ في الديانة المصرية القديمة في زمن الدولة الوسطى، وعبادة (أوزير) هي اندماج تجسد الإله مع الإنسان من أجل الخصب والخلود التي اعتنقها الشعب المصري، لأنها لا تعطي الخلود للملك فقط، بل هي تمنح الخلود لكل الشعب، واستطاعت هذه العقيدة أن تختزل عقائد عدةً اندمجت معها[٥].

لقد تطور المبدأ الأوزيري وأصبح الإله (أوزير) رمز الملوكية الإلهية، وظهر في الكثير من التماثيل والرسوم يحمل شارات الملوكية الإلهية[٦]، كما ظهر في الرسوم الجنائزية ملكاً لمملكة الأموات، وكان لون جلده رمزياً[٧]، فهو إما أبيض اللون مثل لفافات المومياء، أو أسود، لارتباطه بمملكة الموتى، أو اخضر دليلاً على البعث والخصب[٨].

---

(١) ينظر الشكل رقم (٢٤)٠

(٢) ينظر الشكل رقم (٢٥)٠

(٣) ايلاف سعد علي البصري ،وظيفة الإبلاغ في الرسوم ،ص٢٢١-٢٢٢ ؛ينظر وليس بدج ،الديانة الفرعونية ،ص١٢٥؛ينظر ايضاً : Barbara S Lesko ,The Great Goddesses p .26 .

(٤) ايلاف البصري ،المصدر نفسه ،ص٢٢٤ ٠

(٥) مرجريت مرى،مصر ومجدها الغابر،ص١٣٧ ٠

(٦) ينظر الشكل رقم (٢٦)٠

(٧) ينظر الشكل رقم (٢٧ )٠

(٨) مانفرد لوركر ،معجم المعبودات،ص٦٤ ينظر أيضاً:
Elise J. Baumgartel, The Cultures of prehistoric Egypt, Vol. II (London, 1960), p. 104 .

واستحوذ نهر النيل كذلك على احترام عقائديٍّ من سكان وادي النيل، ومن الشواهد المادية تجسيد هذا النهر بالإله (حعبي) بجنس خنثى، وصوروه تُزين رأسه أزهارٌ، وغالباً ما يُلون باللونين الأحمر والأخضر تجسيداً للماء قبل الفيضان وبعده[١].

## رموز آلهة الخصب

أما عن رموز آلهة الخصب في الحضارة المصرية من الرسوم والتماثيل، وبما أن أصل الديانة المصرية من ديانات الأقاليم، لذلك نجد الكثير من آلهة الخصب الذكرية والأنثوية في الحضارة المصرية، وقد تغيرت واندمجت مع آلهةٍ أخرى مع تطور الفكر الديني في وادي النيل ومع المتغيرات السياسية، لذا ينبغي أن نتتبع آلهة الخصب الأنثوية والذكرية ورموزها من خلال الشواهد المادية، وعلى الترتيب الآتي:

### أ. رموز وصور آلهة الخصب الأنثوية

#### ١. الإلهة حتحور (Hathor):

وأول ما عُبدت في أقاليم مصر السفلى، وكان مركز عبادتها في (دندرة)، وقد مُثلت بالشواهد المادية في أشكالٍ رمزيةٍ عدةٍ، منها هيأة بقرةٍ يحمل قرص الشمس بين قرنيها[٢]، أو في هيأة امرأةٍ يُزين رأسها قرص الشمس بين قرني بقرةٍ[٣]، كما تمثلت برأسٍ بشريةٍ بقرني وأذني بقرةٍ[٤] كما ظهرت في صلاية نارمر[٥].

#### ٢. الإلهة إيزيس (Isis):

---

(١) شكري صادق ،تاريخ الفنون الجميلة عند قدماء المصريين ،(القاهرة ،د ت )،ص٦١ ؛ ينظر : خزعل ألماجدي ،الدين المصري ،ص١٨١

(٢) ينظر الشكل رقم (٢٨ ).

(٣) ينظر الشكل رقم (٢٩).

(٤) ينظر الشكل رقم (٣٠).

(٥) صلاية نارمر :وهي قطعة فنية منقوشة على الوجهين يبدو أنها تمثل الملك يقوم بعملية توحيد الوجهين ونرى على الجزء الأعلى من وجه الصلاية اسم الملك نارمر وعلى جانبيه رأس الآلهة حتحور وعلى احد وجهي الصلايه مثل الملك نارمر بتاج الوجه القبلي وعلى الوجه الآخر مثل الملك بحجم كبير لابسا تاج الوجه البحري ومن الأسفل نشاهد ثور قوي يهدم بقرنيه مدينة محصنه ويضع حافره على ذراع رجل ملقى على الأرض والثور هنا يعبر عن الملك وقد استولى على المدينة ينظر:سمير اديب ،موسوعة الحضارة المصرية ،٨١٦ ؛ ينظر : نهى محمود نايل ،الدلالات الرمزية والقيم الفنية ،ص٧٩ ؛ينظر أيضاً: روبرت ارموار ،آلهة مصر القديمة ،ص٨١ .

وهي زوجة (أوزير)، ويُرمز لها بهيأة آدميةٍ تضع فوق رأسها الكرسي أو العرش[١]، وقد تمثلت في عددٍ من النقوش على هيأة امرأةٍ ترتدي فوق رأسها قرص الشمس بين قرني ثور[٢]، لذلك اختلط اسمها بالإلهة (حتحور) لصعوبة التمييز بينهما دون الكتابات المصاحبة للنحت الجداري[٣].

**٣. الإلهة سخمت** (Sakhmet):

وهي واحدةٌ من إلهات الحرب، وقد عُبدت في مدينة (منف)، وعُدت زوجةً للإله (بتاح)، ويُرمز لها بهيأة امرأةٍ من البشر رأسها رأس أنثى الأسد وتحمل فوقه قرص الشمس المطوق بالحية[٤]، وكان لها أثرٌ في شفاء المرضى[٥].

**٤. الإلهة نفتيس** (Nephtys):

وهي ابنة الإلهين (جب) و(نوت)، وزوجة الإله (ست)، وقد شاركت مع (إيزس) في جمع أشلاء (أوزير)، وصُورت بهيأة امرأةٍ تضعُ فوق رأسها علامةً هيروغليفية لاسمها[٦]، وهي بهذا تشبه (إيزيس)[٧].

**٥. الإلهة نخبت** (Nekhbet):

وهي ابنة (رع)، وبعد توحيد مصر صارت المعبودة الرسمية التي تُمثل مصر العليا، وقد أُطلق عليها (ربة الولادة)، وقد مُثلت في شكل أنثى النسر[٨] حامية الملك، كما مُثلت في . أحياناً

---

(١) ينظر الشكل رقم (٣١)٠
(٢) ينظر الشكل رقم (٣٢)٠
(٣) Barbara S Lesko ,The Great Goddesses . p .175 .
(٤) ينظر الشكل رقم (٣٣)٠
(٥) نهى محمود نايل ،الدلالات الرمزية والقيم الفنية ،ص٧٣ ٠
(٦) ينظر الشكل رقم (٣٤)٠
(٧) روبرت ارموار،آلهة مصر ،ص٤٢ ٠
(٨) ينظر الشكل رقم (٣٥)٠

. على شكل امرأةٍ تُمثل جلد العقاب على رأسها كما ظهرت في النقوشِ الجداريةِ وهي تضع فوق رأسها التاج الأبيض أو تاج مصر العليا[١].

**٦. الإلهة موت (Mut):**

وتُعد إلهة السماء، والأم العظيمة المقدسة، وقد ازدهرت عبادتها في عصر الأسرة الثامنة عشر (١٥٢٩ـ ١٢٩٢) ق.م وتركزت في طيبة عندما أصبحت رفيقةً للإله (أمون) وزوجةً له، وأماً للإله (خنسو)، وكما ورد في النقوش الجدارية، فإن الاسم الهيروغليفي للربة (موت) قد تضمن شكل النسر، وقد مثلت بهيأةٍ امرأةٍ تضع فوق رأسها التاج المزدوج، كما مُثلت أيضاً على هيأة امرأةٍ ترتدي جلد النسر، وأحيانا ذات رأس لبوةٍ، وكذلك صُورت بامتلاك ثلاثة رؤوسٍ وقضيب ذكرٍ[٢]، وكان لها أجنحة نسرٍ[٣]، ويُمكن أن تكون هذه الصورة من رموز المطلق الإلهي، أي: جُمع لها السلطات كلها: الحياة والخصب والعالم الآخر.

**٧. الإلهة عنقت (Anuket) ورمزها:**

وهي إحدى إلهات منطقة الشلال الأول في أسوان، وكانت زوجة المعبود (خنم)، وتُظهرها الرسوم عموماً بشكل امرأةٍ تُمسك بعودٍ من البردي الطويل وتضع على رأسها تاجاً من الريش[٤]، وكان لها معبدٌ في جزيرة الساحل عند الشلال، وكانت تُعبد . خاصةً . جنوب النوبة[٥].

**٨. الإلهة باست (Bastet) ورمزها:**

إنَّ معاملة القطط بتقديسٍ وتبجيلٍ في مصر الفرعونية يرجع أساسا إلى تجسيدهم للإلهة (باست) التي تُمثل في معتقداتهم القوى الخيرة المنبعثة من أشعة الشمس النافعة للبشر

---

(١) نهى محمود نايل ،الدلالات الرمزية والقيم الفنية ،ص٨٣ .
(٢) ينظر الشكل رقم (٣٦).
(٣) Barbara S Lesko ,The Great Goddesses . p .147-149 .
(٤) ينظر الشكل رقم (٣٧).
(٥) نهى محمود نايل ،الدلالات الرمزية والقيم الفنية ،ص٩٦ .

والحيوانات والمزروعات وكل كائنٍ حيٍّ على الأرض، وهناك مقبرة القطط المحنطة التي رُمز لها بامرأةٍ ذات رأس قطةٍ[١]، وهي تُمثل حرارة الشمس المفيدة[٢].

**ب. رموز وصور آلهة الخصب الذكرية:**

**١. الإله حورس (Horous):**

عُبد هذا الإله منذ عصور ما قبل التاريخ، وقد أُعطي شكل صورة الصقر كاملةً[٣]، ووُصف بأنه إله الإقليم الشمالي، ومُثل - أيضاً- بهيأة آدميٍّ برأس صقرٍ مرتدياً قرص الشمس والتاج المزدوج، وهو إله أفق الشمس، وعندما انتشرت شعائر (أوزير) عُد ابناً لـ(أوزير، وإيزيس)، وصُور بأشكالٍ عدةٍ؛ منها البرونز، والطمى (الصلصال) وعلى شكل طفل الشمس على زهرة اللوتس، أو يحمل إناءً كونه من آلهة الخصوبة[٤].

**٢. الإله آمون (Amon):**

وهو واحدٌ من الآلهة الرئيسة في حضارة وادي النيل، وذُكر في نصوص الأهرام، وصار المعبود الرسمي للدولة زمن الأسرة الحادية عشر، وقد مُثل المعبود (آمون) في صورة إنسانٍ يجلس على كرسي وعلى رأسه تاجٌ يتكون من ريشتين يتدلى منهما شريطٌ طويلٌ يتدلى للأسفل[٥]، كما مُثل بصورة كبشٍ، وصورة إنسانٍ في رأس كبشٍ، أو وزةٍ[٦].

**٣. الإله جب (Geb):**

وهو إله الأرض، ويُطلق عليه (رب الأرباب) أو (رب الآلهة)، وقد مُثل بهيأة آدميٍّ يضع فوق رأسه تاج مصر السفلى[٧]، ورمز له - أيضاً - بالإوزة، ولذلك صُور - أحياناً - وفوق

---

(١) ينظر الشكل رقم (٣٨).
(٢) جميس بيكي ،الآثار المصرية ، ص٥٦-٥٧ .
(٣) ينظر الشكل رقم (٣٩).
(٤) مانفرد لوركر ،معجم المعبودات ،ص١٢٠-١٢٢ ؛ينظر :فاطمة مدكور و احمد عبد الفتاح ،قراءة فنية لآثار مصرية،ط١،(القاهرة ،١٩٨٤ )،ص٦٩-٧٠ .
(٥) ينظر الشكل رقم (٤٠).
(٦) نهى محمود نايل ،الدلالات الرمزية والقيم الفنية ،ص٧٦ .
(٧) ينظر الشكل رقم (٤١).

رأسه إوزةٌ[١]، وقد سُميت الأرض (بيت جب)، لأنه ارتبط بالحياة على الأرض وبالموت تحتها، ومُثل (جب) بتمثالٍ مُذهبٍ يُوضع في المقبرة لحماية الملك الصبي[٢].

**٤. الإله رع (Ra):**

وهو إله الشمس، ووظيفته السفر يومياً عبر السماوات لكي يمد أنحاء الأرض كافة بالضوء والحرارة، ويكون هذا السفر بقاربٍ، وقد مُثل الإله (رع) بأشكالٍ وهيآتٍ ِعدةٍ، منها هيأة قرص الشمس قرني الجناحين، للتعبير عن قدرته على التحليق في السماء، ومنها هيأة جسم آدميٍّ برأس صقرٍ متوجٍ بقرص الشمس وقد طوقته حية[٣]ُ للتعبير عن قوته وقدرته على نثر النيران على أعدائه[٤].

**٥. الإله خنوم (Khnum):**

عُبد هذا الإله منذ بدايات الأسرات، ويرتبط بنهر النيل لأنه إله الشلال، وقد كان منذ أقدم العصور إلهاً محلياً في منطقة الشلال الأول، واسمه مشتقٌ من الفعل (خَنَمَ) أي: خَلَقَ، وكان رمزه الكبش الإفريقي[٥]، ولذلك يُصور بهيأة رجلٍ له رأس الكبش (وقد اختير الكبش لأنه رمزٌ للإخصاب لقدرته المميزة في الإخصاب)، ويُرمز له بهيأة كبشٍ جالسٍ وأمامه دولاب الفخار[٦] الذي يضع به من شاء من الآلهة والناس ليتم خلقهم ومعه

الإلهة (حتحور)[٧] تقدم له رمز الحياة[٨].

**٦. الإله شو (Shu):**

(١) ينظر الشكل رقم (٤٢).
(٢) روبرت ارموار ،آلهة مصر ،ص٢٧-٢٨ .
(٣) ينظر الشكل رقم (٤٣).
(٤) نهى محمود نايل ،الدلالات الرمزية والقيم الفنية ،ص٧٩-٨١؛ينظر أيضاً :روبرت ارموار ،آلهة مصر ،ص٢٠-٢٣ .
(٥) ينظر الشكل رقم (٤٤).
(٦) ينظر الشكل رقم (٤٥).
(٧) خزعل الماجدي ،الدين المصري ،ص٧٩ .
(٨)رمز الحياة :علامة عنخ وهي من الرموز الدينية في الفن المصري تظهر يحملها الإله وعلى جدران المعابد كإشارة للمياه في طقوس التطهير ينظر:روبرت ارموار ،آلهة مصر ،ص٢٠ .

وهو الذي عُد إلهاً للهواء، وجسد القوى الضرورية للحياة[١]، وقد مُثل برجل على رأسه ريشةٌ[٢].

**٧. الإله حرشف (Harsaphes) ورمزه:**

يُعد هذا الإله في الديانة المصرية القديمة رب إخصابٍ، وصُور بصورة كبشٍ، وقد ظهر في مدينةِ هيركليوبوليس (Herakleopolis) صورةً لرب الشمس، أما في الأسرتين (التاسعة والعاشرة) فقد جُعل نداً للإله (رع)، وحصل على قرص الشمس يعلو رأسه، ومن الممكن أن يكون (حرشف) قد كان في مقدمة الأرباب . فضلاً عن وظيفته الأصلية وكونه رب إخصابٍ . وأيضاً هناك صلةٌ محتملةٌ بين لقبه (مولى الرعب) ورأس الكبش الذي كان رمزاً للعبادة والخشية المبجلة، وكان الإله (حرشف) يضع على رأسه تاجاً مضافاً إليه قرص الشمس، وفي بداية التاج (في أعلى قرني الكبش) تقف الكوبرا[٣] التي هي رمز الحماية[٤].

**٨. الإله مين (Min):**

وهو إله الزراعة، وعُد إلهاً للقوافل، ورباً للطرق الصحراوية، وهو من آلهة الخصوبة، وقد مُثل هذا الإله واقفاً وقضيبه منتصبٌ، وعلى رأسه ترتفع ريشتان عاليتان رافعاً ذراعه الأيمن وقابضاً على السوط الثلاثي الفروع[٥]، وارتبط الكثير من الآلهة الرئيسة بالإله (مين) حتى أُشير إليهم بأنهم يملكون قوته الجنسية، ومنهم (بتاح)، و(آمون رع)، و(حورس)، وارتباط (حورس) به يعني أن الملوك الذين يتخذون شخصية (حورس) يكتسبون قوة (مين) الجنسية[٦].

**٩. الإله بتاح (ptah):**

وكان يُمثل بشكل إنسانٍ برأسٍ عاريةٍ لاتحمل أية إشارةٍ خاصةٍ، وواضعاً يديه فوق صدره، وممسكاً بصولجان[٧]، وقد اعتقد المصريون أنه خالق الفنانين وصانع الفخاريين، وعلى

---

(١) مانفرد لوركر،معجم المعبودات ،ص١٦٦ .
(٢) ينظر الشكل رقم (٤٦).
(٣) ينظر الشكل رقم (٤٧).
(٤) نهى محمود نايل ،الدلالات الرمزية والقيم الفنية ،ص٩٤-٩٦ .
(٥) ينظر الشكل رقم (٤٨).
(٦) روبرت ارموار ،آلهة مصر ،١٣٥ -١٣٧ .
(٧) ينظر الشكل رقم (٤٩).

ذلك فهو المثل الأعلى للفنانين، وحامي حماهم (سيدهم)، فقد كان في اعتقادهم أنه هو خالق الدنيا، وقد تطور هذا الاعتقاد لاحقاً، حتى رأوا فيه ذلك المحيط (نون) الذي منه خرجت جميع المخلوقات، وهو أب جميع الإلهة، وقد تشابهت طبيعة (بتاح) مع (أوزير) وأصبح في عصر المملكة الحديثة يسمى (بتاح سوكر أوزير)، ويُمثل على هيأة تمثالٍ واقفٍ في صورة مومياء مثل (أوزير) وعلى رأسه ريشتان طويلتان[١].

**١٠. الإله بس (Bes):**

وهو إله الأفراح والسرور والحب[٢]، ومُثل بشكل قزمٍ ذي أذرعٍ طويلةٍ، وساقاه قصيرتان وكانتا مقوستين في تكوينٍ جسديٍّ عامٍّ يُشبه تكوين جسد القرد، هذا إلى جانب الذيل، والأنف العريض الأفطس، والعينين الكبيرتين نصف المغلقتين، والحواجب الكثة الضخمة، واللحية الكبيرة، والأذنين البارزتين، ويظهر من فمه لسانٌ طويلٌ ممتدٌ إلى الخارج[٣]، وقد زين هذا الشكل جوانب الأعمدة المربعة في بيوت الولادة، ويرجع ذلك إلى اعتقاد سكان وادي النيل بان هذا الإله يُساعد المرأة في الوضع، ويحمي طفلها الوليد، لذلك اكتسب أهميةً في عقائد الخصب[٤].

**١١. العجل (إبيس) ورمزه الثور[٥]:**

وكانت تغذية هذا العجل تكون في المعبد، وكان يُطلق ليمرح في صحن المعبد وسط دهشة العابدين، ومثل رمزاً من رموز الخصب[٦].

**١٢. الإله أوزير (osiris):**

وهو رمز الخصوبة، ومجدد الحياة، وإله الموتى، وظهر (أوزير) مرتبطاً بكبش (جدو)، وهذا دليلٌ على ارتباطه بالخصب، فالنصوص الدينية عدت مدينة (جدو) المكان الذي دُفن فيه

---

(١) مانفرد لوركر ،معجم المعبودات ،ص٧٤-٧٥ .
(٢) سليمة اكرم ،حيوانات محبوبة ،ص١٥ .
(٣) ينظر الشكل رقم (٥٠).
(٤) نهى محمود نايل ،الدلالات الرمزية والقيم الفنية ،ص١٠٣ .
(٥) ينظر الشكل رقم (٥١).
(٦) خزعل ألماجدي ،الدين المصري،ص٥٧ .

العمود الفقري بعد تقطيع جسده . على ما ورد في الأسطورة .[١]، وقد صُور كبش (جدو) بهيأة مومياء أوزيرية تحمل قرنيه للتوحيد بين الروح الكاملة بالكبش وبين روح (أوزير) الحية[٢]، وقد صُور الإله (أوزير) بصورة آدميةٍ وهو يضع التاج الأبيض على رأسه، ويحمل في يديه شارات الملوكية[٣]، وقد صور . أيضاً . مع (إيزيس) و(حورس)[٤]، ولقد ورث (أوزير) حكم الأرض من أبيه (جب) وحمل اسم (ون نفر) ومعناه: الكائن الأبدي الطيب، أو الكائن الكامل [٥].

ومما تقدم من رموزٍ وصور إلهة الخصب في حضارة وادي النيل يتبين كثرة إلهة الخصب، وتعدد أشكالها لكنها ترتبط . كما ذكرنا . بالشمس والنيل والخضرة، والمبدأ الأوزيري كان يتميز من آلهة الخصب والصور الأخرى هو ارتباط الخصب بالخلود الذي ظهر في عبادة (رع)، لكن الخلود كان خاصاً بالفرعون، أما في عبادة (أوزير) فإن الخلود أصبح لايٍّ من الشعب الذي يعمل صالحاً فيحصل على الخلود مع (أوزير)، وهذه نقلةٌ عقائديةٌ في الفكر الإنساني تتمثل بالمساواة في الخلود، وتجسيد فكرة الخصبِ والانبعاث والخلود الذي تمثل بالعبادة الأوزيرية التي اندمجت مع الكثير من المعتقدات في وادي النيل وتطورت إلى أن وصلت إلى فكرة الأسطورةِ الأوزيرية، وكانت مكانة (حورس) تتمثل بالفرعون الحي، و(أوزير) بالفرعون عندما ينتقل إلى الخلود ويصير حاكم الأموات، ويقضي بالعدالة والميزان في محكمة (أوزير)، فكانت هذه العبادة ثمرة اندماج معتقداتٍ وتلاقح أفكارٍ حتى وصلت إلى مرحلة ربط الخصب بالخلود.

---

(١) ينظر :المبحث الثاني ،من الفصل الثاني ،من الرسالة ٠
(٢) ايناس بهى الدين عبد النعيم ،المعبودات المصرية القديمة،ص٥٠ ٠
(٣) نهى محمود نايل ،الدلالات الرمزية والقيم الفنية ،ص٨٦ ٠
(٤) ينظر الشكل رقم (٥٢)٠
(٥) مانفرد لوركر ،معجم المعبودات ،ص٦٣ ٠

**مقارنة عقائد الخصب للحضارتين في ضوء الشواهد المادية:**

عندما نتوجه من بلاد الرافدين نحو وادي النيل نغادر حضارةً اندثرت آثارها واستحالت مدنها إلى ركامٍ، ونجد حضارةً مازالت آثارها الضخمة باقيةً أهراماً عظيمةً من الحجر تُعلن سطوة الإنسان في قهره لقوى المادة، وليس هذا بغريبٍ فإن ذلك يتفق مع العقليتين المتباينتين لهما، فالعقلية المصرية تثق ببقاء الإنسان وخلوده، وبمعناه الأبعد، أما العقلية الرافدينية فإنها لا تثق بذلك، فلو عاد العراقي القديم إلى الحياة لما اضطرب كثيراً لمرأى آثاره وهي حطامٌ، لأنه كان دائماً يعرف معرفةً عميقةً أن مركز الوجود لديه بعيدٌ عن الإنسان والكون، وأن أيامه معدوداتٌ في حين أن المصري القديم كان يُعطي الإنسان ومنجزاته الملموسة معنىً جوهرياً يفوق حياته القصيرة(١).

إن البيئة والمتغيرات السياسية كانتا السبب في هذا التباين في العقلية بين الحضارتين الذي انعكس بتباين الشواهد المادية التي تركتاها، وبما أن الشواهد المادية والنتاج الفني للحضارتين ارتبطا ارتباطاً وثيقاً بالمعتقدات الدينية(٢) التي منها عقائد الخصب . موضوع البحث . يُمكن تتبع عقيدة الخصب في الحضارتين في ضوء الشواهد المادية من عصور ما قبل الكتابة واستمرار تطورها في العصور التاريخية، ويُمكن تقسيم هذه الشواهد المادية على النحو الآتي:

**أولاً: النحت المجسم (التماثيل)**

لقد ظهرت في الكثير من مناطق الشرق الأدنى القديم تماثيل أنثويةٌ تُمثل الخصب، ومن أولى بلدان الشرق الأدنى التي ظهرت فيها هذه التماثيل هي بلاد الرافدين(٣)، فقد سبقت مصر في ذلك، وكان أول ظهورها في الشرق الأدنى في بلاد الرافدين التي تميزت في عصور ما قبل التاريخ، وهذه التماثيل ظهرت بأعدادٍ كبيرةٍ وتدرجت بأحجامها ومواضيعها عبر المراحل الحضارية من الأشكال البسيطة إلى الأشكال المعقدة، وكذلك ظهرت رموزٌ للآلهة الذكرية نظيراً لهذه التماثيل التي تطورت مع المراحل الحضارية وانتقال مركز السكان من الشمال إلى الوسط والجنوب وصولا إلى العصور التاريخية، أما في وادي النيل فإن هذه التماثيل اتفقت في موضوع

(١) هنري فرانكفورت وآخرون ،ما قبل الفلسفة ،ص١٤٥ ٠
(٢) سيتن لويد ،فن الشرق الأدنى القديم ،ص١٨ ٠
(٣)جين بوترو وآخرون ،الشرق الأدنى والحضارات المبكرة ،ص٤٥ ٠

الخصوبة مع التماثيل الرافدينية، واختلفت في معاثرها التي كانت . غالباً . المقابر، وقد جسدت فكرة الخصب والعلاقات الجنسية، ومن الممكن أن يكون الصراع مع البيئة في بلاد الرافدين والتغيرات المناخية الذي تنتج عنه مع تغير مراكز الاستيطان كان السبب في تطور فكرة هذه الدمى إلى عقيدة الخصب والانبعاث والتجديد على غير وادي النيل الذي تطورت فيه الشعائر الجنائزية وارتبطت بفكرة الخلود والخصب بعد تطور عبادة الإله (أوزير)[١]، فالفكر الرافديني تبلور من خلال تداخل عناصره مع عناصر البيئة الطبيعية المحيطة، لذا تنوعت حركات التماثيل بنوعٍ من التمثل والظهور الشكلي، إذ تجسدت أفكار الخصب والنماء والتجديد في مشاهد الجلوس والوقوف ومشاهد التعري التي مثلما تتجدد في الطبيعة الممارسات والطقوس التي تجري في مواسم مختلفةٍ والهدف الأول هو ظهور عملية استمرار خصب الأرض من خلال التهيئة وتناسل المواشي، وكانت هذه أحد العوامل المهمة التي أظهرت طقوساً وفعالياتٍ مرتبطةٍ بالخصب والتناسل، لذا نجد رموز الخصب ومظاهره ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالآلهة، وما نراه في المنجز الفني هو أحد إيصالات الحضارة الرافدينية القديمة لآلهة الخصب والتماثيل التي قدمت وعملت ضمن منظومةٍ بلاغيةٍ لأفكار الخصب والتناسل، وتحديداً التناسل البشري المرتبط بآلية التشكيل الفني والظاهر الجسماني المرتبط . أيضاً . بآلية التشكيل، وهنا تبدو عملية انتقال الأنظمة معقدةً نوعاً ما، لأن المدلول الرمزي مؤلف كذلك من رموزٍ قدسيةٍ ترتبط بمفاهيم الشعائر الذي يعمل في دائرة المعتقد الديني[٢].

إن ما يُميز الدمى التي عُثر عليها في بلاد الرافدين هو التدرج الفكري بتطورها على غير ما ظهر في وادي النيل، أما الحيوانات واستخداماتها فهي دلالاتٌ على القوة والخصب الذكري كالثور والماعز فإنها ظهرت في كلا الحضارتين مع أنها في وادي النيل كانت أكثر ظهوراً[٣]، واستمر تجسيد هذه الحيوانات رموزاً للخصب كما في تجسيد الماعز وشجرة العنب في الحضارة الرافدينية[٤]، وفي ظهور هذه الحيوانات رموزاً للكثير من الآلهة في مصر[٥].

---

(١) ينظر :المبحث الثاني ،من الفصل الثالث ،من الرسالة .
(٢) محمد العبيدي ، إلام آلهة الخصب والبركة والتكاثر ،الشبكة المعلوماتية ،http://www.iraqfineart.com/jethoralfan14.htm
(٣) ينظر ،المبحث الثاني من الفصل الثالث من الرسالة .
(٤) ينظر :المبحث الأول ،من الفصل الثالث ،من الرسالة .
(٥) ينظر:المبحث الثاني ،من الفصل الثالث ،من الرسالة .

أما في العصور التاريخية في بلاد الرافدين فقد تطور تجسيد تماثيل الآلهة واختلفت عن البشر بصفةٍ منفردةٍ ومهمةٍ وهي الخلود، لذا مُثلت الآلهة في المشاهد الفنية بشكلها المادي لأجل تميزها عن البشر، وقد صُورت بصورٍ تختلف عن البشر حيث بالغ النحاتون في إظهار حجم العينين والأذنين منها للدلالة على بعد النظر والحكمة، ووُضعت التيجان المقرنة على رؤوسها والقلنسوة ذات الطيات الخاصة، لقد مُثلت بشكلٍ عامٍّ بحجمٍ أكبر من حجم التماثيل الأخرى الخاصة بالحكام والملوك(١)، وتطورت رموز الإلهة (إينانا) من المرأة العارية إلى النجمة الثُمانية، وهذا يدل على تطورٍ فكريٍّ في مدلولات آلهة الخصب من التجسيد المحسوس للخصب إلى الفكر المجرد، وأثر الخصب في استمرار الحياة، أي: إن عقيدة الخصب في وادي الرافدين كانت مرتكزاً أساسياً من مرتكزات الفكر الرافديني، وكانت شعوبٌ عدةٌ في العالم القديم . ومنها شعوب الشرق الأدنى . جسدت التماثيل الأنثوية ووضعت آلهةً للخصب، لكن أفكار الخصب وطقوسه المنظمة ظهرت في بلاد الرافدين منذ الألف الرابع قبل أي مكانٍ آخر كما في طقوس الجنس المقدس(٢)، أما في وادي النيل ففي العصور التاريخية تطور تجسيد التماثيل ونُحتت تماثيل كبيرةٌ من مواد أكثر صلابةً وأطول عمراً كحجر الديوريت والبازلت، وتبدو من هذه التماثيل قدرة الفنان المصري على استخدام الملامح المعبرة مثل تمثال الملك (رع حتب) وزوجته (نفرت) سنة (٢٦٢٠) ق.م(٣) الذي جسد فيه الفنان كل قدراته على التعبير بحيويةٍ في تشكيل ملامح الوجه وتقسيمات الجسم، فأظهر قدرة صاحب التمثال، وأظهر العيون اللامعة، وهذا ناتجٌ عن عبادة الملوك في مصر(٤).

وفيما يخص تماثيل المعابد فإنها كانت في عصر الدولة القديمة رديئةً، وذات أشكالٍ بشريةٍ أو حيوانيةٍ مُيزت بتيجانٍ من حزم القش وقرون الخراف والأبقار وريش النعام، وكانت الآلهة تحمل عصا عاديةٍ(٥).

وبلغ النحت ذروته في السلالة الثانية عشرة، فقد صور فراعنة المملكة القديمة مخلوقاتٍ هادئةً عديمة الإحساس، وشخوصاً محفورةً جيداً(٦)، واستمر إلى السلالة التاسعة عشرة، إذ أصبحت التماثيل الضخمة الخاصة بالملوك تُنصب أمام جدران صرح المعبد أو داخله لغرض حراسة المعبد الذي قاموا ببنائه، وانتشرت في أجزاء المعبد الأخرى تماثيل أخرى للملك أصغر

---

(١) إسراء عبد السلام مصطفى موسى العساف ،فن النحت،ص٤٠ ٠
(٢) ينظر :المبحث الأول ،من الفصل الثالث ،من الرسالة ٠
(٣) ينظر الشكل رقم (٥٣) ٠
(٤) سيريل الدريد ،الحضارة المصرية ،ص١٨٠ ٠
(٥) تقي الدباغ ،الفكر الديني القديم ، ص٨٢ ٠
(٦) جين بوترو وآخرون ،الشرق الأدنى الحضارات ، ص٣٨٢ ٠

حجماً تُمثله وهو يصلي، أو يُقدم القرابين للآلهة، وفضلاً عن ذلك كان المعبد يحوي تماثيل الآلهة الأُخرى[١].

وقد حازت الكثير من الصور والتماثيل الموجودة في المعابد على القدسية، لأن المصريين القدماء اعتقدوا بأن الإله سوف يسكنها، وإذا وصلت الروح المقدسة إلى جسد الإله فإن الأمور في البلاد سوف تسير بشكلٍ طيبٍ، أما إذا ما أُهملت عبادته فإن الإله قد يهجر صورته فتحل الكوارث بالشعب . صغاراً وكباراً .[٢].

**ثانياً: النحت البارز**

وتجسدت عقيدة تأليه الملوك وارتباطها بالخصب في النحت البارز على جدران المعابد في وادي النيل، وهي تخالف الفكر الرافديني بالخصب، وكان على جدران المعابد في وادي النيل من الشواهد المادية ما يشير إلى تأليه الملوك وارتباطهم بعقائد الخصب فضلاً عن تمثيل الملك الحاكم على الجدران الخارجية للمعابد ابتداء من الأسرة التاسعة عشرة وهو ما لا يُرسم في الداخل، وقد رسمت مشاهد حربية على الجدران الخارجية أيضاً لأن المصريين القدماء يعدون الموضع الداخلي للمعبد مكاناً أقدس من أن تُرسم فيه صورٌ كصور الحروب . مثلاً .، واحتوت هذه الجدران . أيضاً . على نقوشٍ تاريخيةٍ، مثل: مناظر البعثة التي أرسلتها الملكة (حتشبسوت) إلى بلاد (بونت) على معبد الدير البحري[٣].

ويقتصر الموضع الداخلي للمعابد على النقوش المتصلة بالعبادة، وتلك التي تُصور ما يحدث يومياً في قاعات المعبد[٤]، وإذا ما ظهرت صورٌ للملك في داخل المعبد فإن ذلك عائدٌ إلى علاقاته بالآلهة، فهو إلهٌ وابن إلهٍ؛ لذا فإنه جديرٌ بالاتصال بالآلهة وبالبشر الذين يحكمُهم.

وهنالك الكثير من تلك المناظر المرتبطة بالطقوس الدينية، ومثال ذلك: صورة الإلهين (حورس) و(تحوت) وهما يصبان الماء المقدس على الملك الذي يسير بعدها إلى الحضرة الإلهية مطهراً من كل غبار الحياة اليومية، أو نراه في قدس الأقداس يُؤدي كل أنواع الطقوس

(١) تقي الدباغ ،الفكر الديني القديم ، ص٨٣ .
(٢) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني،ص٩١ .
(٣) المصدر نفسه،ص٨٩-٩٠ .
(٤) تقي الدباغ ،الفكر الديني القديم ، ص٨٣ .

الدينية أمام المركب المقدس، وهو أمرٌ ثابتٌ لا يحصل فيه تغيرٌ ؛ لذا فإن هذه المناظر تتكرر في العادة[١].

ومن بين المواضيع المكررة . أيضاً . صورة الملك الذي يرتدي رداءه التقليدي، ويقف أمام آلهة المعبد، والإله (الشمس) الذي بُني له المعبد ويُقدم له هذا الإله رمز الحياة، وتباركه الآلهة الأخرى[٢].

ومن قراءة الرموز الهيروغليفية وإنعام النظر في الصور والنقوش البارزة على الجدران في المعابد الرئيسة يتضح تخليد ذكرى الفرعون الحاكم، وما يؤكد ذلك هو تغيير تسمية المعابد من أسماء الآلهة إلى أسماء الملوك الحكام، ومثال ذلك: معبد (سبك) في (شدت) عاصمة الفيوم في عصر (امنحوتب الثالث)، ومعبد (رمسيس الثالث)[٣].

ولم تكن عقائد الخصب في الحضارة المصرية تقتصر على الفرعون، بل إن هناك آلهةً مثلت الخصب ترتبط بالظواهر الطبيعية كإله النيل (حعبي) والإله (خنوم) والإله (مين)، لكن الفرعون ظل مرتبطاً بالخصب وتجديد الحياة في العقائد الشمسية كابنٍ للإله (رع) واستمر بأخذ هذه الوظيفة في العقائد الأوزيرية بتجسيده لـ(حورس) في حياته و(أوزير) في العالم الآخر كإلهٍ للخلود والانبعاث والتجديد.

وهذه الشواهد الفنية على عبادة الفرعون تُبين أوجه الاختلاف الرئيسة بين حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل في الخصب، فمفاهيم الخصب في وادي الرافدين كانت أكثر ارتباطاً بالسكان منذ عصورٍ مبكرةٍ، وقد عبرت عنها الشواهد المادية، وفي العصر الشبيه بالكتابي تطور الفن الرافديني للتعبير عن عقيدته الدينية، ويتجلى هذا التطور في (إناء الوركاء النذري) الذي يحمل بمعانيه فكراً فلسفياً لفكرة الخصب وإلهته (إينانا) والتقرب إليها بالنذور والهدايا، وتظهر رمزية حزمتي القصب رمزاً للإلهة (إينانا) وفكرة الزواج المقدس وتجدد الحياة للنباتات والحيوانات، وهذا ما يتأكد في جنوب بلاد الرافدين في عصر العبيد الذي شهد النقلة الحاسمة نحو حضارة المدينة التي حافظت بتلك الفعاليات على طابعها السياسي[٤]، فالمحافظة على هذا الطابع تبقي المؤسسة الدينية ضمن حدودٍ مرسومةٍ تُقدم الخدمات المطلوبة، فالإنسان في بلاد

---

(١) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني،ص٩٠ .

(٢) طه باقر ،مقدمة في تاريخ ،ج٢ ، ص١١٨ .

(٣)خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني،ص٩١

(٤) محمد جاسم حسن العبيدي ،الإشكال النحتية على سطوح الآنية الفخارية ،ص٨٨ .

الرافدين كان ينطلق في إدراكه للأشياء بتصور هذه الإلهة في علاقاتها بعضها ببعضٍ في شكل سلطةٍ سياسيةٍ[١]، ومساواة الأفراد أمام قوانين الآلهة والناس يدل، على نظامٍ معتدلٍ للكرامة الشخصية والأمان، وهذا ما يُشجع على الوعي بالملكية الفردية، ففي مصر يكون الفرعون إلهاً وسيداً مطلقا على كل ما يراه، فإن الفرد ليس بوسعه عملياً أن يُعلن أي شيءٍ على أنه ملكه الخاص.

أما في بلاد الرافدين فكان الأمر طبيعياً أن يدفع الحاكم السعر الجاري عن أي شيءٍ يرغب في حيازته، ويُمكن الحكم على مدى جودة عمل نظام بلاد الرافدين بالجاذبية العظيمة التي تستهوي الأعمار المختلفة والشعوب المتنوعة، ويُعد هذا النظام أساس الحياة المتحضرة وجوهرها، ولما كان فعالاً فإنه كان مؤثراً في التقدم العام في ميادين السعي البشري غير المتصل مكانة مباشرة بالحكومة والمجتمع، ولاسيما في الأدب والعلوم الطبيعية وحب الحياة والتمسك بها[٢].

إن عبادة (إينانا) إلهةً للعلاقات الجنسية والخصب والتجديد كانت عاملاً أساسياً في تطور البنية الذهنية في بلاد الرافدين، وإن الارتباط بالخصب بشكل عقيدة دينيةٍ أدى إلى تطور في الفكر الإنساني، وهذا ما دلت عليه رموز الآلهة وتغيرها، وهذه الرمزية قد تطورت إلى مفاهيم لغويةٍ وأنتجت للإنسان أول لغةٍ مكتوبةٍ في التاريخ[٣]، ومع تسليمنا بأن الحضارة ومظاهرها عرضةٌ للنقل من مكانٍ إلى آخر، ولا يعيب أي حضارةٍ أن تتأثر بغيرها أو تأخذ وتعطي، فالمؤثرات الحضارية غالباً ما تنتقل من مكانٍ إلى آخر، فهي ملكٌ للإنسانية جمعاء، وفي الوقت الذي وصلت فيه الحضارة السومرية إلى قمة تقدمها في الميادين المختلفة منذ الألف الرابع قبل الميلاد في دور جمدت نصر حدث اتصالٌ حضاريٌّ كما دلت عليه الآثار المادية مع حضارة وادي النيل التي اقتبست عناصر فنيةٍ من بلاد الرافدين ولاسيما في مجال الرسم والنحت والنقش، ومن الأمثلة على هذا الاقتباس: الرسوم المعمولة بالنحت البارز على وجهي مقبض من العاج

(١) عبد الرضا الطعان ،الفكر السياسي في العراق القديم ،(بغداد ،د ت ) ،ص١١ ٠
(٢) اي اي سبيزر ،حضارة وادي الرافدين ،ص٢٧ ٠
(٣)يوسف الحوراني ،البنية الذهنية ،ص٤٩ ٠

لسكينٍ من حجر الصوان عُثر عليها في (جبل العرق) [١] في مصر العليا (الصعيد) يعود تاريخها إلى القرون الأخيرة من الألف الرابع قبل الميلاد[٢]، ويُشاهد على الوجه الأول من مقبض السكين رجلٌ يقف بين أسدين وهو يدفعهما جانباً، وتظهر أمامه أنواعٌ مختلفةٌ من الحيوانات[٣]، فالبطل بين الأسدين تقليدٌ في كل عام يظهر وملابسه ولحيته وشعره الملفوف حول رأسه وحزامه المسدول في الوسط لرسم قائدٍ وملكٍ يتكرر كثيراً على أختامٍ عدةٍ من العصر الشبيه بالكتابي في بلاد الرافدين[٤]، وهي تُشبه الرسوم المنحوتة على المسلة الحجرية في مدينة (الوركاء) المعروفة بمسلة صيد الأسود، ونجد مصادفة في الفن المصري فضلاً عن أن الأساليب في الزي واللباس ذات أصل سومريٍّ كذلك رسوم الكلاب التي صُورت على مقبض السكين تُشير إلى أن المصريين قد تأثروا بهذه الرسوم من بلاد الرافدين، فهذه الكلاب لا تُشبه أبداً الكلاب التي استخدمها المصريون القدماء في الصيد، بل إنها تُشبه إلى حدٍ كبيرٍ تلك التي وُجدت على نقوشٍ من بلاد الرافدين[٥]، أما الوجهُ الآخر للمقبض فقد حُفرت عليه مناظر تُمثل معركةً مائيةً حيث نرى مجموعةً من المراكب قد حُفرت أسفل مجموعة من الرجال التي دارت بينهم الحرب[٦]، ويتكرر رسم المراكب على سطح آنيتين من الفخار عُثر عليهما في مقبرة (هيراكيونبوليس)، وهذه المراكب تختلف تماماً عن تلك القوارب التي صنعت من البردي واستخدمت في وادي النيل، فلهذه القوارب مقدماتٌ ومؤخراتٌ، ولم تعرف مصر مثل هذه الأنواع من القوارب[٧]، ولاشك في أن مثل هذه القوارب منقولةٌ عن قوارب من بلاد الرافدين التي عرفت أنواعاً شبيهةً بها وُجدت منقوشةً على عدد من الأواني وفي رسومات الأختام الاسطوانية في عصر الوركاء في أواخر الإلف الرابع قبل الميلاد[٨]، أما رسوم الرجال العراة الذين هم في حالة اقتتالٍ والذين يظهرون فوق هذه القوارب فإنها مستمدةٌ من المشهد السومري المعروض على

---

(١) يقع جبل العرق قرب جبل حمادي بصعيد مصر وكان ذو أهمية بالبحث الأثري ويقع على طريق القوافل التجارية في وادي الحمامات الذي يربط البحر الأحمر والأقاليم الواقعة عند ثنية النيل في قنا ينظر :محمد صبحي عبد الله ،العلاقات العراقية المصرية ،ص٧٩ .

(٢) جين بوترو ،الشرق الأدنى ،ص٢٧١-٢٧٣ .

(٣) ينظر الشكل رقم (٥٤).

(٤) محمد صبحي عبد الله ،العلاقات العراقية المصرية ،ص٦١ .

(٥) المصدر نفسه ،ص٦١-٦٢ .

(٦) محمود محمد رزق ،دراسة مقارنة حول المؤثرات المتبادلة بين مصر والعراق منذ عصور ما قبل الأسرات حتى مطلع الدولة القديمة من خلال الأدلة الأثرية ،الشبكة المعلوماتية ، http://knol.google.com/k.

(٧) هاري ساكز ،عظمة بابل ،ص٤٨ .

(٨) جين بوترو وآخرون ،الشرق الأدنى ،ص٧٣.

الإناء النذري من مدينةِ الوركاء[١]، وبما أن (إناء الوركاء النذري) كان من مدلولاته رسومٌ تدل على الزواج المقدس، وكذلك رمز الإلهة (إينانا)، ويُمكن أن يفسر هذا رموز هذه الآلهة التي وصلت إلى وادي النيل في هذه الحقبة كما وصلت الرسوم التي ذكرناها وأثرت في الفكر المصري ورمزية الآلهة في هذا الفكر[٢].

**الأدلة المادية على انتقال الشواهد المادية من بلاد الرافدين الى وادي النيل**

وفضلاً عن العناصر الفنية للرسوم التي وُجدت على مقبض سكين جبل العرق هناك لوحةٌ فنيةٌ أخرى وُجدت في وادي النيل وعُرفت عند الآثاريين باسم لوحة (نارمر) وهي التي كانت فيها مدلولاتٌ لعقائد الخصب[٣] والصورة والرسم الموجودان عليها يكشفان عن علاقةٍ وثيقةٍ بينها وبين أسلوب الفن في بلاد الرافدين، فرسوم الأسود والنمور التي لها أعناقٌ أفعوانيةٌ والحيوانات الخرافية والأفاعي المتشابكة تتكرر وتتشابك بشكل متماثلٍ مع الرسوم والصور التي نُقشت على الأختام الاسطوانية في الحقبة الشبيهة بالكتابية الأولى والمتأخرة في بلاد الرافدين، وبما أن الأختام الاسطوانية تضمنت الكثير من مواضيع الخصب ورموز الآلهة، فهذا دليلٌ على أن هذه الأختام يُمكن أن تكون قد نقلت فكرة الخصب والانبعاث وعقيدة الإلهة (ينانا) إلى وادي النيل[٤]، ولقد كان وجودها في وادي النيل مصادفةً فلم نعثر على دليلٍ واضحٍ يُمثل تطور مثل هذه العناصر الفنية من مراحلها الابتدائية إلى المراحل المتطورة التي وُجدت عليها، وكذلك الحال للمجموعة المتباينة وآكل اللحوم الذي يُهاجم فريسةً لاتتحرك، فإنها أمثلة لتاثيراتٍ رافدينيةٍ، لأنها تشترك مع مجموعة البطل المسيطر على الأسدين والأفاعي والأسود المتشابكة والنمور ذات الرقاب الأفعوانية، وهذا الأسلوب في الفن لم تعرفه أو تستخدمه الحضارة المصرية بهذه الصورة أبداً، في حين كان لكل واحدةٍ من هذه العناصر أصولها وقصة تطورها في أواخر العصر الحجري الحديث وعصر ما قبل الأسرات[٥]، ولعل من المفيد أن نذكر ما ذهب الدكتور أنطون مورتكات من أن الحضارة الرافدينية تجلت بأوضح صورها في نشاطها التوسعي الذي اتقد

---

(١) المصدر نفسه ،ص٢٧٣ .
(٢) ينظر :المبحث الأول من الفصل الثالث من الرسالة .
(٣) ينظر :المبحث الثاني من الفصل الثالث من الرسالة.
(٤) ينظر : صبحي انور رشيد ،تاريخ الفن ،ص٧ وما بعدها .
(٥) محمد صبحي عبد الله ،العلاقات العراقية المصرية ،ص٦٢؛ينظر : احمد فخري ،دراسات في تاريخ الشرق القديم مصر والعراق –سوريا-اليمن-إيران مختارات من الوثائق التاريخية ،ط٢ ،(القاهرة ،١٩٨٠ )،ص٢٦-٢٧ .

خاصة في عصر جمدت نصر التي تركت شواهدها المادية في أرجاء الشرق الأدنى كافةً، وقد أنار إشعاعها بالأدلة المادية جارتها (عيلام)، و(آسيا الصغرى)، وبلاد الشام، ومصر، والأختام الاسطوانية التي عُثر عليها في هذه الأرجاء دليلٌ ماديٌّ على وصول التأثيرات الرافدينية إليها[١]، فالأختام الاسطوانية كانت ابتكاراً من الحضارة الرافدينية، وهي من الأدلة على الصلات الحضارية لبلاد الرافدين مع هذه البلدان[٢]، ومن هذا يُمكن أن تكون مواضيع الأختام الاسطوانية جاءت إما بطريقٍ مباشرٍ إلى وادي النيل أو بطريق غير مباشرٍ عن طريق انتشار هذه الأختام في مناطق العالم القديم مع أصلها الرافديني، فكما انتقلت هذه الأختام يُمكن أن تكون مواضيعها . أيضاً . قد انتقلت معها، كما أن النقش البارز على ألواح الكحل المصنوعة من حجر الإردواز، وامتازت هذه النقوش بأنها تُشكل حيواناتاً مختلفةً من بينها حيواناتٌ تتكون من أكثر من عنصرٍ واحدٍ، فنجد بعضها يتكون من رأس ثورٍ وعنق ثعبانٍ وجسم أسدٍ، وهذه الظاهرة الفنية المتمثلة برسوم حيواناتٍ خرافيةٍ مركبةٍ تُعد من أهم خصائص الفن الرافديني، في حين لم تظهر مثل هذه الحيوانات في الفن المصري في أي عصرٍ من العصور التي سبقت الأسرة الأولى، وعُثر في مصر . أيضاً . على تمثالٍ صغيرٍ من الجرانيت الأسود لأسدٍ فاغرٍ فاه، وهو يرجع إلى عصر ما قبل الأسرات في مصر، والظاهر تماماً أن صناعة هذا التمثال والأسلوب المتبع فيه غريبٌ عن المظاهر الفنية لمصر، وهو متأثرٌ إلى درجةٍ كبيرةٍ بالفن العراقي القديم الذي حرص على المبالغة في رسوم الحيوانات، فمثل الأسود فاغرةً أفواهها وعيونها جاحظةٌ، في حين أن الأسلوب الفني المعروف في وادي النيل كان يُحتم تمثيل الأسد مغلق الفم، وتُمثل الوجه والرأس والجسم من غير أية مبالغةٍ[٣].

ومما يُثبت أن حضارة وادي النيل أخذت هذه الأشياء من الحضارة الرافدينية هو أن أكثر هذه التأثيرات والمظاهر الفنية استمرت في حضارة بلاد الرافدين إلى آخر أيامها، في حين لم تستمر في حضارة وادي النيل، بل أجريت عليها إضافاتٌ تُلائم البيئة المصرية[٤]، وكذلك العلاقة الوطيدة بين مصاطب (نقادة) المصنوعة من الطوب الطري ومعابد بلاد الرافدين المصنوعة من الطوب الطري . أيضاً . وهي التي تتكون من الدخلات والخرجات كتلك التي

---

(١) تاريخ الشرق الأدنى ،ص٣٨ ٠

(٢) ينظر صبحي انور رشيد ،تاريخ الفن ،ص٧ ٠

(٣) محمد صبحي عبد الله ،العلاقات العراقية المصرية ،ص٦٣ ٠

(٤) احمد فخري ،دراسات في تاريخ الشرق القديم ،ص٢٧ ٠

وُجدت في (نقادة)[١]، وكذلك فإن الأثر الرافديني أقدم وأكثر استمراريةً؛ مما يعني أن هناك أثراً رافدينياً في فن العمارة الذي طوره المصريون من المصطبة إلى الهرم[٢].

وبما أن الأهرام تمثل فكرة الخلود وارتباطها بالخصب وتجدد الحياة، فهذا دليلٌ على أن الأثر الرافديني يتضح بأهم الآثار الفرعونية التي هي الأهرام[٣]، وكذلك فإن صناعة الأواني والجرار الفخارية ونقشها وتلوينها في وادي النيل قد تأثرت بصناعة الفخار في دور الوركاء المتأخر، ودور جمدت نصر، والسلالات الأولى عليها في الدور الجرزي (Gerzean)، أو نقادة الثانية (Nagada11)، وهذا التأثير كان أكثر وضوحاً في المرحلة الثانية من هذا العصر، أي في أواخر الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد، إذ إن هناك محاكاةً جليةً لأنماط فخار بلاد الرافدين، فقد وُجدت في مصر آنيةٌ وجرارٌ أسطوانيةٌ ذات مصبات تعود أصولها إلى بلاد الرافدين بصورةٍ واضحةٍ، ومن المحتمل أن تكون هذه الجرار التي وُجدت في وادي النيل قد تطورت عن الأنواع نفسها التي وُجدت في فلسطين التي كانت قد تأثرت بنماذج من سوريا والتي تحمل ارتباطاتٍ قويةً مع بلاد الرافدين، ولهذا النوع من الفخار تاريخٌ طويلٌ ولاسيما في القسم الشمالي من وادي الرافدين[٤] فقد كانت بلاد الشام تُشكل منطقة تماسٍ بين بلاد الرافدين ووادي النيل في هذه الحقبة من التاريخ[٥]، واستخدم المصريون في حقبة نقادة الثانية أنواعاً من الأواني الفخارية زُخرفت سطوحها الخارجية برسومٍ حمراء من بينها المثلث المتكرر والممتد حول عنق الآنية، وكذلك الخطوط المتعرجة والطيور المائية ذات السيقان الطويلة في وحداتٍ متكررةٍ التي ظهرت بشكلٍ مماثلٍ على سطوح الجرار والأواني الفخارية التي وُجدت في العراق القديم[٦]، وبما أن هذه الأواني الفخارية حملت مواضيع للخصب ورمزية الآلهة وانتقالٍ فكريٍّ وهو التحول من الفكر المادي إلى الفكر المجرد برموز الآلهة ومنها الإلهة (إينانا)[٧].

---

(١) محمود محمد رزق ،دراسة مقارنة حول المؤثرات المتبادلة بين مصر والعراق ٠
(٢) محمد صبحي عبد الله ،العلاقات العراقية المصرية ،ص٦٤ ٠
(٣) ينظر :المبحث الثاني، الفصل الثالث ،من الرسالة ٠
(٤) محمد صبحي عبد الله ،العلاقات العراقية المصرية ،ص٦٣ ٠
(٥) سامي سعيد الأحمد ،حضارات الوطن العربي القديمة ،ص٤٨؛ينظر:امل مخائيل بشور ،تاريخ الإمبراطوريات السامية في بابل وأشور ص٦١ ٠
(٦) محمد صبحي عبد الله ،العلاقات العراقية المصرية ،ص٦٤
(٧) ينظر :المبحث الأول،من الفصل الثالث ،من الرسالة ٠

إن هذا التطور الفكري في بلاد الرافدين كان تدريجياً، وقد أدى إلى النقلة الفكرية المهمة في تاريخ الحضارة الإنسانية وهي الاهتداء إلى الكتابة، وبما أن العامل الأساسي في التقدم الحضاري والروحي في الحضارة هو الكتابة(١)، فقد أدت الحياة والخصب وتطور الرموز من المادية إلى المجردة في بلاد الرافدين إلى اختراع الكتابة التي جعلت الحياة أكمل وأغنى، ودفعت النظام بأكمله إلى أن يستنسخه الآخرون بشكل أوسع، وكان المستعيرون قادرين . غالباً . على القيام بإسهاماتٍ إضافيةٍ من عندهم(٢)، وبما أن الكتابة الهيروغليفية في وادي النيل لم تمر بمراحل أولية، بل ظهرت بعنايةٍ فائقةٍ، وظهرت في الحقبة نفسها التي وقعت فيها مصر تحت تأثير الفن الرافديني(٣)، وقد وُضع أ.ودال جداول(٤) يُوضح فيها الأصل السومري للهيروغليفيات المصرية(٥)، فالأرجح أن الكتابة من أهم المؤثرات الرافدينية في وادي النيل، وبما أن الكتابة هي تطورٌ ذهنيٌّ بتحول الصورة إلى الرمزية كما تحولت التماثيل التي ظهرت في زمن القرى الزراعية من تماثيل دمىً أنثويةٍ تُمثل الخصب إلى رموز الإلهة (إينانا)، وما عقيدة الخصب إلا الاهتداء إلى أن الإلهة (إينانا) هي روح الانبعاث والتجديد والتحول الفكري من كون الأرض مصدر الخصب إلى اشتراك الأرض مع الظواهر السماوية والماء لتكون مصادر للخصب، والاهتداء إلى أن قوةً مجردةً تُمثل الخصب هي الإلهة (إينانا . عشتار) أعطاها وظيفة إلهة العلاقات الجنسية والخصب والتجديد وأعطاها رموز الملكية على الإلهة(٦).

ونخلص من دراسة رموز الآلهة في حضارة وادي النيل إلى أن الكثير من آلهة الخصب يُشار إليه برموز الخصب التي مثلت الخصب في حضارة وادي النيل، ومثلت عقائد خصبٍ نتجت عن البيئة المصرية وإبداع الفكر المصري، ومنها ما كان تحت تأثيرٍ رافدينيّ نستدل عليه من دراسة رموز الآلهة، لكن العقيدة التي يُمكن أن تكون قد تطورت من تأثيراتٍ رافدينيةٍ هي عقيدة (أوزير) التي تختلف في تجسيدها الفني لفكرة الخلود مع العقيدة الرافدينية، لكنها تتفق معها في موضوع الانبعاث والتجديد والخصب، وأثر الأرض في ذلك، هذا الأثر الذي تطور مع

---

(١) حول الكتابة وتطورها في وادي الرافدين ينظر :بهيجة خليل إسماعيل ،الكتابة ،حضارة العراق ،ج١ ،ص٢٢١-٢٢٥ .
(٢) اي اي سبيزر ،حضارة وادي الرافدين ،ص٢٨ .
(٣) تركي عطيه الجبوري ،الكتابات والخطوط القديمة ،(بغداد ،١٩٨٤ )،ص١٠٧ .
(٤) ينظر ملحق رقم (٣).
(٥)ينظر : الأصول السومرية للحضارة المصرية،ترجمة زهير رمضان ،ط١،(عمان ،١٩٩٩ )،ص٣٥ .
(٦)ينظر:المبحث الأول ،من الفصل الثالث ،من الرسالة .

الفكر الإنساني من روح الأرض المتجددة بالخصب إلى قوةٍ مجردةٍ مسوؤلةٍ عن استمرارية الحياة، ونستدل على ذلك . أيضاً . من الرموز التي مثلت (إينانا) و(أوزير) وعلاقتهما أولاً بالأرض، وبعد ذلك إعطائهم نواميس الحضارة وشارتها ورموز الملكية الإلهية، و. كما ذكرنا . فإن الصلات الحضارية بين بلاد الرافدين ووادي النيل كانت مستمرةً بين الحضارتين منذ عصر جمدت نصر إلى أن وصلت ذروتها بعد احتلال الهكسوس وما بعدها، وبما أن الأثر الفكري يُمكن أن يُؤثر تعاصرياً وامتدادياً، فإن قراءة الشواهد المادية تبين أن الأثر الرافديني واضحٌ في العقائد الأوزيرية مع الإضافة المصرية بتطوير فكرة الخلود.

# الفصل الرابع

# الكهنة والطقوس وأعياد الخصب

# في حضارتي بلاد الرافدين و وادي النيل

## المبحث الأول: الكهنة والطقوس وأعياد الخصب

## في حضارة بلاد الرافدين

## المبحث الثاني: الكهنة والطقوس وأعياد الخصب

## في حضارة وادي النيل

## المبحث الثالث: مقارنة الكهنة والطقوس وأعياد الخصب في الحضارتين

### الكهنة و الطقوس وأعياد الخصب في حضارة بلاد الرافدين

بما أن الدين من ناحية الاعتقاد هو وجود قوىً أسمى من البشر تتحكم في هذا العالم وتُسيطر عليه، ويعني من ناحية أخرى محاولة استرضاء هذه القوى فإن ذلك يتضمن من غير شكٍ الاعتراف بأن أحداث الطبيعة مرنةٌ إلى حدٍ ما وقابلةٌ للتغيير، وأن باستطاعة الإنسان أن يُقنع أو يحث هذه الكائنات القوية التي تحكم الطبيعة على أن تُغير سير الأحداث من مجراها الأصلي بما يُحقق مصالحه الخاصة[١]، لذلك مارس سكان بلاد الرافدين الطقوس الدينية بطرائق شتىً، منها تقديم القرابين، وأيضاً تلاوة الصلوات، والتراتيل، والتمثيل، واستخدام الموسيقى الطقسية، إذ إن الفرد كان يفهم أن تاريخه من صنع القوى الإلهية الخارقة، ولذا فهو تاريخٌ مقدسٌ، ويجد الإنسان نفسه ملزما ليس بمعرفته فقط، إنما بتمثيل إعادته بين مدةٍ وأخرى عن طريق الشعائر التي يستهدف من ورائها إعادة ما صنعه إبطاله من السيطرة على الفوضى وإظهار النظام وإعادة الحياة من جديدٍ[٢].

لقد افترض الإنسان القديم أن دورات الفصول وفصول الخصب تتم بقرانات جنسية بين الإلهة تماماً كما تتم القرانات بين الناس أو الحيوانات، أي: كما على الأرض، وكذلك في السماء[٣]، ونتيجةً لهذا الافتراض شُبهت الحياة الجنسية بالظواهر الكونية التي تتجسد فيها قوةٌ إلهيةٌ كما شُبهت بالأفعال الإلهية، ولذلك طُقست الحياة الجنسية، أي: مارس الإنسان الطقوس لها[٤]، وكانت هذه الطقوس تُمارس في الكثير من المناسبات الدينية، ومنها أعياد الخصب التي عُني بها وقدسها سكان بلاد الرافدين، وعُدت من نتاجاته الفكرية التي أبدعها الفكر الرافديني[٥]، وقبل تفصيل هذه الأعياد وتطور عقائد الخصب علينا معرفة المؤسسة الدينيةِ الرافدينية التي كانت تُشرف على هذه الأعياد وتُنفذها.

فقبل نضوج الحضارة الرافدينيةِ كان الناس يتعبدون الإلهة بأنفسهم فيُقيمون قرب ينابيع الماء، أو سواحل الأنهار، أو في بيوتهم الخاصة، وبمرور الزمن ظهرت الحاجة في القرى

---

(١) جيمس فريزر، الغصن الذهبي ، ص٢٢٠.

(٢) حسن فاضل جواد، حكمه الكلدانيين،ط١ ،( بغداد ،٢٠٠١ ) ،ج٢، ص١٧٣.

(٣) يوسف الحوراني ،البنية الذهنية ،ص٢٥٠ .

(٤) ميرسيا الياد ،المقدس والمدنس ،ترجمة عبد الهادي عباس ،ط١ ،(دمشق ،١٩٨٨ )،ص١٢٦ .

(٥) ينظر :ليث مجيد حسين ، الكاهن في العهد البابلي القديم ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ،بغداد ،٢٠٠٣ ،ص١٤٢-١٥٠ .

الزراعية إلى إنشاء مكانٍ خاصٍّ يأوي تمثال المعبود ويجمع المتعبدين في مكانٍ واحدٍ[١]، وسُمي هذا المكان بيت الإله (المعبد)، وهو الذي أُطلق عليه بالسومرية (É)، وبالأكدية (bitu)[٢].

لقد احتل المعبد مكانةً وأهميةً كبيرتين في حياة سكان بلاد الرافدين، لأنه كان يُمثل موضعاً مقدساً، وقد أكتسب قدسيته من كونه موضع سكن الآلهة، ومركز عبادتها وإقامة الشعائر والطقوس لها في هذه الأماكن[٣].

### كهنة عقائد الخصب

ومع تطور المعابد في بلاد الرافدين ازدادت أهمية الأشخاص الذين يتولون الإشراف على المعبد وأداء الطقوس الدينية فيه، وهم رجال الدين (الكهنة)، فإن الكاهن قد احتل منزلةً متميزةً في مجتمع بلاد الرافدين، إذ كان في البداية هو الحاكم الديني والدنيوي (إين En)، وعند انفصال السلطة الدينية عن الدنيوية ظل الكاهنُ يُؤدي عملاً بارزاً ومؤثراً، فكانت مؤسسة المعبد . تحت حكمه . مستقلةً عن المؤسسة الدنيوية، وبظهور الطقوس المختلفة وبتداخل الدين مع المجتمع أصبح الكهنة طبقةً متنفذة داخل المجتمع[٤].

وأصبح لقب الكاهن الأعظم (السنكا SANGA) وهو الذي يقف على رأس موظفي المعبد من حيث الإشراف والإدارة، وقد ظهرت عدة مراتب لهذا اللقب، فكثرت الدلالات على هذه الوظيفة في المراحل التاريخية المتعاقبة، ومع ذلك كان (السنكا Sanga) يحتل أعلى منصبٍ في المعبد، وقد تمتع بامتيازاتٍ رفيعةٍ لم يكن هناك حدٌ فاصلٌ بين هذا المنصب والملوكية ولاسيما في العصور السومرية الأولى[٥].

ومن واجباتِ هذا الكاهن هي الإشراف على جميع الكهنة في المعبد، ليس انتظامهم في المعبد فقط، بل ربما يتعدى ذلك إلى الإشراف على بعض الأمور الطقسية التي يزاولونها، ومع ذلك فإن (السنكا)، وإن لم تُحدد وظيفته الدينية قد غلب الطابع الإداري (الإشراف) على وظيفته

---

(١) تقي الدباغ ،الفكر الديني القديم ،ص٢٨ .

(٢) شيماء ماجد كاظم الحبوبي ،الحيوية والاستمرارية ،ص٩٦ .

(٣) طه باقر. معابد العراق القديم، مجلة سومر،مج٣، ١٩٤٧، ص١٢؛ ينظر أيضاً: شيبان ثابت، الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي الحديث، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ،بغداد، ٢٠٠١ ، ص٢٩-٣٢.

(٤) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي، ص١٦٤-١٦٥؛ينظر أيضاً:
Ivan engnell ,Divine kingship ,in the ancient near east ,Uppsala ,1943 ,p28 -29 .

(٥) الطعان، المصدر نفسه ، ص ١٥٩.

في المعبد[١]، ووظيفة الكهانة لم تكن حصراً على الرجال بل كانت هناك أصنافٌ من الكاهنات المنذورات للآلهة يجوز لهن الاتصال بالرجل من كل الطبقات، ولكن اتصال الرجال بهذه النسوة لم يكن بدافع الرغبة الجنسية المجردة فقط، بل بدافعٍ دينيٍّ، إذ كان الرجل الذي يتصل بكاهنةٍ من المعبد يعتقد أن عمله هذا سيُقربه من إلهة الحب، ويزيد من قابليته على التكاثر، والنقود التي يدفعها الرجل إلى الكاهنة لا تُعد أجراً لها بل كانت عطيةً للآلهة[٢].

وكانت الكاهنات اللواتي يُمارسن البغاء المقدس ذوات مراتب مختلفةٍ، منها مراتب عليا كاهنات (قاد يشتو)، وتعني: محظيات المعبد المقدسات، وهناك أيضاً الـ(ناديتو)، وتعني: (العاقرات)، وهناك أيضاً (بنات اللذة)، و(الباغيات)، وينبغي أن نعرف أنهن لم يُحطن بأي احتقارٍ، بل إن هذا النوع من النساء أو الفتيات كُن مقدساتٍ، وكذلك كانت هناك مديرةٌ للكاهنات ومشرفةٌ عليهن تُسمى (إينتو)[٣]، وكانت كاهنة الـ(إينتو) تُعد زوجة الإله، حتى أن اسمها في السومرية كان (nin-dingir)، ويعني: (السيدة الإلهة)، والكاهنات من هذه الطبقة كن من بنات العائلة المالكة والنبلاء، إذ جرت العادة أن يُكرس الملوك والأمراء بناتهم وأخواتهم لخدمة الآلهة في المعبد[٤]، أما مقر الكهنة الرئيسة في الوركاء في معبد الإلهة (إينانا)[٥].

لقد وصف هيرودوتس البغاء في بابل بأنه كان على كل امرأةٍ بابليةٍ أن تذهب مرةً في عمرها إلى معبد (عشتار) إلهة الحب وتواقع أجنبياً، ولا يجوز لها أن تعود إلى دارها قبل أن يرمي أحدٌ أولئك الأجانب بقطعةٍ من النقود، ويقول لها: (لتزدهري بقوة الإلهة ميليتيا)[٦]، ولا يُمكن للمرأة أن ترفض القطعة الفضية مهما كانت قيمتها، لأنها كانت تُعد مقدسةً[٧]، لكن هذا البغاء كان يُمارس كطقسٍ دينيٍّ على غير الزنا الذي يُعاقب عليه القانون في حضارة بلادالرافدين كما جاء في القوانين الرافدينية، ومنها قانون حمورابي في المادة (١٢٩) من القانون (لو ضبطت زوجة رجلٍ تُضاجع رجلاً أخر، يربط الاثنان ويُلقيان في النهر، أما إن رغب زوج المرأة مسامحة

---

(١) صموئيل نوح كريمر : السومريون ’ص١٨٨؛ حول وظائف الكهنة :ينظر :خزعل ألماجدي ،بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين ،ط١ ،(عمان ،١٩٩٨ )،ص٣٦٣-٣٧٢ .

(٢) ثلما ستيان عقراوي ، المرأة ، ص ١٨٩ .

(٣) جان بوتيرو ، الديانة ، ص١١٩ .

(٤) فاضل عبد الواحد علي ،إعراس الإله تموز ومأساته ،سومر ،مج ٢٨ ،١٩٧٢ ،ج١ ص٧١ .

(٥) سامي سعيد الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٤٦ .

(٦) ميليتيا: أحد ألقاب الآلهة عشتار ينظر : ثلما ستيان عقراوي ، المرأة ، ص١٩٠ .

(٧)المصدر والصفحة نفسهما ؛ينظر أيضاً:جان اول ريك ،مركز المرأة في قانون حمورابي وفي القانون الموسوي ،ترجمة سليم العقاد ،(القاهرة ،١٩٢٦ ) ،ص١٥-١٦ .

زوجته والعفو عنها فللمالك الحق في العفو عن مواطنه الأخر)[١]، ولذلك يرفض باحثون فكرة وجود بغايا مقدسةٍ في حضارة بلاد الرافدين مثل الدكتور نائل حنون[٢]، في حين يُؤيد وجودها الكثير من المختصين[٣].

ومن دراسة أساطير حضارة بلاد الرافدين[٤] وملحمة جلجامش ووظيفة البغيّ فيها[٥] أن هناك أدلةً لممارسة البغاء المقدس[٦].

وقد فرض الإنسان على نفسه فرائض تكفيريةٍ كانت وسيلة اطمئنانٍ نفسيٍّ له، فقد قدم للإله بواكير مواسمه وبواكير نسله، وعد إذلال النفس، وقهر رغباتها وتعذيب الجسد تقرباً للإله[٧]، وكان الجنس بما فيه من أحاسيس شخصيةٍ وأبعادٍ روحيةٍ مادةً للتضحية والتكفير الشخصي، فقهر الإنسان رغباته بالتزام العفة، أو بخصي الذات، أو بممارسة المرأة للجنس فريضةً مع الغرباء من أجل الآلهة، وجُعلت الصدقات والتقدمات للمعبد وسيلة تكفيرٍ وهدايا تُقرب من الألوهية[٨].

**طقوس وقرابين عقائد الخصب :**

بما أن (إينانا) هي إلهة الخصب، فالتقرب إليها لا يتم إلا بشعائر وطقوسٍ ترتبط بوظيفتها في الطبيعة إلهةً للحب والخصب والإنتاج، وكان المعبد هو المكان الذي تُمارس فيه طقوس الخصب، وكان يضم عدداً من الأواني والمباخر النذرية والكثير من الآلات والأدوات الخاصة بالممارسات الطقوسيةِ، والشعائر الدينية، ومن بين تلك الأدوات والمواد الطقوسيةِ المهمة

---

(١ ) نخبة من الباحثين ، شريعة حمورابي واصل التشريع في الشرق القديم ،ترجمة اسامة سراس ،ط٢ ،(دمشق ،١٩٩٣ )،ص١١٢؛ينظر أيضاً: جان اول ريك ،مركز المراة في قانون حمورابي،ص٢٧ ٠

(٢) عقائد الحياة والخصب ، ص٢٠٩ .

(٣ ) يوسف الحوراني البنية الذهنية،ص٢٦١-٢٦٢ فاضل عبد الواحد علي ،إعراس الإله تموز ،ص٧١ ؛ينظر أيضاً جان بوتيرو ،الديانة ،ص١١٩ ؛ ينظر أيضاً: بول فريشاور ،الجنس في العالم ،ص٧٨ ٠

(٤ ) حول هذه الأساطير ينظر :صموئيل نوح كريمر ،طقوس الجنس ،ص١١٤-١٢١ ٠

(٥ ) ينظر :بول فريشاور ،الجنس في العالم ،ص٨٢ ٠

(٦ ) كامل سعفان ،معتقدات أسيوية ، ص٣٧-٣٨ ؛ حول البغاء المقدس ينظر أيضاً:
Jermey Black,Gods Demons,p .150- 152 .

(٧ ) يوسف الحوراني ، البنية الذهنية ، ص٤١٣ .

(٨ ) المصدر والصفحة نفسهما .

في المعبد ورد ذكر مائدة أو منضدة تقديم القرابين، وكانت تُوضع أمام تماثيل الآلهة المقدسة في الصباح والمساء[١].

وكان المتعبد يعتقد أنه يُؤثر في الطبيعة، ولاسيما في خصب الأرض حينما يُؤدي المراسيم الدينية، ويُؤثر في الإله ذاته حينما يتولى تمثال الإله بالزينة والبخور والدهان، وحينما تجود الأرض وتُعطي ثمارها تُعيد للمتعبد ما قدمه إليها . قبلاً . من القرابين، وبذلك تكون هناك منفعةٌ متبادلةٌ بين الإنسان والآلهة، لقد تعمد الكهنة . أحياناً . تضليل السكان للإيحاء بارتباط الآلهة بحياة السكان كما في (ماري)[٢] التي تم الكشف فيها عن تمثالٍ للإلهة (عشتار) تُوجد امام صدرها مزهريةٌ جوفاء تتصل بأنبوبٍ داخل التمثال، وهذا الاتصال يُمكن من هو خارج الحرم من أن يجعل الماء ينبثق من المزهرية إشارةً إلى الخصوبة والرضا الإلهي[٣]، ودلالةً على ارتباط الإلهة (عشتار) بالخصب وانبعاث الحياة بوصف الماء قد جسد الحياة في كل الجوانب، ويبدو أن الماء الذي يُعد أساس الحياة قد كان من أهم القرابين التي من الممكن أن تُقدم للآلهة[٤]، إذ نجد أن أولى القرابين التي قدمها (أوتونابشتم)[٥] للآلهة، كان الماء الذي سكبه للآلهة على قمة الجبل، وهذا ما يُورده النص الآتي:

**((وسكبت الماء المقدس على قمة الجبل**
**ونصبت سبعةً وسبعة قدورٍ**
**وكومت تحتها القصب والأرز والأسل**
**فشم الآلهة الرائحة**
**أجل، لقد شم الآلهة الرائحة الطيبة))**[٦]

---

(١ ) رينيه لابات،المعتقدات في بلاد وادي الرافدين، ص٢١٠ .

(٢ ) ماري: (تل الحريري): تقع على الفرات الأوسط قرب البو كمال وتل الحريري وهي التسمية الحالية لها، (فرج بصمة جي، كنوز المتحف العراقي، (بغداد ، ١٩٧٢)، ص ٣٨.

(٣ ) شيماء ماجد كاظم الحبوبي ،الحيوية والاستمرارية ،ص١٠٢ ٠

(٤ ) المصدر نفسه ،ص١١٤ ٠

(٥ ) بطل قصة الطوفان والذي ورد ذكره في ملحمة جلجامش والذي صنع سفينة في سبعة أيام وكان يقدم لعماله الخمرة بلا حساب ليشربوها ولكي يكون ذلك بمثابة الاحتفال بمناسبة العام الجديد وتشبه قصته قصة سيدنا نوح ينظر : علي الشوك ،الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ،(لندت ،١٩٨٧ )، ص١٠٠-١٠١

(٦ ) فاضل عبد الواحد، الطوفان، ص٩٨ ٠

ويتضح من هذا النص أن الماء هو أول قربانٍ يُقدمه الإنسان للآلهة، ثم يبدأ باستقطابها عن طريق الروائح الطيبة التي راحت تنبعث نتيجة إحراقه الأرز والأسل، ويبدو أن هذا النص يُبين خطوات تقديم القرابين، إذ نجد بعد ذلك أن طقوس سكب الماء قد رافقت تقديم القرابين.

إن تزويدَ وتجهيز الآلهة باحتياجاتهم على اعتقاد سكان بلاد الرافدين كان لديمومة التواصل والاتصال المستمر معها، وهذا التجهيز كان إجبارياً لا يُمكن غض النظر عنه، وإذا ما حصل ذلك فإنه يُعد خيانةً عظمى تُؤدي إلى تعرض السلام والطمأنينة ومصائر الحياة في البلاد إلى المخاطر والدمار، وكانت هذه العبودية تُراقب عن كثبٍ من قبل الحاكم لأنها تُوفر للإلهة المأوى والطعام من القرابين المقدمة إلى المعبد، وهذه القرابين كانت . أحيانا . تتألف من أطعمةٍ وأعشابٍ عطرةٍ تُحرق في النار، أما السوائل فتُراق إراقةً، وقد كان من واجبات المؤمن . بعد خشية الآلهة . الصلاة وتقديم القرابين[١].

وهناك أعمالٌ فنيةٌ كثيرةٌ تتضمن مشاهد لتقديم القرابين[٢] إلى الآلهة من أهمها الإناء النذري الذي يُمثل أقدم عملٍ دينيٍّ فيه شعائر خاصة بالإلهة (إينانا) التي يُشار إليها بحزمتين من القصب وُضعت الواحدة جنب الأخرى، ونُشاهد صفاً طويلاً من الأشخاص يحملون القرابين في السلال والأواني، ويُوجد صفٌ آخر من الأغنام التي تسير على الأرض المزروعة بالحنطة والشعير ونباتاتٍ أخرى.

إن هذه الكمية الكبيرة من القرابين تُعبر عن الشكر وعرفان الجميل تجاه إلهة الخصب[٣].

ويرد في أحد النصوص المسمارية العائدة إلى العصرالبابلي القديم عن القرابين: (صلِّ وتضرع، وضع بخوراً عطراً أمامهم، قدم القرابين، عطايا كثيرةٍ، انحر ثوراً سميناً، واذبح خروفاً سميناً، ومراراً اسكب (جعةً) حلوةً كالعسل وخمرةً صافيةً)[٤].

وقبل تقديم تلك القرابين كان لابد من القيام بطقوس معينة، وكانت الطقوس اليومية في المعبد تتكون في الموضع الأول من عملية الاغتسال، وارتداء الملابس، وإطعام تماثيل الآلهة بتقديم الموائد، لها إذ كانت تُوضع على دكتين، على إحداها تُوضع الزهور، وعلى الثانية يُوضع

---

(١ ) سعد عمر أمين ،القرابين والنذور في العراق القديم ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ،الموصل ،٢٠٠٥ ،ص٦ ٠

(٢ ) حول قرابين الآلهة ينظر :

Jermey Black,Gods Demons,p .60-61 .

(٣ ) اندريه بارو :سومر فنونها وحضارتها ،ص٨ ؛ علي ، فاضل ، عشتار ومأساة تموز ،ص٤٢.

(٤ ) داليا فوزي الانصاري ،الأسرة العراقية القديمة في ضوء النصوص المسمارية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ،بغداد ، ٢٠٠٣ ،ص١٣١ ٠

الطعام والشراب المخصص للآلهة، وتُوضع على المائدة . أيضاً . أوانٍ يُوضع فيها البخور، وكان الطعام المقدم للآلهة يتكون من الخبز، والكعك، وأنواعٍ مختلفةٍ من لحوم حيوانات الثيران والأغنام والماعز والغزلان والأسماك وأنواعٍ مختلفة من الطيور(١).

وكانت هذه الطقوس تُجرى بأعيادٍ فصليةٍ كثيرةٍ، كما يُمكن استنتاجه من أسماء الأشهر، فبداية كل شهرٍ قمري يكون عيد، وكذلك في اليوم السابع والخامس عشر(٢)، وتُقدم القرابين في يوم القمر الجديد في المعبد في اليوم السابع أو الخامس عشر (عندما يكون القمر بدراً) في المعبد، وفي العادة كان يتم وصف الأشياء التي تقدم لاحتفالات القمر بـ(ES.ES.)، وورد في نصٍّ مسماريٍّ الحديث عن ثورين من الدرجة الممتازة، وستة ثيرانٍ سمانٍ لتقديمها قرابين في أول عيد (ES.ES.SU)، واستناداً إلى ما ورد في النص فالحديث خاصٌ باحتفالٍ قمريٍّ، وقد ذُكر في نصٍ آخر عدد قرابين الثيران لأحد الشهور فضلاً عن حيواناتٍ أخرى جاء فيها: أربعة ثيرانٍ سمانٍ (ES.ES.E.INNINA) لأجل الاحتفال في معبد ابنة إله القمر(٣).

ولعل مغزى إجراء هذه الاحتفالات . تحديداً . هو أن تكون قرابين تكفيرٍ، أو قرابين تضرعٍ، إن احتفالات القرابين هذه كانت تحمل طابعاً جاداً فيه الشعور بالحاجة إلى المساعدة، وربما الشعور بالذنب . أيضاً . مما يتطلب ضرورة اختيار مادةٍ للقرابين، ويُمكن الاستدلال على أن هذه القرابين من الثيران المقدمة إلى إلهة الخصب (إينانا) المرتبطةٌ بالقمر إنما يدل على علاقة الظواهر السماوية بالخصب وأثر هذه الإلهة في ذلك.

ومن الشعائر الدينية في بلاد الرافدين: الفأل، فقد جعلوا من كواكب رمزاً للخير والسعادة، ومن الأخرى رمزاً للمتاعب والويلات، فالزهرة كوكبٌ مبشرٌ بالخير، وظهور القمر مع هذا الكوكب يُشير إلى الفأل الحسن بوصف القمر رمزاً مبشراً بالحظ السعيد، وإن كان ظهورهما في شهر نيسان (شهر الخير وبداية الحياة) الشهر الذي تُقام فيه احتفالات الخصب، فمن البديهي أن يكون الفأل الحسن من نصيب سكان بابل، أما ظهورها في وقت غروب الشمس وفي مدار السرطان، فهو . أيضاً . فألٌ حسنٌ، إذ إن من نتائج هذا الحدث على اعتقاد العراقيين أن المرضى سوف يتعافون، والحوامل سيُكملن عدتهن بسلامٍ(٤)، وبما أن هذه الكواكب رموزٌ لآلهةٍ، نستدل على الفأل الحسن لهذه الإلهة في الفكر الرافديني.

---

(١ ) سعد عمر أمين ،القرابين والنذور في العراق القديم ،ص١٢ .

(٢ ) سامي سعيد الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٤٧ .

(٣ ) سعد عمر أمين ،القرابين والنذور في العراق القديم،ص١٩-٢٠ .

(٤ ) هيثم احمد حسين عبو الجواري ،نصوص الفأل البابلية في ضوء المصادر المسمارية رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الآداب ،الموصل ،٢٠٠٥ ،ص٢٤ .

أما تقديم القرابين تبعاً لمرتبة الإله في مجمع الآلهة وأثره فيه، فالإله (آنو) يُقدمُ له كل يومٍ من أيام السنة ثمانية عشر كوباً من الذهب، وذلك لوجبة الصباح ماعدا الأكواب الخاصة بسكب الماء المقدس إكمالاً للطقس، وتُرتب الثمانية عشر كوباً على المائدة كالآتي: سبعةٌ في جهة اليمين (ثلاثةٌ لشراب البيرة المستخرجة من الشعير، وأربعةٌ للبيرة المسماة (لابكو))، وكوبٌ مخصصٌ للبيرة نوع ناشو، وآخر للبيرة (زاربابا)، وحليبٌ في كوب حجر الالباستر، وتُوضعُ أربعة أكوابٍ من الذهب لعصير العنب (النبيذ)[١]، وتتضح من هذا قدسية البيرة واستخدامها في الاحتفالات الدينية.

وكانت تتلو ممارسة الطقوس الصلوات والتراتيل للآلهة، كما في الترتيلة المقدمة للإلهة (إينانا)، ونستدل منها على الإلهة (إينانا) ومكانتها السامية، وأثرها في ارتباطها بالقمر، وأنها ابنته الأولى، ويُمكن أن يكون هذا دليلاً على أثرها في المواسم الزراعية وقوة الخصب، وقيامها بوظائف متنوعةٍ، وقيام الأعياد والاحتفالات من أجلها كما في النص الآتي:

**شعب سومر يزهو بك**

**يضربون على الدفوف الحلوة أمامك**

**شعب سومر يتباهى بك**

**أقول: برداً وسلاما إلى إينانا**

**سيدة السماء العظيمة**

**ضربوا الطبل المقدس والدفوف أمامك**

**يُمثلون القيثارة المقدسة، ويمزحون سعداء من أجلك**

**أقول: برداً وسلاماً إلى إينانا ابنة القمر الأولى**

**البغايا مشطن شعرهن من أجلك**[٢]

وهناك صلواتٌ عُرفت بـ(صلوات رفع الأيادي) عُثر عليها في مكتبة الملك آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٧) قبل الميلاد التي تحوي أدعية ثناءٍ للكثير من الآلهة، ومناشداتٍ للمساعدة ضد الشرور المؤكدة من قبل الخسوف القمري[٣].

---

(١ ) جان بوتيرو ،الديانة ،ص١٤٣ ؛ينظر أيضاً: شيبان ثابت الراوي ،الطقوس الدينية ،ص٤٣-٤٤ ؛للمزيد عن المعلومات عن القرابين ينظر:خليل سعيد ،النذور والقرابين في العراق القديم،(بغداد ، د ت)،ص٤٠ ومابعدها٠

(٢ ) دايان ولكشتاين وصموئيل نوح كريمر ،اينانا ملكة الأرض ،ص١٧٤ ٠

(٣ ) شيماء ماجد كاظم الحبوبي ،الحيوية والاستمرارية ،ص١١٣ ٠

وكان الوضع المتخذ أثناء الصلاة يتمثل في رفع اليدين نحو الإله مع القراءة العلنية بصورةٍ خاصةٍ، وقد اشتملت تلك الصلوات على الأدعية التي يُشارك فيها الجميع، ويحدث توقفٌ بين حينٍ وآخر، وفي أثناء هذا التوقف ينطلق الجميع بنوعٍ من التفجع أو النواح العام[١].

لقد ظهر الكثير من المراثي الطقسية: الأول الذي أُطلق عليه الـ(بالاك BALAG)، والثاني سُمي بـ(ايرشيما ersemma)، وهما نوعان أدبيان من أغاني العبادة التقليدية المكملةٌ للأعمال الطقسية المعتادة في بلاد الرافدين التي غلب عليها طابع النغمة الحزينة[٢].

وكان يُؤدي هذه الطقوس كهنة الـ(كالو Kalu) الذين كانوا يُؤدون مجموعةً واسعةً من الطقوس الدينية التي تُعد جزءاً مكملاً للطقوس الاسترضائية استناداً إلى ثبت يزيد على (٦٠٠) ترنيمةٍ ضمن تصانيف الـ(بالاك)، والـ(إيرشيما) التي كونت سلسلةً تُعرف باسم (كالوتو Kalutu) أو مجموعة مغني (كالو Kalu) جاءتنا من مكتبة آشور بانيبال في نينوى[٣].

ولم يكتفِ إنسان بلاد الرافدين بوضع الكهنة وسطاء بينه وبين الآلهة بل أوجد السومريون فكرة الإله الشخصي لكي يكون بمنزلة الوسيط أو الحارس لكل فردٍ ولكل أسرةٍ، وتكون علاقته الفردية كعلاقة الأب بابنه، وبذلك يُصبح الإله الشخصي يُمثل الصلة بين الفرد وبين الكون، لأن الإنسان لا ينظر إلى الآلهة الكبار إلا على أنها قوىً بعيدةٍ، ليس له إلا أن يتضرع لها في الأزمات، ولا يفعل ذلك إلا عن طريق الوسيط، أي: الإله الشخصي، ويُعتقد أن الإله الشخصي هو القوة الكامنة وراء نجاح الإنسان[٤].

إن الغرض من الإله الشخصي للإنسان هو تحقيق العدالة لموكله عند الآلهة الكبار، فإذا ما وقع الشخص في مشكلةٍ عندئذٍ يقوم إلهه الشخصي باستعمال نفوذه لمساعدته[٥]، فقد ساد الاعتقاد في بلاد الرافدين قديماً بأن عطف الآلهة ورضاها هو السبيل الوحيد لإنقاذ الناس من الأمراض، وإطالة أعمارهم؛ لذا فإن الفرد يُصلي إلى الإلهة ويُقدم لها القرابين، ويُكثر من الدعاء بأن تُطيل حياته، وكان هذا أقصى ما كان يطمح إليه[٦]، ومع كثرة هؤلاء الوسطاء كانت طقوس الحزن والندب والبكاء من الشعائر الدينية التي استمرت في الحضارةِ الرافدينية، فمراثي (بالاك) و(إيرشيما) في الألف الأول قبل الميلاد التي تعود إلى نصوصٍ أقدم تعود إلى العصر البابلي

---

(١ ) جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور ،ت سليم طه التكريتي،(بغداد ،١٩٧٩)، ص٤٧٢.

(٢ ) حكمت بشير مجيد الأسود ،أدب الرثاء في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ،الموصل،٢٠٠٢ ،ص١٥٨ ٠

(٣ ) المصدر والصفحة نفسهما ٠

(٤ ) هنري فرانكفورت وآخرون، ما قبل الفلسفة ، ص٢٤٠ –٢٤١ ٠

(٥ ) المصدر نفسه ، ص٤٥ ٠

(٦ ) نائل حنون ، : عقائد ما بعد الموت ، ص٩٥.

القديم تكشف عن أن هذه المراثي قد اندمجت في طقوسٍ معقدةٍ لمواقف مختلفةٍ، واستناداً إلى النصوص المسمارية نجد أن المراثي الطقسية تُمثل جزءاً من طقوس العبادات الدينية التي تستخدم أسلوب النواح (ER) على امتداد الحقب التاريخية لبلاد الرافدين قبل الأضاحي اليومية والقرابين لمعظم الآلهة (أو بعدها، أو حينها) ولائم خاصة أو طقسية مثل عيد أكيتو (Akitu) كانت تُتلى في احتفالاتٍ معينةٍ لأيامٍ محددةٍ من الشهر أمام الآلهة لتهدئة غضبها، أو لتجنب غضبها من حدثٍ معينٍ، بينما تُرافقها القرابين والسكائب والإراقة؛ لتصبح هذه المراثي منذ بداية العصر البابلي القديم جزءاً من طقوس المعبد[١].

إن فكرة الحزن والخطية نجد تفسيرها من قصة التكوين البابلية (إينوما إيليش) التي يرد فيها أن الإنسان مجبولٌ بدم إلهٍ خاطئ:

**(قبضوا عليه، وجلبوه إلى حضرة إيا**

**فحملوه تبعة جريمته، وسفحوا دمه**

**ومن دمه صاغوا الجنس البشري**

**فرضي ايا عليه الخدمة وحرر الآلهة)**

فهذا النص يُوضح معنى شقاء الإنسان، ومبدأ الخطيئة لديه[٢]، ونستنتج من هذا النص كثرة القرابين وأداء الطقوس في حضارة بلاد الرافدين لكسب رضا الآلهة والتكفير عن الخطايا، لقد كان للجانب العاطفي والتبرير الديني الأثر في بلورة ذلك الشعور الذي استخدم من أجل قيام عالمٍ دنيويٍّ يصبح هو العزاء الأخير بعد فشل المحاولة التي قام بها الأبطال من أجل نيل الخلود كما جاء في أساطير بلاد الرافدين مقابل حتمية الموت والصورة المتخيلة عن العالم السفلي المتصور على أنه حالة سقوطٍ في الهاوية إنه عالمٌ غير مرغوبٍ فيه، ومع هذا الخوف من هذا المصير والتمسك بالحياة تطورت فكرة إلهة الخصب (إينانا) إلهة الحب والعلاقات الجنسية والانبعاث وجسدت من خلال حب الإنسان الرافديني للحياة بإقامة الاحتفالات والأعياد لهذه الآلهة.

### احتفالات وأعياد الخصب

إن إنسان بلاد الرافدين عاش في بيئةٍ غير مستقرةٍ ودائمة المفاجآت له، الأمر الذي دفع به إلى الاعتقاد بضرورة التقرب إلى الآلهة التي جسدها بقوى الطبيعة، وربط بينها بالزواج

(١) حكمت بشير مجيد الأسود ،أدب الرثاء في بلاد الرافدين ،ص١٥٩-١٦٠ .

(٢) يوسف الحوراني ،البنية الذهنية ،ص٣٣٤ .

والعلاقات الجنسية[١]، والتي أوجد لها إلهةً واهبةً للحياة ومسؤولةً عن الخصب والإنتاج والعلاقات الجنسية أسماها الإلهة (إينانا . عشتار) التي تطورت نظرة سكان بلادالرافدين إليها مع تطور المؤسسة الدينية والأعياد والاحتفالات الدينية، وهذا ماذكرته المصادر المسمارية والشواهد المادية.

وقبل الدخول في تفاصيل الأعياد والاحتفالات في بلاد الرافدين لابد من الإشارة إلى أن جذورها البعيدة تعود إلى عصور ما قبل التاريخ؛ فقد أدرك الإنسان في تلك العصور المبكرة، أن الطبيعة بخصبها وكثرة مياهها وحيواناتها عرضةٌ لأن تتغير فتختفي كل مظاهر الخصب؛ مما يُهدد حياته بصورةٍ مباشرةٍ؛ وهذا السبب الأساسي الذي دفعه إلى تجسيدها بدمىً أنثويةٍ سُميت (الإلهة الأم)، ويُمكن أن نستدل من الرسوم والبقايا الأثرية على أن الإنسان القديم كان يُقيم لها الطقوس والاحتفالات التي تطورت إلى أعياد الخصب وزواج الإلهة (إينانا)[٢].

ومع إدراك الإنسان قوىً طبيعيةٍ أخرى كثر عدد الآلهة، وهذا أدى إلى ازدياد الاحتفالات الدينية في حضارة بلاد الرافدين، فكانت الأعياد مقسمةً على أشهر السنة، إذ يُمثل كل شهرٍ بإلهٍ، الأمر الذي يدفع بالناس إلى الاحتفال بأهم الأحداث التي خاضها ذلك الإله[٣].

وبما أن الخصب والتكاثر أهم متطلبات الإنسان احتلت أعياد الخصب الصدارة في الأعياد الدينية، ومن أجل إدامة الخصب والتكاثر في الحياة كان من الضروري إقامة طقوسٍ واحتفالاتٍ سنويةٍ يجري فيها استحداث عملية التخصيب من طقوسٍ معينةٍ أمرت بها الآلهة؛ يقوم ممثل الآلهة (ملكٌ أو كاهنٌ) بتقمص شخصية الزوج الإله، وتقوم الكاهنة العليا بوظيفة الزوجة (إينانا) في احتفالٍ كبيرٍ يُعرف بـ(الزواج المقدس)[٤].

---

(١ ) فاضل عبد الواحد علي،أناشيد الزواج المقدس لتموز ونشيد الأناشيد لسليمان ،سومر،مج ٣٤ ،١٩٧٨ ،ص١٧ .

(٢ ) فاضل عبد الواحد علي ،الأعياد والاحتفالات ،حضارة العراق ،ج١ ،ص٢٠٧-٢٠٨ .

(٣ ) سامي سعيد الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٤٧ .

(٤ ) تقي الدباغ ،الفكر الديني ،ص٤٤ .

ومن الممكن أن تكون المقبرة الملكية [١]، وقد سُميت بالمقبرة الملكية؛ نظراً لكون الأشخاص المدفونين فيها لهم صفة الملوكية، وتمكن هذا المنقب من تعيين أسماء بعضهم من القبور، ومنها القبر العائد إلى (مس . كلام . دك)، والقبر العائد إلى (آ . كلام . دك)، وكان مجموع ما خصص بكونها قبوراً ملكيةً لا يقل عن ستة عشر قبراً[٢].

وهناك آراءٌ تناولت تفسير ما وُجد في القبور الملكية والغرض أو الغاية من الشعائر التي تم بموجبها دفن تلك الأعداد من حاشيته وأتباعه، ومن تلك الآراء رأي المنقب الذي اكتشف المقبرة؛ ومفاده أن ما عُثر عليه في المقبرة الملكية في أور كان للتضحية بأتباع وحاشية الملك ودفنهم مع الملك حين وفاته، أما عن الطريقة التي تتم بها هذه التضحية فيُمكن إيجازها بأنه بعد وفاة الملك وإنزال جثته إلى قبره ينزل معه أتباعه وحاشيته ويستقرون على الأرض أو على رفوفٍ موضوعةٍ على الجدران، وبعد أن يقتلوا الحيوانات الموجودة معهم في القبر يبدؤون بتناول السم من قدرٍ ممتلئٍ به كالقدر الذي عُثر عليه في القبر المرقم (١٢٧٣)، وفي هذه الأثناء يكون الموسيقيون يعزفون، ومن المحتمل أن تكون هناك ترانيم جنائزية خاصة يُرددها المضحى بهم، وحين يسري السم يضطجعون كلٌّ في مكانه و يدخل أحد الأشخاص، ويُرتب الجثث ومحتوياتها؛ لتبدأ عملية ردم الحفرة بمراحل متنوعة ضمن احتفالٍ ديني خاصٍ بالمناسبة، وأرجع سبب دفن أتباع الملك معه إلى توقع أن الملك إلهٌ، وأنه حين يموت ينبغي أن يُدفن معه أتباعه لينتقلوا معه إلى العالم الآخر حيث يُواصل حياته الأخرى فيه[٣]، أما التفسير الآخر الذي يعتمد على ما قدمه الباحث (أنطون مورتكات) فإنه يُفيد بأن التضحية البشرية في هذه المقبرة، هي جزءٌ من الاحتفالات الخاصة بالزواج المقدس الذي كان يُقام سنوياً، ويُمثل فيه الملك الإله (دموزي)، في حين تقوم الكاهنة العليا بوظيفة الإلهة (إينانا)، ويُسممان مع أتباعهما، ويُدفنان في احتفالٍ دينيٍّ، وكان جسد الملك يُخرج من سقف الضريح، وتبقى القرينة في ذلك الزواج في قبرها، والواقع أن

---

(١ ) وهي المقبرة التي عثر عليها في مدينة أور في حدود(٢٧٠٠.٢٦٠٠ ق.م) أثناء التنقيبات التي كشف عنها في موقع مدينة أور المنقب ( ليونارد وولي) في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات من القرن الماضي ينظر: غيث حبيب خليل ،وادي الرافدين في عصر فجر السلالات ،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ،بغداد ،٢٠٠٤ ،ص٦٩ ٠

(٢ ) المصدر والصفحة نفسهما ٠

(٣ ) فاضل عبد الواحد علي ،إعراس الإله تموز ،ص٦٢ ٠

هذا الافتراض أو التفسير للمقبرة ضعيفٌ ويفتقر إلى أدلة أكثر وضوحاً[١]، ويذهب الأستاذ (سبيزر) أن هذه الممارسة رواسب همجيةٌ من أزمانٍ أكثر بدائيةٍ حين كانت الشعائر المهمة تهدف إلى تحقيق الخصب، ولعلها تضحياتٌ بشريةٌ واسعة النطاق، ومن الممكن أن تكون مرتبطةً بالعرف السائد في بلاد الرافدين في تنصيب ملوكٍ بديلين[٢]، في تمثيليةٍ عظيمةٍ يجري الاحتفال بها سنوياً في رأس السنة الجديدة، أو في أيام حلول كارثةٍ مدمرةٍ، وقد يُقتل أمثال هؤلاء الملوك الشعائريين في نهاية الأمر[٣].

ومن الصعب الحسم بين هذه الآراء، إلا أننا نُرجح أن هذه الممارسة ترتبط بفكرة الخصب والخلود والمقتنيات الثمينة التي وُجدت فيها دليلاً على الإيمان بالانبعاث، وارتباط الخلود بالخصب والزواج المقدس الذي يدل على التجدد والانبعاث.

وبعد انتقالنا إلى المرحلة التاريخية اللاحقة (أي: عصر فجر السلالات) نجد إشاراتٍ على وجود طقوس الزواج المقدس، بقيام أمراء ذلك العصر بوظيفة الزوج الإلهي، ومن ذلك ما يذكره (إي أناتم Eannatum ٢٥٥٠ ق.م) أحد أمراء سلالة (لجش) الأولى أنه الزوج المحبوب للإلهة (إينانا) وما يذكره (إنتمينا Entemena) (٢٥٠٠ ق.م) أن الإلهة (إينانا) أحبته، وأنها لذلك أعطته منصب حاكم لجش[٤].

ومن أقدم الأدلة الكتابية على الزواج المقدس إلى زمن (جوديا) الذي ترد فيه إشاراتٌ إلى قيامه بوظيفة الزوج للإلهة في (لجش)، وترجع تأدية الطقوس والمراسيم الخاصة بهذا الزواج كالاغتسال، وتقديمُ هدايا الزوج، والقرابين[٥].

لقد نال هذا العيد قدسيةً كبيرةً عند سكان بلاد الرافدين، إذ كان لزاماً عليهم اتباع واحترام أدق التفاصيل الطقسية فيه، إذ تُوجب أولاً: الطهارة، وهي عملية يقومون بها في كل عيدٍ يتم الاحتفال فيه، فكان ضرورياً للمشاركين في الطقوس أن يُطهروا المكان الذي سيقام فيه الاحتفال، ويكون

(١ ) نقلاً من:المصدر والصفحة نفسها .

(٢ ) حول شعيرة الملك البديل ينظر :ف فون زودن ،مدخل إلى حضارات الشرق ،ص٢١٢ .

(٣ ) أي أي سبيزر،حضارة وادي الرافدين ،ص٦٣-٦٤ .

(٤ ) فاضل عبد الواحد علي ،إعراس الإله تموز ،ص٦٣ .

(٥ ) فاضل عبد الواحد علي الأعياد والاحتفالات ، حضارة العراق ج٢ ،ص٢١١

ذلك برش المياه النظيفة للمزار وتهدئة التراب، وإحراق البخور والتطهير بالعطور القوية الرائحة للجو، وأيضاً الغسل، وغسل اليدين من قبل المشاركين، وتنظيف الجسم، أي: التطهر[١].

لقد كان الكاهن أو الملك هو الذي يُؤدي وظيفة الإله في هذا الزواج، في حين كانت الكاهنة العليا تُجسد الإلهة (إينانا)، ومع أن هذا الزواج هو محاكاةٌ للزواج بين إلهة الخصب مع زوجها من الآلهة، وقد نجم عن هذا الزواج المقدس اعتقاد سكان بلاد الرافدين بازدهار المخلوقات الطبيعية (النباتات والحيوانات) ونموها وكثرتها، لأن أولى هموم الذهن الإنساني القديم هو استمرار الخصب في الأرض والنسل والمواشي[٢]، وكان المتعبد يعتقد أنه يُؤثر في الطبيعة، ولاسيما خصب الأرض، حينما يُؤدي المراسيم الدينية، ويُؤثر في الإله ذاته حينما يتولى تمثال الإله بالزينة والبخور والدهان، وحينما تجود الأرض وتُعطي ثمارها تُعيد للمتعبد ما قدمه إليها من القرابين[٣].

لذا كانت أهم طقوس التدين لديه هي المرتبطة بالخصب والجنس، إذ كان يعيش بعلاقةٍ مباشرةٍ مع الزراعة والمواشي، كما أن استمرار قوة مجتمعاته متوقفاً على كثرة نسل هذه المجتمعات وعوامل الطبيعة والكوارث والحروب التي كانت تعترض حياة الخصب والتكاثر، جعلت أهداف الإنسان ترتبط ارتباطاً جوهرياً بأثره في خصب الأرض والحيوان وبتكاثر النسل، ويُضاف إلى ذلك البعد العاطفي الذي يُحيط بمشاعر الجنس فيزداد تأثيرها في الإنسان[٤].

لقد كان من أهم الطقوس الخاصة بالزواج المقدس، إقامة سريرٍ من خشب الأرز والأسل في القصر، تُنشر عليه شراشف خاصةٌ جداً، وتستحم الآلهة، وهذا ما ورد في أحد النصوص:

**((أقاموا مخدعا من أجل ملكتي**

**يُطهرونه بجرارٍ مليئةٍ بالأسل والأرز**

---

(١ ) شيماء ماجد كاظم الحبوبي ،الحيوية والاستمرارية ،ص١٢١ ٠

(٢ ) يوسف الحوراني، البنية الذهنية، ص٢٤٤ ٠

(٣ ) اميرة عيدان الذهب، الكاهنات في العهد البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، بغداد ،١٩٩٩، ص١٢-١٣.

(٤ ) يوسف الحوراني ،البنية الذهنية،ص٢٤٤ ٠

**يُقيمونـه من أجل مليكتي كأسرّتهم**

**وعليــه يمـدون الشراشف**

**شراشف تُهيج القلب، تجعل الفراش عذباً**

**مليكتي تستحم على الحضن المقدس**

**تستحـم على حضن الملك[١]))**

ويستمر النص بتفصيل هذه الطقوس، فيذكر الإلهة (إينانا) تدلك جسمها بالصابون، ومن هذا يتبين أن حضارة بلاد الرافدين عرفت الصابون واستخدمته في تلك الطقوس، ويُرش على الأرض زيتٌ معطرٌ، ويمضي الملك إلى السرير المقدس، وهناك يتمُ اتحادهما:

**((إينانا المقدسة تُنظف بالصابون**

**زيت الأرز العطر يُرش على الأرض**

**الملك يذهب رافعاً الرأس المقدس**

**يذهب ورأسه مرفوعٌ إلى إينانا**

**أما وشوم ـ جال ـ أنا ينام معها**

**يُلاطف حباً حضنها القدسي))[٢]**

يتضح من النص مشاعر الود بين العريسين، والعناية بتأدية هذا الطقس[٣]، ومن الملاحظ على الزواج المقدس في حضارة وادي الرافدين أن الكاهنة تُمثل إلهة الجنس والخصب

---

(١ ) صموئيل نوح كريمر، طقوس الجنس، ص٩٧ ؛ينظر أيضاً :
Leonard Cottrell , Lost Cities of Babylon , London: 1975 , p.48

(٢ ) صموئيل نوح كريمر، طقوس الجنس، ص٩٧-٩٨.

(٣ ) لمعرفة تفاصيل الزواج المقدس ينظر :فاضل عبد الواحد علي ،عشتار ومأساة تموز ،(بغداد ،١٩٧٣ )،ص١٣٧-١٥٧ .

(إينانا . عشتار) في أغلب الأحيان، مع اختلاف الوظيفة التي يُؤديها الملك، ففي العصر السومري كان الملك يُمثل الإله (دموزي)، كما في النص الآتي:

**((عندما أكون من أجل الثور البري، من أجل الرب قد استحممت**

**عندما أكون من أجل الراعي (دموزي) قد استحممت**

**عندما أكون بـ... عطفي قد زينت**

**عندما يكونُ الرب دموزي المضطجع إلى جانب إينانا المقدسة))**[١]

ومن هذا النص يتبين لنا أن الإله (دموزي) هو الذي يُمثله الملك في الزواج المقدس، وبما أنه إلهٌ من الدرجة الثانية كان لابد من تغيير هذا العروس (الزوج)، ومع تطور الفكر الرافديني وازدياد إدراك قوة الخصب في الكون نجد أن الإلهة (إينانا) تلتمس أن تُصبح زوجة الإله (آنو)، وقد وافق الآلهة الآخرون على هذه الفكرة، وأقنعوا الإله (آنو) بها، وعندئذٍ؛ وبعد أن عين الرب سمةً عظيمةً لابنه (سين) القمر، قدم لها معبده (أيانا) هدية عرسٍ، وأشركها في ملكوته برفعها إلى مستوى رفقته، ونطق: ليكن اسمك (أنتم) العظمى[٢].

أما في العصر البابلي فقد كانت (عشتار) تشترك في هذا الزواج مع الإله (مردوخ) الإله الرئيس في الدولة البابلية، وفي الدولة الآشورية كانت (عشتار) تشترك في هذا الزواج مع الإله (آشور) الإله الرئيس في الدولة الآشورية[٣]، وكان من أهم تفاصيل الزواج المقدس هو تحكم الكاهنات اللاتي يُمثلن الإلهة (إينانا) بشارات الحكم، وإعطائها هذه الشارات للملك، ومنحها الحياة للملك، وارتباط دجلة والفرات ومياههما بهذا الزواج، أي: تقرير مصير الملك والبلاد من لدن آلهة الخصب، وهذا ما يتبين من النص الآتي:

**((عسى أن يستمتع سيدي الذي دعوته إلى قلبك**

**الملك، زوجك المحبوب، بأيامٍ طويلةٍ في حجرك المقدس**

---

(١ ) صموئيل نوح كريمر ،طقوس الجنس ،ص٩٥ .

(٢ ) يوسف الحوراني ،البنية الذهنية ،ص٢٥٢ .

(٣ ) ينظر :ف فون زودن ،مدخل إلى حضارات الشرق القديم ،ص٢١٠-٢١١ .

**تمنحيه عرش الملوكية على أسسٍ مستديمةٍ**

**وتمنحيه الصولجان والعصا والمحجن التي يقود بها الشعب**

**وتمنحيه من حيث تُشرق الشمس إلى حيث تغرب الشمس**

**من الشرق إلى الغرب، و من الشمال إلى الجنوب**

**من البحر العلوي إلى البحر السفلي**

**من حيث تنمو شجرة الخولوبو[١] إلى حيث ينمو الأرز**

**في بلاد سومر وأكد، تُمنح له العصا واللجام**

**وفي القصر عسى أن تكون حياةً طويلةً**

**وإلى دجلة والفرات عسى أن تأتي مياهٌ فائضةٌ))[٢]**

من هذا النص نستدل على قوة إلهة الجنس والخصب وتحكمها بالآلهة، لقد كانت هذه الطقوس متناغمةً مع الطبيعة وفصولها، وكان الخصب والتجديد أهم متطلبات الإنسان؛ فظهرت الرغبة فيهما في معظم الطقوس الدينية التي كان يُمارسها، كل هذه الظواهر أدت إلى ربط استمرارية الوجود ورغبات الخلود بمشاعر الجنس، فتخيل الطبيعة ذاتها موجهةً بدوافع الجنس[٣].

وبما أن (إينانا) هي روح الطبيعة وقوة الجنس المطلقة أُعطيت هذه الوظيفة الرئيسة، إي: هي التي تمنح الآلهة شارات الحكم، كما تمنح الكهنة التي تنوب عنها هذه الإشارات إلى الملك.

لقد استمر الزواج المقدس في بلاد الرافدين في كل عصور الحضارة الرافدينية[٤]، إلا إنه . بمرور الزمن . تداخل مع احتفالاتٍ دينيةٍ أخرى، فأصبح في الألف الأول قبل الميلاد جزءاً من احتفالٍ

---

(١ ) الخولوبو: لا يعرف على وجه التحديد نوع هذه الشجرة ولكن يظهر من النصوص المسمارية أنها ربما كانت شجرة الصفصاف أو البلوط ينظر : فاضل عبد الواحد وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب ،ص١٧٧ .

(٢ ) طه باقر وآخرون ،تاريخ العراق،ج٢ ،ص٣٧-٣٨ .

(٣ ) يوسف الحوراني ،البنية الذهنية ،ص٤١٢ .

(٤ ) ينظر : Jermey Black,Gods Demons,p 157-158 .

آخر هو عيد (الأكيتو)[١] الذي يشتمل على أمرين: الأول، هو سرد قصة الخليقة[٢]، والثاني، هو إتمام عملية الزواج المقدس الذي يُقام في معبد (إيساكيلا)[٣]، ولقد أُشير إلى لفظة عيد (الأكيتو) بصيغٍ مختلفةٍ، فقد عنت بالسومرية: (a-ki-ti) و(a-ki-te)، في حين لُفظت بالأكدية (a-ki-tum)، لكنها جميعها أشارت إلى احتفالات (الأكيتو)، وأصله هو الاستسقاء، أي: استنزال المطر بطرقٍ سحريةٍ على نحو ما يفعل كثيرٌ من الأقوام في العصور المختلفة[٤]، أما أعياد (الأكيتو) في الشهر الثاني عشر فكانت تحت تسمية عيد (زاك . موك . كا Zag-muk-ka)، وترد . أيضاً . تحت تسمية (زاك . مو Zag-Mu)، و(زاموكو Zammukku)، وتعني: عيد رأس السنة الجديدة[٥].

وكان في تلك الاحتفالات قصائد رثاءٍ وأناشيدٌ وتراتيل تُرتل في موت الإله، ونقرأ في التقويم البابلي أن الحزن والبكاء على الإله كان يبدأ في اليوم الثاني من شهر تموز[٦]، إذ كانت طقوس الحزن تتمثل في إقامة المناحة في الخرائب، وقرع الطبول في قاعة المعبد، ثم اللطم على العينين وعلى الفم، ولبس ثوبٍ يُشبه ثياب المتسولين؛ للدلالة على ترك الزينة والانشغال بالحزن الشديد، كما يتضح في النص الآتي:

**((فأقم علي المناحة في الخرائب**

**واقرع الطبل من أجلي في قاعة المعبد**

**وطُف من أجلي في بيوت الآلهة**

---

(١ ) طه باقر وآخرون، تاريخ العراق، ج٢، ص٣٨ ؛ لمعرفة تفاصيل عيد الاكيتو ينظر : سامي سعيد الأحمد ،المعتقدات الدينية ،ص٤٨-٥٦ .

(٢ ) حول تفاصيل قصة الخليقة ينظر :نائل حنون ،حينما في العلى قصة الخليقة البابلية ،ط١ ،(دمشق ،٢٠٠٦ )،ص٢١-٣٤ .

(٣ ) ايزكلا: معبد الاله مردوخ في بابل كانت تقام فيه شعائر تمثيلية لقصة الخليقة البابلية وانتصار الإله مردوخ على تيامة ينظر :

Jermey Black,Gods Demons,p .77-78 .

(٤ ) حول هذا الطقس ينظر :جيميس فريزر، الغصن الذهبي ،ص٢٤٩-٢٦١ .

(٥ ) شيماء ماجد كاظم ألحبوبي ،الحيوية والاستمرارية ،ص١٢٦ .

(٦ ) فاضل عبد الواحد علي ،إعراس الإله تموز،ص٧٥ .

**والطم عينيك من أجلي، والطم فمك من أجلي**

**والطم ... الكبير من أجلي حيث ...**

**وتسربل من أجلي كالمتسول بثوبٍ واحدٍ**[١]

ومن هذه النصوص نستدل على أحزانٍ تُقام على الآلهة يبدو أنها تدل على الجفاف واختفاء مظاهر النمو في الطبيعة التي تختفي مع اختفاء الربيع ليحل الصيف بجفافه، وتزول مظاهر التجدد والعطاء[٢].

ومن الأعياد التي تدل على الخصب والتجديد ما ذكرته النصوص المسمارية، ومنها عيد (بولوك . كو Bulug-ku)، وعيد ( شي . كو Še-kū)، وعيد أكل الشعير (Ezen-Še-ku-dNanše) الذي كان يُقام في الشهر الذي يلي شهر الحصاد؛ إذ تُقدم السنابل الأولى من الشعير للآلهة في دولة مدينة (لجش)، ويستمر هذا العيد سبعة أيامٍ[٣] ؛ من أعياد الخصب هناك أعيادٌ أخرى في حضارة وادي الرافدين؛ مثل عيد (الأشيشو) الذي يقع في الأيام (١، ٧، ١٥) من كل شهرٍ، ثم صار يُحتفل به أكثر في العصور المتأخرة، أما عيد (عشتار) نينوى فإنه يكون في شهر كانون الثاني[٤]، وكان الإله الذي يأخذ وظيفة (مردوخ) عند البابليين معه الإله (آشور)[٥].

إن كثرة هذه الأعياد واستمراريتها في الحضارة الرافدينية، وارتباطها بإلهة الخصب، وإعطاء هذه الإلهة الوظيفة الرئيسة في هذه الأعياد، واشتراك هذه الأعياد بفكرة التجديد في الطبيعة والعلاقات الجنسية وقدسية ممارستها مع ممثلة الإلهة (إينانا)، وتغير الإله الذي يُمارس معها هذه الوظيفة، كل هذا يُؤكد أن الآلهة الرئيسة في الحضارة الرافدينية كانت تُؤدي وظائف للخصب والعلاقات الجنسية مع الإلهة (إينانا) . قوة الخصب المجردة، وواهبة الحياة .، واختلاف

---

(١ ) وداد جاسم الحوراني، الرحلة إلى الفردوس، ص١٢٨–١٢٩.

(٢ ) فاضل عبد الواحد علي ،إعراس الإله تموز ،ص٧٤ .

(٣ ) شيماء كاظم الحبوبي ،الحيوية والاستمرارية ،ص١٣٣

(٤ ) ينظر :سامي سعيد الأحمد ، المعتقدات ، ص٥٤؛ ينظر أيضاً :تقي الدباغ ،الفكر الديني القديم ،ص٤٦–٤٨ .

(٥ ) ينظر: Manfred Lurker ,The Routledge Dictionary of Gods p 14 .

الإله الذي يُمارس الزواج المقدس مع (إينانا) يدل على تطورٍ في الفكر الرافديني من (دموزي) الذي كان ملك الوركاء إلى (آنو) إله السماء إلى (مردوخ) أهم الآلهة البابلية إلى (آشور) في الحضارة الآشورية، وإعطاء وظيفة الخصب للإله (دموزي) وحده هو أمرٌ يُخالف النصوص المسمارية، فإن تفرد (دموزي) بزواجه من (إينانا) لا يُعطيه الحق بالانفراد بصفة الخصب الذكري، فمثلما أن كل رجلٍ يُؤدي مع قرينته علاقةً جنسيةً تُؤدي إلى الخصب؛ كذلك حال إلهة بلاد الرافدين، والإله (دموزي) هو الوحيد من الآلهة الذي يُوصف بأنه ملكٌ من ملوك بلاد الرافدين رفعته (إينانا) إلى صفة أن يكون زوجاً لها، وأن يكون الإله الراعي، وقد تمكنت من إيصاله إلى الخلود بعد أن أصبح إلهاً في العالم الأسفل، وكثرة أزواج (إينانا) وعشاقها يدل على أنها إلهة الحب والعلاقات الجنسية والخصب.

## الكهنة والطقوس وأعياد الخصب في وادي النيل

لقد تنوعت طقوس وأعياد الخصب التي أقامها سكان وادي النيل لآلهتهم مع تنوع العقائد والمدارس الدينية في بلادهم التي أشرنا إليها في الصفحات السابقة من البحث، وقبل الدخول في تفاصيل هذه الطقوس والأعياد ينبغي معرفة الكهنة المشرفين على عقائد الخصب ووظائفهم.

### الكهنة ودورهم في عقائد الخصب:

في إطار التنظيم القبلي لعصور ما قبل التاريخ في وادي النيل كان لكل قبيلةٍ من القبائل إلهٌ رئيسٌ . وإن لم تستبعد الآلهة الأخرى . وفي عام (٣٢٠٠ ق.م) تقريباً ومع نشأة نظامٍ ملكيٍّ موحدٍّ في وادي النيل الأدنى تجمعت العبادات المبعثرة، واتخذت عاصمة كل إقليمٍ لنفسها إلهاً رئيساً، ومع تدعيم السلطة المركزية للملك وتطورها ظهرت آلهة دولةٍ حقيقيةٍ تُناظر قوى الإحياء الكبرى في الطبيعة الكونية والنباتية[١]، ولكن بمرور الزمن واستقرار الإنسان، أوجد المعبد بيتاً للإله؛ فأصبح موضعاً لعبادته على الأرض، ومكاناً لاجتماع المتعبدين وإقامة الصلوات، وتلاوة التراتيل، وتقديم النذور والقرابين له، والاحتفال بأعياده، وتأدية الشعائر والطقوس الخاصة به، وحفظ أمواله وموارده الثمينة[٢].

أما صفة المعابد فإنها تباينت بين العصور المختلفة؛ فلم يكن المعبد في بداية الأمر إلا كوخاً صغيراً من القصب أو من الخشب ذا سقف مقبىً[٣] إذ بُنيت معابد الآلهة في أول الأمر من القصب، أو من أغصانٍ صغيرةٍ من أشجارٍ رُبطت معاً، ونُصبت في مواضع معينةٍ بالاستعانة بأوتادٍ خشبيةٍ داخل الأرض، وهي دائرية الشكل، وفي مدةٍ متأخرةٍ استعملت فتحة

---

(١) كلير لالويت ،نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة ،ترجمة ماهر جويجاتي ،ط١ ،(القاهرة ١٩٩٦، ) ،مج ٢ ، ص٢٠ ؛ينظر أيضاً: محمد العزب موسى ،حكماء وادي النيل ،( القاهرة ،١٩٩٠ ) ،ص٩٩ .

(٢) تقي الدباغ ، الفكر الديني القديم ، ص٨٢

(٣) ابراهيم رزقانه وآخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ،(القاهرة ، د.ت) . ص٩٣ .

الكوخ باباً أُضيف إليه بابٌ آخر قائم الزاوية، فيما وُضع رمز الإله في قمة هذا الكوخ من الداخل[١].

وكان الإنسان المصري القديم يعتقد أن الكون لا يتجزأ، فلقد نما الاعتقاد لديه بوجود ارتباطٍ بين ملكهم وبين القوى الإلهية الموجودة في عالمه وأنه أحق إنسان في المجتمع المصري القديم يستطيع القيام بالوساطة لديها[٢]، فنمت ظاهرة ألوهية الملك التي لازمت الفكر المصري منذ تحقق التعاون بين أفراد القرية المصرية، وأصبحت الحاجة ماسةً إلى وجود ملكٍ يُحقق مطالب المجتمع، ويُنقذه من كافة المحن الاقتصادية، ويُحقق له الانتصارات الحربية، ومظاهر الاستقرار والأمان[٣]، ومع هذه الظاهرة أوجد المصريون وسيطاً بين الإنسان والقوى الإلهية هو الـ(كا) التي عدوها محتوى الحياة الروحية؛ فقد كانت العلم والوجدان معا بواسطتها يشعر الإنسان بالألم والكآبة، وبالفرح والمتعة، وكان الإنسان جزءاً من هذا الكل، ولا يبلغ هذا الكل إلا إذا امتثل بأفعاله على مدى حياته الأرضية لتعاليم الآلهة ونواهيها، لأن الآلهة هي التي تمنع وتمنح حق البقاء[٤]، فالملك يتصرف على أساس أنه ملهمٌ من الـ(كا) الإلهي الذي يُحيه، لأنه يمتلك المعرفة منذ ولادته، وحين يقول الملك فإن الـ(كا) الخاص بالإله هو الذي يتكلم مكان فمه، ويحكم في سائر الأمور ويتصرف كإلهٍ، وهذا الوحي الذي يتصرف الإله بموجبه يُبرر على أنه إرادة (رع)، فإذا تصرف بعدلٍ محتفظا بـ(ماعت) فإنه يتحول إلى إلهٍ بعد موته؛ لذلك من واجبه تحقيق العدالة سواءً أقام هو بوظيفة القاضي أم أعطى سلطاته لمندوبيه الذين يحكمون تبعاً لإرادته[٥]، وبما أن الملك قد ورث كهانة المعبودات المختلفة في البلاد عن حكام المدن والأقاليم؛ أصبح له من الناحية النظرية حق القيام بأداء الطقوس الدينية للآلهة جميعاً، وهو الأمر الذي لم يكن ممكناً من الناحية العملية، ولاسيما مع تنوع المعبودات وانتشار معابدها في أنحاء البلاد وكثرة

---

(١) واليس بودج ، الساكنون على النيل ، ص١٥٤

(٢) محمد علي سعد الله ،تطور المثل العليا في مصر القديمة ،(الإسكندرية ،١٩٨٩ )،ص٢٠ ٠

(٣) المصدر والصفحة نفسها ٠

(٤) بول فريشاور ،الجنس في العالم ،ص١٢٢ ٠

(٥) محمد علي سعد الله ،تطور المثل العليا،ص٥٤ ؛ينظر أيضاً :

George ,Stindorff and seele ,Keith .C,when Egypt Ruled The East , (Chicago ,1942),P.142 .

الطقوس المقترنةِ بها فضلاً عن كثرة المهام التي اضطلع بها الملك[١]، لذا يكون من الطبيعي أن يُكلف الملك عدداً من المقربين منه لهذه المهام المقدسة، فعينوا أولادهم أو أقاربهم في المناصب الإدارية؛ كأمين مخزنٍ أو وزيرٍ، وكذلك في المناصب الدينية؛ كهاناً في المعابد المهمة، وشغل أحفاد الملوك والأقارب البعيدين مناصب أقل أهمية[٢]، إلا أن ذلك لم يعد كافياً بمرور الزمن، فقد كثرت الطقوس الدينية والشعائر والمراسيم المقدسة؛ مما استدعى تفرغ عددٍ أكبر من رجال الدين للخدمة في المعابد؛ فظهرت طبقة الكهنة المحترفين التي زاد عددها منذ عهد الدولة الوسطى، وتشعبت أعمالها، وتعددت خدماتها، فقد كان قسمٌ من الكهنة يقومون بتلاوة الصلوات والأدعية المقدسة، وإدارة خزينة المعبد، فيما اشتغل قسمٌ آخر منهم بأمور الكتابة وتدوين السجلات[٣].

لقد كانت الأسرة الرابعة وعوامل الضعف التي انتابتها بعد وفاة الملك (منكارع ٢٥٩٤ ـ ٢٥٦٦ ق.م) وتولي الملك (شبسكاف ٢٥٦٦ . ٢٥٦٢ ق.م) الحكم الذي دام سبع سنواتٍ اتسمت بالضعف في الحكم[٤] مما فسح المجال للكهنة إلى التحول إلى قوةٍ في الدولة المصرية ولاسيما كهنة الإله (رع) الذي استحوذ على وظيفة الإله(حور)، وأصبح الملك ابن (رع)، وأعان كهنة (رع) كهنة الإله (بتاح) الذين احتفظوا بوراثة منصب الوزارة بعد أن كانت تلك الوظيفة المهمة تُعطى لولي العهد، وبذلك تكون السلطة قد قُسمت بين (رع) و(بتاح)، فاحتفظ الأول بسلطة الملك، واحتفظ الثاني بمنصب الوزارة[٥].

إن العلاقة بين قوة سلطة الفرعون من جهةٍ، وبين قوة الكهنة من جهةٍ أخرى في التاريخ المصري القديم كانت علاقةً عكسيةً؛ فسلطة الكهنة لم تكن هي الغالبة دائماً، بل كان الكهنة ضعافاً حينما تقوم حكومةٌ قويةٌ، أما في عهد الحكومات الضعيفة، فإن سلطة الكاهن الأكبر

---

(١) ابراهيم رزقانه وآخرون ، حضارة مصر ، ص٩٤ .
(٢) محمد علي سعد الله ،تطور المثل العليا في مصر القديمة ،(الإسكندرية ،١٩٨٩ )،ص٤٦ .
(٣) تقي الدباغ ، الفكر الديني القديم ، ص٧٦ .
(٤) جين بوترو وآخرون ،الشرق الأدنى ، ص٣٠٤ .
(٥) محمد علي سعد الله ،تطور المثل العليا ،ص٦٣–٦٥ ؛ ينظر أيضاً:
Barbara S Lesko ,The Great Goddesses p .89-90.

كانت في حالة تزايدٍ[١]، وأصبح لكل معبدٍ مجمعٌ كهنوتيٌّ يُشرف عليه من الوجهة النظرية أمير الإقليم، أو حاكم المنطقة التي يقع المعبد على أرضها[٢]، وكان أبناء الكهنة حينما يتقدمون طالبين وظيفةً كهنوتيةً في معبد يكفيهم أن يذكروا أنهم أبناء كهنةٍ، يدفعهم في مواصلة هذه الخدمة الفخر الذي يُظهرونه وإباؤهم بالانخراط فيها، فيما تبقى موافقة الملك ضروريةً فقط لإصدار مرسومٍ ملكيٍّ يصدر بتعيين هذا الكاهن أو ذاك من كبار الكهنة، أو القيمين منهم على العبادات الكبرى، فيما حول الملك وزيره بتعيين الكهان ذوي المناصب الدنيا[٣]، وجرت العادة على أن يشغل وظيفة الكهنة أغلب الناس من ذوي المكانة المرموقة في المجتمع إلى جانب إعمالهم ووظائفهم الأخرى[٤]؛ فالقضاة . مثلاً . كانوا كهنة إله العدل، وكان الأطباء كهنة الإله (سخمت)، ومع كثرة الطقوس والشعائر والمراسيم الدينية أصبح من الضروري أن يتفرغ عددٌ أكبر من رجال الدين للخدمة في المعابد، فظهرت طبقة الكهنة المحترفين التي زاد عددها منذ عهد الدولة الوسطى، وتشعبت أعمالها وتعددت خدماتها، فقد كان كهنةٌ يقومون بتلاوة الصلاة والأدعية وإدارة خزينة المعبد، وكهنةٌ اشتغلوا بأمور الكتابة وتدوين السجلات[٥].

ويُقسم كهنة المعبد أربعة أقسامٍ، كل منها يخدم شهراً . بالترتيب .، وكان واجبهم أن يُؤدوا الخدمة الدينية، وكانت هناك طبقتان رئيستان من الكهنة الـ(وعب) التي تعني: الطاهر، والـ(حم نتر) التي تعني: خادم الإله، والـ(وعب) هي الطبقة الأدنى[٦].

أما أهم الأمور والشروط الواجب توافرها في الكهنة؛ فهي: الطهارة الجسدية التي يُشترط فيها حلاقة رؤوس الكهنة وأجسادهم كاملةً بقصد النظافة كل ثلاثة أيامٍ، ثم دهنها بالزيت، وتوضؤهم في أوقاتٍ معينةٍ (ليلاً ونهاراً)، ولم يكن يُسمح لهم إلا بارتداء ملابس الكتان البيضاء[٧] على الرغم من أنهم كانوا في الدولة القديمة لهم لباس أبناء الشعب نفسه، واشترط

---

(١) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني لبلاد وادي النيل ،ص٩٨ .
(٢) طه باقر ، مقدمة في تاريخ ، ص١١٥ .
(٣) سيرج سونيرون ، كهان مصر القديمة ، ص٥٠-٥١ .
(٤) محمد علي سعد الله ،تطور المثل العليا في مصر القديمة ،(الإسكندرية ،١٩٨٩ )،ص٤٧ .
(٥) تقي الدباغ ، الفكر الديني القديم، ص٧٦
(٦) ألن شورتو ،الحياة اليومية في مصر ، ص٧٠ .
(٧) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني لبلاد وادي النيل،ص٩٨-٩٩ .

على كهنة الموتى ارتداء الشعر المستعار، واكتفى الكاهن المرتل بوضع رباطٍ عريضٍ حول صدره وكتفه، إلا أن ذلك تغيرٌ في أيام الدولة الوسطى إلى ارتداء نقبةٍ أقدم طرازاً مما يرتديه الحضور، ورغبةً في إظهار الورع والتقوى توجب على الكهنة الامتناع عن ارتداء المعاطف والأردية المزدوجة والملابس ذات الثنيات، واستثني من ذلك كبار الكهنة فقط، وبغية بلوغ حالة الطهر اشترط عليهم أيضاً الختان[١]، وحُظر عليهم الاتصال الجنسي بالنساء أثناء خدمتهم في المعبد، وفيما عدا ذلك؛ فإنهم يعيشون حياتهم كسائر الناس، لكن فُرض عليهم الاكتفاء بزوجةٍ واحدةٍ في حين كان لغيرهم أن يتزوج من أكثر من واحدةٍ[٢]، وكان الكاهن الأكبر صاحب مكانةٍ مهمةٍ يستمد قوته في الدولة من قوة الإله الذي يقوم على خدمته[٣]، أما دراسة الكهنة فكانت في مدارس المعابد، وتُجرى الامتحانات فيها، ويُفترض أن يتعلموا في مدة الدراسة: اللغة، والكتابة، ومعرفة صور المعبودات وألقابها وصفاتها، وكل ما يتعلق بالطقوس والشعائر الدينية، وبعد نجاح الطالب في الاختبار فإنه يخلع ملابسه، ويحلق رأسه ووجهه، ويتعطر ويرتدي ملابس رجال الدين[٤].

لقد كان الكهان على مراتب ووظائف متنوعة في المعبد؛ فمنهم المختصون الذين يُصنفون من المرتبة العليا، ويعملون في وظائف تخص الخدمة والطقوس وأعمال النظافة اليومية، ومنهم الكهنة المزينين الذين يقومون كل يوم بإلباس التماثيل الإلهية وتزينها، وكانوا يحتفظون بالمجوهرات والملابس وأدوات الطقوس والعبادات في قاعات المعبد المخصصة لذلك؛ وكان هناك المنشدون والعازفات الذين كان لهم أثرٌ مهمٌ في المعبد؛ إذ إن العبادة لم تتضمن فصولاً يترنم بها فقط بل كان يُصاحب أداء طقوسها في أغلب الأوقات قطعٌ ملحنةٌ تُغنى أحياناً على أنغام العود[٥]، وإلى جانب الكهنة عملت الكاهنات في خدمة الآلهة منذ زمن الدولة القديمة، ويبدو أنهن قمن بطقوس العبادة مثل الرجال، وقد كن من سيدات المجتمع الراقي أو بنات كهنةٍ

---

(١) المصدر والصفحة نفسهما .

(٢) سمير اديب ،موسوعة الحضارة المصرية ،ص٦٨٨ .

(٣) سيرج سونيرون ، كهان مصر القديمة ،ص٦٧ .

(٤) تقي الدباغ ، الفكر الديني القديم ، ص٧٧

(٥) حول مراتب الكهنة ينظر : سيرج سونيرون ، كهان مصر القديمة ،ص٦٧ –٧٥ .

ورثن وظائفهن من آبائهن، وعلى الرغم من ذلك ضعفت هذه الظاهرة بمرور الزمن[١]، لكن التخصص في عمل المرأة بالعبادة وارتباطها بالخصب ظهر في زمن الدولة الحديثة، فهناك كاهناتٌ للآلهة (نيت) و(حتحور) وقد أوجدت الأسرة السابعة عشر لقباً كهنوتياً جديدا للملكات أو الأميرات اللاتي سيُصبحن ملكاتٍ، والملكة هي الزوجة الملكية للإله (آمون) التي يحرم عليها الاتصال جنسياً بأي رجلٍ، وكانت زوجة الإله هذه صاحبة سلطانٍ عظيمٍ يُنافس سلطان الفرعون، فقد كانت تمتلك الضياع الضخمة، وتُشرف على موظفين يخصونها، وتتخذ مجموعةً من الألقاب، وتخلع على نفسها صفاتٍ ملكيةٍ، وتُقيم نصباً وآثاراً باسمها، وتُقدم القرابين للآلهة[٢]، كذلك عملت سيدات العائلات الكريمة اللواتي وجدن في خدمتهن للإله (آمون) شرفاً على الرغم من أن عملهن كان يختص بالموسيقى والرقص والغناء، وعُددن حريماً للإله لإدخال السرور على قلبه، وكن على مراتب: فعلى رأسهن زوجة الكاهن الأكبر، وسيدةٌ من الأسرة المالكة هي زوجة الإله أو عابدته، أو الزوجة الحقيقية للإله، التي تتمثل بالإلهة (موت)، ومثال ذلك: الملكة (حتشبسوت)[٣] التي كانت زوجةً إلهيةً قبل اعتلائها العرش المصري[٤].

ويذكر الأستاذ بول فريشاور أن عابدات الإلهة (حتحور) يستسلمن لرغباتهن إلى أقصى الحدود؛ فليس ثمة تعاليم تلزم الفتيات بصون عذريتهن حتى الزواج، بل كن يتعلمن فنون الحب ويُمارسنها على هواهن من غير أن ينتظرن بصبرٍ زوج المستقبل[٥]، فإن لم تفِ النظرة الغرامية بالغرض اتبعنها بالرسائل والقصائد الغرامية التي يتوجهن بها للرجل المختار ليكون حبيباً أو زوجاً:

**يا لحلاوة الاستحمام في حضورك**

---

(١) سيرج سونيرون ، كهان مصر القديمة ،ص٧٦ .

(٢) خزعل الماجدي ،الدين المصري ،ص١٤٤ –١٤٥ .

(٣) الملكة حتشبسوت تولت الحكم في زمن المملكة الحديثة بعد تحتمس الثاني تولى تحتمس الثالث عرش مصر وكان صغير السن وكانت حتشبسوت زوجة أبيه وأم زوجته وعمته في إن واحد وهي امرأة قوية وطموحة وتحمل ألقاب ابنة ملك وأخت ملك والزوجة الملكية لإله أمون فاستطاعت إن تتولى شؤون البلاد واستطاعت من تنحية تحتمس الثالث من الحكم وأمرت بتنويحها بأمر الإله أمون ينظر : سمير اديب ،موسوعة الحضارة المصرية ،ص٣٥٦ .

(٤) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني لبلاد وادي النيل ،ص١٠١ .

(٥) الجنس في العالم ،ص١٣٨ ؛ ينظر : ألن شورتو ،الحياة اليومية في مصر القديمة ،ص٧٠ .

**في الماء يبتل ثوبي الملوكي النسيج**

**ويلتصق بجسدي فيتسنى لك مشاهدة جمالي**

**عندما أذهب معك إلى البحيرة**

**أجلب لك سمكةً حمراء متلألئةً كالمرأة تتمدد بجمالٍ بين إصبعي**

**تعال ينظر إلي**[١]

من هذا القول يُمكن أن يكون الأستاذ بول فريشاور يُؤيد وجود البغاء المقدس في وادي النيل، وأن هذه الظاهرة كانت موجودةً في المعابد عند منذورات الإلهة (حتحور)، ولكن يذهب الدكتور عبد العزيز صالح إلى رأي آخر؛ فيقول: (إلى ترجمة حرم آمون المقدس تعني تلوذ بالإله وتكتسب شيئاً من حرمته وتُشرف على مقدساته وكاهناته عوضاً عن الترجمة الشائعة في بعض المؤلفات الأجنبية والعربية الحديثة، وهي زوجة آمون، وذلك أنه كان مما اختلفت به الديانة في وادي النيل عن غيرها من الديانات الوضعية الأخرى المعاصرة لها، إنها لم تأخذ بمثل المدلول الحرفي لهذا اللقب، وهو مدلول البغاء المقدس، وبمقتضاه كانت تهب الكاهنة العظمى تهب نفسها وعفافها لإلهٍ أو الملك أو كبير الكهان، وتضحي بذلك بأعز ما تملك لإرضاء ربها من أجل شعبها وضمان خصوبة أرضه وخصوبة الأرحام بين أهله، وهو ما لم يحدث مثله في وادي النيل)[٢]، ويذهب الدكتور عبد المنعم جبري إلى غياب المحظيات المقدسات عن الخدمات الدينية النسوية، فلا الكاهنات اللواتي كن يقمن على عبادة الإلهة (حتحور) ولا حتى اللواتي كن يُطلقن على أنفسهن اسم خليلات الإله (آمون) كُن يقمن بهذا العمل، وأما متعبدات (آمون) اللواتي ظهرن قرابة عام (٧٥٠ ق.م) فقد كُن على غير ذلك ينذرن أنفسهن لحياةٍ عذريةٍ[٣]، لكن الأستاذ ألن شورتو يذهب إلى وجود ولائم يُستدل عليها من دراسة النصوص المصرية يتبين وجود أدلةٍ على ظاهرة البغاء المقدس؛ منها وليمةٌ يُقيمها الكاهن يُقدم الشراب في حريةٍ والنساء يقرعن أكوابهن مع الرجال، وتقول واحدةٌ: (ناولني ثمانية عشر قدحاً من النبيذ، إنني أُريد أشرب حتى

---

(١) بول فريشاور ،الجنس في العالم ،ص١٣٨-١٣٩ .

(٢) الأسرة المصرية في عصورها القديمة ، (القاهرة ،١٩٨٨ ) ، ص١٤٥ .

(٣) المرأة عبر التاريخ البشري ،ط١ ،(دمشق ،٢٠٠٧ )ص١٠١ .

انتشي ... إن داخلي مثل القش)، وسرعان ما يحل السكر بنصف الجماعة، وهذا ما يذكره النص الآتي: (ضاعف أفراحك، ولاتدع قلبك يذوي ... اتبع رغبات قلبك، واصنع الطيبات لنفسك، افعل ما تُريد على الأرض، ولا تجعل قلبك يضيق ذرعاً بك حتى يأتي يوم العويل ... ومع ذلك فإن ذا القلب الساكن لا يسمع عويلهم، والصراخ لا يُنجي الإنسان من العالم الأسفل)[١].

نستدل من هذا على وجود ولائم بإشراف الكهنة تجتمع فيها الرجال والنساء، ويُقدم فيها الشراب، لكن هذه الولائم لا تُعطينا الدليل على هذه الظاهرة بشكلٍ أكيدٍ، ولا النصوص التي تدعو إلى الملذات، وإنما من الممكن أن هذه الظاهرة وافدةٌ إلى الفكر الديني المصري وغير متأصلةٍ فيه، وذلك لتوجه المصري إلى الحياة الأخرى وعالم ما بعد الموت وكيفية وصوله إلى الخلود.

### طقوس وقرابين الخصب

من الطقوس التي يقوم بها الإنسان العادي والكاهن والملك: الصلاة، وكانت تُؤدى على وفق أوضاعٍ منوعةٍ كالركوع والسجود والوقوف بخشوعٍ أمام تماثيل الآلهة، فقد كانت هذه التماثيل تُعد نسخاً من تمثالٍ يُحتفظ به في قدس الأقداس[٢] في المعبد، وكان الملك أو الكاهن يُكرر الصلاة أربع مراتٍ لتبلغ زوايا أو جهات العالم الأربعة، ونص الصلاة هو (اعبد سيادتك، بعباراتٍ مختارة، بصلواتٍ تزيد من عظمتك، بأسمائك العظيمة، بمظاهرك المقدسة التي ظهرت بها في اليوم الأول للعالم)[٣].

ومن الطقوس التي ترتبط بالخصب ويُؤديها الكهنة كل يومٍ مع انبثاق الصباح هو أن ينطلق الخدم وبأيديهم الصحاف التي رُصت بأنواع الطعام، وجرار النبيذ يقودهم في ذلك كاهنٌ يُرتل بعض الأناشيد، فتُفتح الأبواب تباعاً وترتفع الأصوات داعيةً الإله الذي يُقدم له الطعام أن يتقبلها حينما يبلغ الموكب رحبة المذبح في وسط المعبد، فيتوقف المسير، وتُوضع الصحاف، وينسحب الحمالون، فيباشر الكهنة بتطهيرها بالماء وإحراق البخور من حولها، فيما تأخذ أشعة

---

(١) الحياة اليومية في مصر القديمة،ص٥٢-٥٤ .

(٢) قدس الأقداس :غرفة المعبد الرئيسية في نهاية المعبد تضم تمثال الإله في مكان يواجه الزائر عند دخوله المعبد وتمتد وراءها غرف كثيرة أعدت لخزن تماثيل الإلهة وأدوات المعبد وحاجاته ينظر :تقي الدباغ ،الفكر الديني ،ص٨٥ .

(٣) خزعل ألماجدي ،الدين المصري ،ص٢٢٥ .

الشمس بالدخول من الكوات الضيقة الموجودة تحت جوانب السقف، ويتقدم أحد كبار الكهان، فيمثل بين يدي الإله ويرتقي السلم إلى قدس الأقداس، ويفتح الختم الطيني عنه[١]، حينها يُنشد رئيس المنشدين في حضرة الإله مرتلاً أنشودة الصباح: (أفق أيها الإله الكبير في سلامٍ، أفق فإنك في سلامٍ، فيُجيبه المنشدون: مفيق أنت، وإنك في سلامٍ، أفق في بهاءٍ وسلامٍ، أفق يا رب هذه المدينة بحياة ...)، ويُعدد الكاهن الصفات الإلهية للإله ولرفاقه، فتبعث الحياة في الجسد الإلهي خمساً وأربعين مرة، أي: بقدر عدد المرات التي يُردد فيها المنشدون: (إنك مفيق، إنك في سلامٍ تنشر على الأرض ذهبك المنثور)، في الوقت نفسه الذي ترتفع فيه الشمس في السماء[٢]، ويبدأ بالركوع عدة مراتٍ، ويقترب من المحراب، ويفتحه ويتناول الكهنة الأدوات الدينية الموجودة في صندوقٍ قريبٍ منه، ويبدأ في التجميل اليومي للإله، فيرش التمثال بمحتويات أربع جرارٍ من الماء، ويكسوه بشرائط من الكتان الأبيض والأخضر والأحمر والمائل إلى الحمرة، ويمسحه بالزيت، ويُزجج عينيه بمساحيق خضراء وسوداء[٣]، وبذلك يتضح أن ما يُراد بطقوس خدمة الصباح هذه تحقيق ولادةٍ جديدةٍ للإله بجسدٍ جديدٍ من عملية مزاوجةٍ بين الطقوس الشمسية، والأوزيرية، يكون الإله بعدها قادراً على النهوض يوماً آخر للقيام بوظيفته الكونية[٤].

وإذا كانت تلك هي تفاصيل طقوس خدمة الصباح، فإن طقوس خدمة الظهيرة تُعد أقل، إذ تتمثل أساساً برش الماء، وحرق البخور أمام مظلات الآلهة في المعبد، وحول قدس الأقداس، وأمام القاعات الصغيرة المخصصة للعبادات المشتركة، وتنظيف الأباريق وتجديد الماء في الحوض الذي يتوجب بقاؤه ممتلئاً، فهو حوض الماء المقدس، يعقب ذلك سكب الماء مرةً أخرى، وإطلاق البخور[٥].

أما الطقوس الأكثر قدسيةٍ؛ فهي الطقوس المسائية، وعلى الرغم من بقاء قدس الأقداس مغلقاً ومختوماً بختمه الطيني تُجرى الصلوات في الزوايا المحيطة به، وتُقدم القرابين والنذور،

---

(١) سيرج سونيرون ، كهان مصر القديمة ، ص٨٨-٨٩ ينظر أيضاً:
James, Baikie, The Ancient East and its story , London, p. 51.

(٢) سيرج سونيرون ، كهان مصر القديمة ، ص٨٨-٨٩.

(٣) تقي الدباغ ،الفكر الديني ،ص٨٥ .

(٤) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني لبلاد وادي النيل ،ص١٠٣ .

(٥) سيرج سونيرون ، كهان مصر القديمة ، ص ٩٥-٩٦ .

ويُسكبُ الماء، ويُحرق البخور، وترفع الأطعمة، وتتم عمليات التطهير التي تكون الأخيرة لهذا اليوم، ويُعاد تكرار كل طقوس الصباح حتى التبخير الأخير، وتُغلق الأبواب، وينسحب جميع الكهنة، ولا يبقى منهم إلا الكاهن الفلكي الذي يرصد النجوم لحساب ساعات الليل[١].

## القرابين

في عصور ما قبل التاريخ كانت القرابين البشرية تُقدم في بلاد وادي النيل، وكانت التضحية البشرية أمراً واقعاً، إذ يذكر أن المصري كان يقرب أخاه الإنسان قرباناً لمعبوده عند اشتداد غضبه، أو حينما يطلب الناس مساعدة الآلهة لهم، وعن ذلك نجد صوراً على جدران المعابد المصرية حتى نهاية العصور المتأخرة جداً لم يتغير شكلها، فهي تُمثل الملك وهو يقتل الأسرى الذين جيء بهم مكبلين أمام الآلهة تكريماً له[٢]، وفي العصور التاريخية ومع تطور الفكر الديني تطور مفهوم القرابين، فتم الإقلاع عن التضحيات البشرية كقرابين للآلهة، وأخذت الضحايا تتكون من الغزلان والماعز البري[٣]، فضلاً عن الثيران التي كان الكهنة يتولون فحصها، فإذا وُجدت فيها شعرةٌ سوداءٌ واحدةٌ عُدت نجسةً، لذا؛ فإن الحيوان يُفحص واقفاً، وراقداً، ويُفحص لسانه، وشعر ذيله، فإذا كان الثور طاهراً من كل الوجوه، يُوسم بعلامةٍ؛ وهي عبارةٌ عن قطعةٍ من البردي تُلصق بالطين بعد لفها على قرنيه، وتختم بخاتم الكاهن، وإذا ما أخل الكاهن بشروط ذلك الفحص فإن عقوبة الموت ستنزل به[٤]، وكان لابد من الفصل بين اسم الحيوان الذي يُستخدم في الحياة اليومية ويُقدم قرباناً وبين اسمه كرمزٍ دينيٍّ له قداسةٌ وعمقٌ روحيٌّ، فإن الصقر اسمه (بيك)، واسمه الديني (حور) أو(حورس)، والبقرة اسمها (أحت)، واسمها الديني (حتحور)[٥].

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٩٧ .

(٢) سليم حسن، مصر القديمة في عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية العهد الاهناسي ، (القاهرة ، د.ت) ، ج٣، ص٢٣٨-٢٣٩ .

(٣) تقي الدباغ ، الفكر الديني القديم ، ص٨٦ .

(٤) ينظر :خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني لبلاد وادي النيل،ص١١٥ – ١١٨ .

(٥) ينظر: Frankfort ,H ,THE Kingship and the gods ,Chicago ,1955 ,p158

ومن الأطعمة التي تُقدم للإله: الخبز، ولحم، البقر،والنبيذ، والماء[١]، وقد أثبت علماءٌ من جامعة مانشيستر في بحثٍ جديدٍ لهم عن فراعنة مصر القديمة أنِ كهنة وخدمة المعابد الفرعونية المصرية كانوا مصابين بالتخمة، ويُعانون من السمنة المفرطة وأمراض تصلب الشرايين، والسبب هو كثرة تناول الأطعمة الدسمة التي كانت تُقدم قرابين للإله الفرعوني، وتقول البروفوسورة روزيلا ديفيد: إن البحث الذي قامت به الجامعة انقسم شقين: الأول، اعتمد على دراسة اللوحات الجداريةِ، ونقوش المعابد الفرعونية، ونصوص اللغة الهيروغليفية التي اختصت بالأطعمة الفرعونية ونوعية الطعام المقدم كقرابين للآلهة، أما القسم الثاني فقد اعتمد على دراسةٍ طبيةٍ للمومياوات الفرعونية، ومومياوات كهنة وخدم المعابد تحديداً للتحقق من أثر الطعام الدسم وغير الصحي في إصابة الفراعنة بإمراض تصلب الشرايين وأمراض القلب، وجاءت النتائج غنيةً ومؤكدةً حقيقة أن كهنة مصر القديمة كانوا من أكثر الناس التهاماً لكميات الطعام الغني بالدسم والشحوم، ويرجع السبب في ذلك إلى كثرة القرابين التي كان يُقدمها المصري القديم إلى الآلهة في المعابد الفرعونية، فكلما كثرت اللحوم والطعام الفاخر كلما زاد ذلك من تقربه للآلهة لنيل الرضا في الحياة الدنيا، وفي الحياة الآخرة على وفق اعتقاده ونصح الكهنة له[٢]، فعند تقديم القرابين التي لا تُحصى فوق جدران معبد الكرنك وغيره من المعابد في مصر يُعرف مدى العلاقة بين الإله والإنسان بما يُسمى (قسمة القرابين) التي تسمح للإنسان الذي يُصلي دائماً أن يكون هو المعطى دائماً، وهذا ما يدل عليه النص الآتي:

**(المكانُ الذي فيه شبيه الملك**

**الإله يرضع كالطفل من ثدي أمه**

**يشربُ اللبن، ويبتسم، ملاذه**

**لن يتوقف أبداً عن مساعدته في استرداد أنفاسه فيأخذ ويأخذ)**

---

(١) تقي الدباغ ،الفكر الديني ،ص٨٥ ؛ ينظر أيضاً :
E.A.wallis budge ,the liturgy of funerary offerings ,the Egyptian texts wlth English translations , (London ,1909)

(٢) قرابين الإلهة سبب موت كهنة مصر القديمة ،الشبكة المعلوماتية
http://www.toutankharton.com/montada/viewtopic

يتبين من هذا النص ارتباط القرابين بالخصب، ودور الإنسان، وعلاقته بالآلهة عن طريق الطاعة، وتقديم القرابين، وكانت القرابين ترتبط بإيمانهم بحياةٍ لا نهاية لها في العالم الآخر، يُحافظ عليها بهذه الطريقة، أي: طريقة القرابين المادية[١]، ومن القرابين التي ترتبط بالخصب كانت عين حورس وقصتها التي أُسندت إلى أسطورة (أوزير): إن (ست) إله الشر، سرق عين (حورس)، حين جرح كلٌّ منهما الآخر حتى الإجهاد المتبادل، وهنا نزع (ست) عين (حورس)، وقد قاتل (حورس) الصغير ابن (أوزير) ـ عمه ـ واسترد عينه من رأسه، وحملها إلى أبيه القتيل ليُعيده إلى الحياة ثانية[٢]، لقد منح (حورس) والده العين التي استأصلها من (ست)، وهذا دليلٌ على تضحية الذات من قبل الابن لأجل أبيه، فجعل (أوزير) روحاً، وبرهن على أنه نعمةٌ لا تُقدر، ومن هنا أصبحت عين (حورس) الطراز الأول لجميع القرابين، ولاسيما تلك التي تُقدم للموتى، إذ كان (أوزير) ميتاً حين أخذ العين، لذلك أُطلق على كل القرابين التي تُقدم للملك المتوفى في فرائض الأهرام (عين حورس) مهما كان نوع القربان[٣]، فيُسمى النبيذ (عين حورس الخضراء)، واللبن يُسمى (عين حورس البيضاء)[٤].

ومن هذه القرابين نستدل على تطور مفهوم القرابين في الحضارة المصرية، وتحوله من القرابين البشرية إلى الحيوانية، وإلى الأطعمة وارتباطه مع التطور الفكري المصري بعقيدة الخصب والتجديد والخلود، فكما أن الطقوس التي تُؤدى للإله تهدف إلى التجديد والانبعاث وخلود (أوزير)، كذلك القرابين تحولت إلى فكرةٍ مجردةٍ من أفكار عقيدة الخصب، إن هذه القرابين تُمثل (عين حورس) أي: الانتقال من التفكير المادي للقربان إلى التفكير المجرد.

### احتفالات وأعياد الخصب

لقد احتفل سكان وادي النيل بأعياد الخصب والانبعاث والتجديد، ويُمكن تقسيم هذه الأعياد على النحو الآتي:

---

(١) ينظر:جيمس هنري برستد : تطور الفكر والدين في مصر القديمة ،ترجمة زكي السوس (القاهرة ،١٩٦١ )،ص ١٢٤ – ١٢٦ .

(٢) صموئيل نوح كريمر : أساطير العالم القديم ، ص ٤٦ – ٥٦

(٣) جيمس هنري برستد : تطور الفكر والدين في مصر ، ص ١٢٣ .

(٤) خزعل ألماجدي ،الدين المصري ،ص٢٣١ ٠

**أولاً: عيد الإله مين (Min)**

وهو من آلهة الخصب الذي يُعتقد أن بالاحتفال به تتجدد خصوبة الأرض(١)، ويُحتفل به في الشهر الأول من فصل (شمو)(٢) عندما يبدأ حصاد القمح، ويتم الاحتفال بهذا العيد في كل معابد الإله (مين) في مصر(٣)، وقد رُسمت على جدران معبد (هابو)(٤) نقوشٌ عن الاحتفال السنوي لـ(مين) في وقت الحصاد، وفي هذا الاحتفال يقوم الملوك بتجديد قواهم، ويُعاد ميلادهم بقوةٍ أكبر، وفي مشهد الافتتاح يذهب الملك إلى بيت أبيه (مين) إلى المعبد المحلي برفقة أبنائه والكهنة والموسيقيين والحراس(٥).

ويحمل الكهنة تمثال (مين) على أكتافهم، وقد ارتدوا جلابيب مزدانةً بأسماء الملك، مع حرصهم على عدم ظهور شيءٍ من أجسادهم إلا رؤوسهم وأقدامهم، تتبعهم مجموعةٌ صغيرةٌ أخرى من الكهنة تحمل لفائف (الخس)، وهو النبات المقدس للإله (مين) مع وجود ثورٍ أبيض يُمثل تجسيداً للإله، أما الملك فيخرج من قصره محمولاً على محفةٍ إلى مقر والده الإله (مين) على ظهر اثني عشر رجلاً(٦) من أبنائه وكبار موظفي الدولة، ويمشي في مقدمة الموكب عددٌ آخر من أبناء الملك والرجال المهمين في الدولة يحملون الشعارات الملكية كالصولجان والسوط، كما يشترك في الموكب عددٌ من رجال الجيش وخدم البلاط(٧)، وحينما يصل الموكب إلى المعبد

---

(١) اريك هورنونج ،ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعدد ،ترجمة محمد ماهر طه ،(القاهرة ،١٩٩٥ )،ص٢٨٢ .

(٢) قسم المصريين القدماء العام الى اثنى عشر شهراً قوام كل واحد ثلاثون يوما فيصبح عدد أيام العام ثلاثمائة وستون يوماً واضافوا لها خمسة ايام هي أيام النسي الخمسة وقسم العام إلى ثلاثة فصول كل فصل يتكون من اربعة اشهر وهي فصل الفيضان (احت) وفصل الشتاء (برت )وفصل الصيف (شمو)اما الاشهر فهي ١– تحوت ٢–بابه ٣–حتحور ٤–كيهك او كاهاكا ٥–طوبه ٦ –امثير ٧–بامونت ٨–بارا حاموت ٩–باخونسو ١٠ –باوني ١١–ابيب ١٢–ميت رع ينظر :عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة في الديانة المصرية ،ص١٠٨ .

(٣) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني لبلاد وادي النيل ،ص١٠٣ .

(٤) معبد هابو : معبد بناه الملك رمسيس الثالث في زمن الأسرة العشرين ،في مدينة الأقصر قرب نهر النيل ينظر :روبرت ارموار ،آلهة مصر ،ص١٣٦ .

(٥) روبرت ارموار ،آلهة مصر ،ص١٣٦ .

(٦) مونتيه بير ، الحياة اليومية في مصر من عصر الرعامسة من القرن الثالث عشر إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، ترجمة عزيز مرقس منظور ، (القاهرة ، د.ت) ص٣٨٨ .

(٧) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، ص٨٦ .

ينزل الملك ليدخل المعبد، ويقف أمام تمثال الإله ليُباشر طقوس العبادة من تبخيرٍ، وتطهيرٍ، وتقديمٍ للقرابين[١]، ويتولى كاهنٌ حليق الرأس عارٍ في نصفه الأعلى حرق البخور أمام الملك والثور وتمثال الإله، يلي أولئك مجموعةٌ تحمل القرابين، وأخرى تحمل تماثيل الملك وأصدقاءه وعلامات أو رموز الآلهة على سارياتٍ[٢]، ويستمر الموكب في سيره حتى يصل قدس الأقداس؛ فيُقدم الملك القرابين مرةً أخرى، وتُوضع تماثيل الآلهة على الأرض، ويلتف المحتفلون حول الملكة، والملك الذي يُقدم له منجلٌ، وحزمةٌ من الغلال؛ فيقطع السنابل من أعلى الساق، فيُنشد أحد الكهنة نشيداً للإله المقيم في الحقول، وتقدم حزمةٌ أخرى من سنابل القمح إلى الملك؛ فيحتفظ بواحدةٍ منها، ويُنشد الكهنة الأناشيد[٣]، وتتقدم مجموعةٌ من الكهنة الذين يحملون الهدايا للإله، ويحملون لفائف نبات الخس الذي يُمثل مصدر القوة الجنسية للإله (مين)[٤]، وبذلك ينتهي الحفل، ويُعاد تمثال الإله إلى تابوته، وتُذبح القرابين بأمر الملك مرةً ثالثةً؛ فيشكره الإله، ويعود الملك إلى مقره؛ بعد أن تم تجديد خصوبة البلاد في عهد ملكٍ زاهدٍ، وتزدهر .نتيجة ذلك الاحتفال . في أيامه الحياة، وتكثر الخيرات[٥].

وتُمثل الملكة شخصية (إيزيس)، وتمشي حول زوجها وتقول تعويذةً ربما لتُؤكد إعادة ميلاده، ويُضحى بثورٍ أبيض يبدو أنه رمز قوة الملك، وتُسلخ أذن الثور، وتُقدم للملك، ويُشاهده تجمع العامة، وفي أثناء ترتيل العامة يحتضن الملك الملكة (إيزيس) والحضن رمزٌ لإعادة الميلاد للملك (مين)، وقد أُعيد إلى الطهارة والخصوبة والقوة الجنسية، وتطير أربعة طيورٍ تحمل الأخبار إلى الجهات الأربعة[٦].

---

(١) روبرت ارموار ،آلهة مصر ،ص١٣٦ .

(٢) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني لبلاد وادي النيل، ص١٠٣-١٠٤ .

(٣) مونتيه بير ، الحياة اليومية في مصر من عصر الرعامسة، ص٣٩٣ .

(٤) عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة في الديانة المصرية ،ص١٠٩ .

(٥) مونتيه بير ، الحياة اليومية في مصر من عصر الرعامسة، ص٣٩٣ ، وكذلك : الدباغ ، الفكر الديني القديم ، ص٨٧

(٦) روبرت ارموار ،آلهة مصر ،ص١٣٧

ومن أسماء هذا الاحتفال صعود الدرج؛ وذلك لأنه الإله يقف على درجة سلم ويتناول من يد الملك سنابل القمح الأولى التي تم حصادها[١]، ومن المحتمل أن تكون طقوس الزواج المقدس يُحتفل بها بين الملك ممثلاً للإله (مين) والملكة ممثلةً للإلهة (إيزيس) أو (حتحور) في نهاية الاحتفال[٢]، وعلى مر الأيام ومع تطور المبدأ الأوزيري في المعتقدات المصرية أخذ هذا الاحتفال صفةً أوزريةً وصار (مين) يُمثل الإله (أوزير)[٣].

**ثانياً: عيد سوكر[٤] (Sokar)**

تتم طقوس الاحتفال بهذا العيد في المعبد، ويقوم بها الكهنة، وبعد ذلك يحتفلُ الشعب بهذا العيد، ويستمر الاحتفال عشرة أيامٍ، وأقيمت أعياد هذا الإله في زمن المملكة الحديثة، وكان أتباع هذا الإله يلبسون أطواقاً من البصل رمزاً للخصوبة، وفي المساء يقومون بإحضار حزمٍ من البصل إلى مقابر موتاهم، وهناك يسهرون الليل في انتظار بعث الإله (سوكر) الذي يرتبط بالإله (أوزير)[٥].

ومن هذا الطقس نستدل على أثر الإله (أوزير) في اندماج الآلهة المصرية به، وعلى ارتباط الخصب بالخلود وعالم ما بعد الموت والبعث والتجديد.

**ثالثاً: أعياد الإله (آمون)**

أ. **عيد أوبت**[٦]: وهو من أكثر الأعياد الإلهية جمالاً، فهو عيد (أوبت) الذي يُعد احتفالاً بالإله (آمون)، وفيه يقوم الإله (آمون) و(موت) و(خنسو) بزيارة معبده الجنوبي في الأقصر والعودة، وهو أطول الأعياد؛ فقد كان في زمن (تحتمس الثالث)(١٥٠٤-١٤٥٠ ق م)، ويمتد عشرة

---

(١) مانفرد لوركر ،معجم المعبودات ،ص ٢٣٠ .

(٢) روبرت ارموار ،الهة مصر ،ص١٣٧

(٣) عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة في الديانة المصرية ،ص١٠٩ .

(٤)سوكر :اله الحرفين والموتى عبد في منف يرتبط بالإله بتاح في عهد الدولة القديمة وارتبط فيما بعد بأوزير .، ينظر : اريك هورنونج ، ديانة مصر الفرعونية،ص٢٨٩ .

(٥) عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة ،ص١١٠ .

(٦) معبد اوبت :تدل كلمة اوبت على أماكن إقامة نساء الملك وترجمة الكلمة تدل على الأماكن الخاصة في القصر الملكي الذي تخلوافيه النساء بأنفسها وفي المعابد كانت تدل على أقصى مكان فيه والترجمة لهذه الكلمة (معبد اوبت )المعبد الجنوبي ينظر:الن شورتر الحياة اليومية في مصر،ص١٠١ .

أيامٍ، وقد امتد في عهد (رمسيس الثالث) (١١٨٤ـ١١٥٣ قبل الميلاد) سبعةً وعشرين يوماً، ونتيجةً لشعبية هذا العيد أطلق اسمه على اسم الشهر الذي يجرى فيه(١)، وكانت احتفالات هذا العيد تُقام في موسم الفيضان حينما يبلغ ارتفاع مياه النيل أعلى مستوياتها(٢)، ويشترك في هذا العيد عددٌ كبيرٌ من السكان في الشهرين الثاني والثالث من الفيضان، ويكون المزارعون قد انتهوا من أعمالهم الزراعية، ويبدأ الاحتفال من معبد (أوبت) في الكرنك الذي يقوم فيه رجال الدين بتجميع أسطولٍ من المراكب والزوارق أجملها مركب الإله (آمون) والإلهة (موت) والإله (خوفو)؛ لأنها تبدو كأنها معابد حقيقيةٌ تطفو على الماء، فطولها مئةٌ وثلاثون متراً، وهي مزينةٌ بزخارف بديعةٍ من الذهب، والفضة، والنحاس، والفيروز، واللازورد، وقد أُقيم على سطح مركب الإله (آمون) معبدٌ على غرار معبده في (طيبة)، مزينٌ بنقوشٍ تُمثل الملك، وعلى المركب بيتٌ تُوضع فيه التماثيل التي جيء بها من المعابد الأخرى في احتفالاتٍ خاصةٍ، وتسبق هذا البيت مسلتان وأربعة سارياتٍ للأعلام، وهو يتشابه بذلك الحال بالمعابد الحقيقية، ونظراً لثقل هذه المراكب كان الجنود يجرونها إلى مجرى نهر النيل بحبالٍ مفتولةٍ وبمساعدة الناس وسط غناء النسوة وتصفيق الرجال وقرع الطبول(٣)، فيُنزل مركب الإله (آمون) الذي يتميز . فضلاً عن كل ما تقدم . بوجود رأس الكبش في نهايته، ويُنزل مركب زوجته الإلهة (موت) الذي يتميز بوجود رأس سيدةٍ في نهايته، أما مركب الإله (خوفو) فينزل إلى النهر وقد وُضع على نهايته رأس صقر(٤)، وقد كانت هناك حشودٌ تصطف على النهر من سكان طيبة، والجنود والكهنة، والمغنين من الذكور والإناث؛ فيبدأ الشباب والفتيات بالرقص بحركاتٍ إيقاعيةٍ على قرع الطبول والأناشيد، ويشرع الناس بشراء الحجب، والتمائم، والسلع، والأطعمة، والأشربة من صغار التجار والباعة المرابطين ببضائعهم على امتداد الطريق، ويتخلل الحشد الكثير من القصاصين، والمنجمين، والشحاذين، والمشعوذين، والمومسات، وتحصل المشاجرات، ويمتزج ذلك الفرح بالخداع والعنف، وتمتزج النشوة الروحية بالشهوة الحيوانية(٥)، وبعد عودة الإله إلى معبده في الكرنك بطريقة مشابهةٍ لاحتفالات قدومه

---

(١) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني لبلاد وادي النيل،ص١٠٨ .

(٢) عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة ،ص١١٣ .

(٣) تقي الدباغ ، الفكر الديني القديم ، ص٨٨ .

(٤)المصدر والصفحة نفسهما ؛ ينظر أيضاً :

E.A.wallis budge ,Egyptian magic ,London ,1901 ,p12-14 .

(٥) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني لبلاد وادي النيل،ص١٠٩ .

يحتفل الناس مرةً أخرى بعودة الإله (آمون)[١]، فيعتقد الملك بعد هذا الاحتفال أن الآلهة قد منحت الحياة والخير والسؤدد له، ولشعب وادي النيل[٢].

**ب. عيد الوادي:** وهو العيد الثاني لـ(آمون)، ويكون في الشهر العاشر من السنة، وفيه يقلع مركب (آمون) المقدس من مرساه للاحتفال، فيعبر النيل؛ ليزور المعابد الجنائزية للملوك في الضفة الغربية، وذلك لصب الماء لملوك مصر العليا والسفلى، ومدة عيد الوادي أقصر من مدة عيد (أوبت)، فهو يستمر عشرة أيامٍ فقط؛ يخرج الملك في أولها من قصره مرتدياً زياً رخيصاً يتبعه حاملو المظلات، وخدمه، ويرتدي قبل دخوله المعبد (فوطةً) فاخرةً، ويضع فوق رأسه غطاءً فيه رمزٌ لقرص الشمس، والريش، وثعابين الكوبرا وقرون الثور، وقرون الكبش[٣]، وتُقدم فيه القرابين، وتُوزع فيه الزهور، فيُجهز الكهنة تمثال الإله في موكبٍ كبيرٍ حتى يصلوا إلى ضفة النهر، وعندها يُوضع تمثال الإله في مركبٍ يُبحر به إلى غرب طيبة إلى حافة الصحراء عند المقابر، وفي المساء يسير الموكب الذي يتقدمه الملك وكبار الكهنة الذين يحملون تمثال الإله (آمون) في ضوء القناديل؛ فيصعدون إلى المقابر وهم يحملون الطعامَ بكمياتٍ كبيرةٍ، وهناك يحتفلون بزيارة أهل المقابر[٤]، ونستدل من هذا على ارتباط المياه والخصب بالانبعاث والخلود.

**رابعاً: أعياد الإله (أوزير):**

وتُسمى أعياد (أبيدوس)، وكان يُراد بها تخليد فتح (أوزير) البلاد في العيد الأول، وكان العيد الثاني عيد الخروج الأكبر الذي كان يأتي بعد العيد الرئيس لتخليد مقتل الإله والحداد عليه، أما عيد يوم العراك فهو احتفالٌ بهزيمة أعداء (أوزيريس)، أما عيد الإلهة (إيزيس) فكان يُحتفل به في مدينة (أوزيريس) التي يُوجد فيها أكبر معبدٍ لهذه الآلهة، وتقع هذه المدينة في وسط الدلتا[٥].

وفي احتفالات الإله (أوزير) يقوم الكهنة بعرضٍ تمثيليٍّ يُؤدون فيه مشاهد مقتل وتجهيز الإله (أوزير)، وفي هذا العرض يرتدي الكهنة أقنعةً تُمثل الآلهة الذين قاموا بالأحداث في

---

(١) عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة ،ص١١٥ .

(٢) الدباغ ، الفكر الديني القديم ، ص٨٩ .

(٣)خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني لبلاد وادي النيل،ص١١٠ .

(٤) عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة ،ص١١٥-١١٦ .

(٥) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني لبلاد وادي النيل ،ص١٠٧ .

الأسطورة، وكان الاحتفال يجري عند ضفاف النيل، فتحتشد جموع الناس لمشاهدة العرض[١]، وكان الناس يُشاركون في أداء الأحداث الثانوية في تلك التمثيليات، أما الأحداث الرئيسة فقد تُركت للمحترفين بإشراف مخرجين، يبذلون جهوداً كبيرةً لإتقان ذلك التمثيل من أداءٍ ولباسٍ[٢].

وتشمل الاحتفالات بعيد الإله (أوزير) زيارة المقابر وتقديم الهدايا والقرابين لهم، ويقوم ذوي الموتى الذين لم يُدفنوا في (أبيدوس) بإقامة شواهد قبورٍ وألواحٍ تذكاريةٍ لموتاهم؛ لكي يكونوا بالقرب من الإله (أوزير) [٣].

وكان ارتباط (أوزير) بـ(حورس) يُمثل التجديد الذي يُجسد بهذه الشعائر والخصب والخلود[٤].

**خامساً: أعياد الملوك**

ومن بين تلك الأعياد الملكية العيد المعروف بـ(حب سد) الذي يُعد الأشهر من بين هذه الأعياد، وقد جرت العادة أن يُسمى (عيد اليوبيل) الذي يُراد به العيد الذي يتم الاحتفال فيه بانقضاء ثلاثين عاماً على ارتقاء الملك عرشه، والغرض من هذا الاحتفال هو أن يُظهر الملك لشعبه قدرته على الاستمرار في الحكم، وإن قوته الجسدية ما زالت على حالها دون أن يعتريها الوهن[٥]، إلا أن ملوكاً احتفلوا بهذا العيد بعد مدةٍ قصيرةٍ من توليهم العرش، وليس بعد ثلاثين عاماً، أما موعد الاحتفال فقد كان فصل الربيع حينما تخضر الأرض، وتنمو النباتات في الحقول والمراعي[٦]، وهذا العيد يعود إلى طقسٍ قديمٍ يُضحى فيه بالملك بعد عام حكمه الثلاثين حتى لا يتأثر الخصب والنماء بشيخوخة الملك وضعفه فتقل المحاصيلُ، ويقل الخصب، وبعد التضحية

---

(١) عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة ،ص١١٢ ؛خزعل ألماجدي ،الدين المصري ،ص٢٥٧ .
(٢)ينظر: Barbara S Lesko ,The Great Goddesses p 167 .
(٣) خزعل ألماجدي ،الدين المصري ،ص٢٥٧ .
(٤) ينظر : Manfred Lurker ,The Routledge Dictionary of Gods p 74 .
(٥) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني لبلاد وادي النيل ،ص١١٢ .
(٦) تقي الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المصدر السابق ، ص٨٩ .

بالملك يُعين مكانه شابٌ قويٌ صحيح الجسم خالٍ من مظاهر الضعف[١]، وقد كانت الطريقة التي يُضحى بها بالملك هي لدغة ثعبان[٢]، ولكن بمرور الوقت والتطور الفكري تطور هذا العيد، وأصبح يهدف إلى التجديد والانبعاث والخصب، ويكون الاحتفال فيه بالشروع بمسير موكبٍ عظيمٍ، تُحمل فيه تماثيل الآلهة التي يسير الملك خلفها ومعه رجال الدين الذين يحملون رموز الآلهة، ويبدأ الملك بزيارة الآلهة في معابدها[٣]، فيتقدم الموكب الملكي إلى المقاصير المحيطة بفناء (الحب سد) التي يجتمع فيها آلهة أقاليم الوجه القبلي للحصول على موافقتهم لاستمرارية الملك في الحكم، ويصحبه بعدها كاهنٌ إلى المنطقة الموجودة في جنوب ساحة (الحب سد) فيجلس على كرسي العرش الخاص بالوجه القبلي، ويُتوج بالتاج الأبيض، ويتكرر الاحتفال مرةً أخرى بالنظام نفسه للحصول على موافقة آلهة الوجه البحري؛ فيجلس الملك على كرسي عرش الوجه البحري، ويُتوج بالتاج الأحمر، ويُعمد إلى ربط زهرة اللوتس والبردي على وتدٍ مثبتٍ بالأرض كعلامةٍ على اتحاد المملكتين، مع إظهاره لخفته البدنية التي يتوقف عليها بقاؤه في الحكم، وخصوبة الأرض الزراعية على وفق معتقداتهم[٤].

وينتهي الحفل بتقديم أمراء البيت الملكي وكبار رجال الدين أنفسهم إلى الملك[٥]، ولم يقتصر هذا العيد على الجانب الرسمي، بل كانت هناك احتفالاتٌ عامةٌ، وكان لها عند الناس أهميةٌ كبيرةٌ، وقد ربطوا بين عيد (سد) وفيضانات نهر النيل، فكانوا يتفاءلون بها، ويرونها بشير خيرٍ تُرضي النيل فيفيض جالباً الخير[٦].

**سادساً: الزواج المقدس:**

---

(١) سليم حسن ،مصر القديمة ،ج٥ ،ص٨٨-٨٩ .

(٢) خزعل ألماجدي ،الدين المصري،ص٢٥٣ .

(٣)تقي الدباغ ، الفكر الديني القديم ، ص٨٩ .

(٤) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني لبلاد وادي النيل،ص١١٣ .

(٥) تقي الدباغ ، الفكر الديني القديم ، ص٨٩ .

(٦) عباس الحسيني ،مجتمع الآلهة،ص٣٣ .

يُعد الزواج المقدس من طقوس أعياد الخصب في وادي النيل، وقد تطورت طقوس هذا الزواج من إشاراتٍ إلى طقسٍ منظمٍ في زمن الدولة البطلمية[١] التي يبدأ فيها في اليوم الخامس عشر من الشهر العاشر (بؤنة)، فتُؤخذ صورة الإلهة (حتحور) من قدس الأقداس الخاص بها في معبد (دندرة) للإبحار جنوباً نحو معبد (حورس . بادفو)، وتتوقف الإلهة هي وإتباعها كثيراً في طريقها، وتصل (ادفو) في يوم القمر الجديد نهاية الصيف، وهناك في ليلة الاحتفال السنوي لنصر (حورس) على (ست) يُترك (حورس) معبده ويقوم بتحية زوجته على صفحة الماء، وفي هذه الليلة يقضي الزوجان وقتهما في هيكل بيت الميلاد، وفي اليوم التالي يستمر الاحتفال ويُضحى بثورٍ أحمر وماعزٍ حمراء[٢]، ويلبس الكهنة والكاهنات المحتفلين ملابس حمراء، وتكون كاهنة الإلهة (حتحور) هي زوجة الملك[٣]، لقد صُورت هذه الشعائر على جدران معبد الكرنك[٤]، ولكن مع تشابه الوظائف بين الإلهة (حتحور) والإلهة (إيزيس) ومع تطور الدين يكون من الممكن أن تكون أم (حورس) في هذه الشعائر وزوجة الملك هي (إيزيس)[١]، ويتضح من هذا تطور طقوس وأعياد الخصب في الحضارة المصرية مع مرور الزمن والتغيرات التي شهدتها أرض مصر حتى تصل إلى طقس الزواج المقدس، وبارتباط (حورس) بـ(أوزير) يتضح أن أغلب الآلهة التي أخذت مهاماً في الخصب قد اندمجت بـ(أوزير) في مراحل تطور الديانة المصرية، فلقد ربط سكان وادي النيل بين (أوزير) وبين كل التطورات التي تحدث على سطح الأرض في العام؛ فتُؤثر في إنتاجهم الزراعي، فعندما يجيء الماء يكون (أوزير) هو الماء الجديد الذي

---

(١) الدولة البطلمية :وهي الدولة التي حكمت مصر بعد وفاة الاسكندر الأكبر عام (٣٢٣ ق٠م ) واستمر حكام البطالمه الى أخر حكامهم على مصر بطليموس الرابع الذي توفى عام (٢٠٥ ق٠م ) وبعد ذلك أصبحت مصر تحت حكم السلوقين ينظر : منيرة الهمشري ،دبلوماسية البطالمة في القرنين الثاني والأول ق٠ م ،(القاهرة ،د ت ) ، ص٢٥-٣٠ ٠

(٢) روبرت ارموار ،إلهة مصر ،ص٨٥ ٠

(٣) Barbara S Lesko ,The Great Goddesses , p 89-90.

(٤) ينظر : Michael Jordan , Dictionary of Gods and :p 17.

يكسب الحقول الخضرة مع أن (أوزير) صار مع الماء نفساً واحدةً، وهو مصدرٌ للخصب بوصفه مانح الحياة، وكان اصفرار النبات وفنائه يعني موت (أوزير)، ولكن موته ليس أبدياً، إذ اعتقدوا أن الحياة تعود إليه كل عامٍ، وبعودتها تنبت المزروعات، وتنبعث الحياة في الإنسان والحيوان[٢].

ومن هذه الطقوس والأعياد تتضح أهمية الإله (أوزير) الذي تطورت عبادته مع الزمن، ويتبين اندماج الكثير من الآلهة معه، فقد أصبح إله الخصب، وإله الخلود، وقاضي الأموات حتى يصلوا إلى الخلود والتجديد والانبعاث.

(١) ينظر : Manfred Lurker ,The Routledge Dictionary of p 75 .

(٢) احمد أمين سليم ،دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم مصر والعراق دراسة حضارية ،ط٢ ،(بيروت ،٢٠٠٩ ) ص١٦٢-١٦٣ .

**أوجه الاختلاف في الكهنة والطقوس وأعياد الخصب للحضارتين**

أشرنا سابقاً إلى أن عزلة بلاد وادي النيل وتميزها بجغرافيةٍ طبيعيةٍ تُخالف وضع بلاد الرافدين أدت إلى اختلافٍ في طقوس وأعياد الخصب(١).

إن من أهم الظواهر التي كانت موضعاً للاتفاق في الفكرة والشكل واختلافاً في المضمون في الفكر القديم هي ظاهرة عقائد الخصب، فلهذه الفكرة وليدة شعور الإنسان بحاجته إلى استمرار الحياة، أما أسباب الخلاف في مضمون هذه الفكرة بين حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل فإنها عزلة بلاد وادي النيل وتميزها بجغرافيةٍ طبيعيةٍ تُخالف وضع بلاد الرافدين(٢) أدت إلى اختلافاتٍ في كهنة وطقوس وأعياد الخصب، ويُمكن تقسيم هذه الاختلافات على النحو الآتي:

**أولاً:اختلاف كهنة عقائد الخصب**

لقد كان الكاهن في بلاد الرافدين وكيلاً أو نائباً عن الآلهة(٣)، أما في وادي النيل فإن أصل فكرة الكهانة جاءت من فكرة ألوهية الملك الذي أصبح هو الكاهن، وهو الحاكم، وهو الإله؛ مما أدى إلى أن تكون السلطة الدينية والدنيوية واحدةً، واستمرت فكرة ألوهية الملك في حضارة وادي النيل(٤)، فالنصوص المصرية تُشيرُ إلى أن الملك هو الابنُ الأولُ والصورة الأولى للإله الخالق، وتُشيرُ النصوص . أيضاً . إلى أن الإنسان صورةٌ للإله، وأن الملك هو تمثال الإله في المعبد، ويكون مخفياً في العادة، ومنعزلاً في قصره عن الناس، ولكنه عندما يخطو إلى الخارج ويظهر لرعاياه محاطاً برموز القوة والحماية، ويُصبح الإله الحاضر للناس المتزلفين والمبتهجين، إذ يسمح لهم بأن يحسوا بحضور الإله الخالق (الملك) الذي سيُنجز أعمالهَ بالكلمة كما يعتقدون؛ لأن كلمته هي نطق الإله ذاته، ويُعد (رع) الإله الذي يُعرف أساساً في مظهر الملك، وهو خالق العالم وحاميه، وقد كان كبار الموظفين الرسميين في الدولة الحديثة ينادون الملك: (أنت رع)(٥)،

(١) ينظر :التمهيد ،من الرسالة .

(٢) بول فريشاور ،الجنس في العالم ،ص١٢١ .

(٣) ينظر المبحث الأول ،من الفصل الرابع ،من الرسالة .

(٤) اريك هورنونج ،ديانة مصر الفرعونية ،ص١٣٩ –١٤٠ .

(٥) اريك هورنونج ، ديانة مصر الفرعونية ،ص١٣٩ –١٤٠ .

فترتب على هذا المعتقد قوة الحكم الفردي، وتسلط الملوك، فالملك هو المسؤول عن إقامة المعابد الجديدة، وترميم القديم منها، وتشييد الأضرحة، وهو الذي يزور المقابر ويتفقد أحوالها بصفته ابن الآلهة، فيكون هو المسؤول عن أداء الوظائف الدينية التي تتعلق بالآلهة، ولكون الملك هو الكاهن الأعظم؛ فهو الذي يقوم بتعيين الكهنة الذين ينوبون عنه في إقامة شعائر العبادة في المعابد المنتشرة في البلاد، والملك بعد موته سيلتحق بالآلهة في السماء[١]، على ما يذكر الأستاذ هنري فرانكفورت: إذا لم يكن الملك حِلاً في الإله يصبح الاثنين واحداً، وهذا ما ورد في النص الآتي: (إنه سيا إله الإدراك، وإنه رع الإله الشمس، إنه خنوم خالق البشر على دولاب الخزف، إنه باست الإلهة الحامية، إنه سخمت إلهة العقاب)؛ فإن الفهم، والحكم الأعلى، وإكثار السكان، والحماية، والعقاب؛ كلها خواص الملك، وهو كلٌّ من هذه الآلهة والإلهات، وهو في الحياة الأخرى شبه وسيط بين الإلهة وأفراد الشعب يظلهم بحمايته[٢].

ولهذا السبب كان رجال البلاط وكبار الموظفين يحرصون على أن تكون مقابرهم بالقرب من مقبرة ملكهم حتى ينعموا بخدمته في الحياة الأخرى كما نعموا بها في الحياة الدنيا[٣].

أما في بلاد الرافدين؛ أدى انفصال الكاهن عن الملك (منذ عصر فجر السلالات) إلى مراقبة أحدهما للآخر، وعدم تسلط الملوك بشكلٍ مطلقٍ مما أعطى حريةً في الفكر الديني وتطوراً لعقائد الخصب، ومساواة إمام الإلهة بين سكان بلاد الرافدين على غير بلاد وادي النيل[٤].

## ثانياً: أثر الكاهنة في المعبد وعقائد الخصب

---

(١) انتصار ناجي عبد زنكي ،الأوضاع السياسية والإدارية في مصر ،ص٩٦ .

(٢) ما قبل الفلسفة ، ص٨٢

(٣) انتصار ناجي عبد زنكي ،الأوضاع السياسية والإدارية في مصر ،ص٩٦

(٤) ينظر :المبحث الأول ، الفصل الرابع من الرسالة .

كان هذا الأثر في بلاد الرافدين أكثر تنظيماً وظهوراً من وادي النيل، فقد كانت الكاهنات مقسماتٍ مراتب منذ عصورٍ مبكرةٍ في الحضارة الرافدينية[١]، في حين لم تظهر آثار الكاهنات بشكلٍ واضحٍ في الحضارة المصرية إلا في زمن الدولة الحديثة[٢]، أي إن حضارة بلاد الرافدين سبقت حضارة وادي النيل بإعطاء المرأة وظيفةً في القيادة الدينية، وهذا يعود إلى تطور عقائد عبادة الإلهة (إينانا) منذ الألف الرابع، ونضج هذه العقيدة في بلاد الرافدين، في حين تنافست العقائد في وادي النيل للسيطرة على فكر الشعب؛ مما أدى إلى تنافس كهنة هذه العقائد وعدم هيمنة عقيدةٍ واحدةٍ على الحضارة المصرية إلى أن تمكنت عقيدة (أوزير) في زمن المملكة الوسطى من أن تكون أكثر عقائد الخصب انتشاراً وترتبط بالخلود[٣].

### ثالثاً: قرابين الجنس

على الرغم من اختلاف الباحثين في مقبرة (أور) الملكية يُمكن أن تكون طقساً دينياً من أجل الخلود[٤]، ولكن في حضارة وادي النيل كانت التضحية للآلهة موجودةً، ومنها التضحية البشرية من أجل الخصب،على ما يذكر الأستاذ بول فريشاور: إن المصريين كانوا يقدمون إلى الإله المتمثل بنهر النيل (حابي) قرابين من الفتيات يُلقى بهن عارياتٍ بين أمواجه العاتية ليلهو بهن ويتمتع، وليتخلى في الآن نفسه عن شريكاتهم ونسائهم، لأنهم يعتقدون أن (حابي) ما أن تُلهب الرغبة فؤاده حتى يُسارع إلى اختطاف الزوجات من أحضان أزواجهن ليقودهن أين يشاء، وبعد أن تطور المصريون في فن السيطرة على مياه النهر وتوزيع مياهه استبدلوا العذارى الأحياء اللواتي يُقدمونهن للنهر بتماثيل أنثويةٍ صغيرة[٥]، في حين نجد أن قرابين الخصب في بلاد الرافدين يُقدمن بناءً على فكرة البغاء المقدس والتقرب إلى إلهة الخصب والجنس (إينانا) بممارسة البغاء والاعتقاد بأن ممارسة الجنس مع الغرباء هو طقسٌ دينيٌّ، مع إيجاد طبقةٍ من الكاهنات

(١) ينظر :جان بوتيرو ، الديانة ، ص١١٩
(٢) ينظر :المبحث الثاني ،الفصل الرابع ،من الرسالة .
(٣) واليس بدج ،الديانة الفرعونية ،ص٧١ .
(٤) فاضل عبد الواحد علي ،إعراس الإله تموز ،ص٦٢ .
(٥) بول فريشاور ،الجنس في العالم ،ص١١٩-١٢٠ .

متخصصةٍ بهذا الطقس[١]، وهذا ما يُمكن أن نستنتجه من ملحمة (جلجامش) وأثر (شمخة) في ترويض (أنكيدو) وتعليمه الحضارة في النص الآتي:

**اذهب أيها الصياد، وخذ معك الغاوية شمخة**
**وحينما ترد الحيوانات إلى المسقى**
**تشق هي ملابسها وتكشف عن مفاتنها**
**سيراها ويدنو منها**

وكما أمر الملك (جلجامش) نفذت شمخة والصياد الخطة باستخدام الجنس لترويض (أنكيدو) الذي لم يُقاوم سلطة الجنس في النص الآتي:

**رمت شمخة ثيابها**
**كشفت عريها، فواجه مفاتنها**
**لم يتردد، تملكت أنفاسه**
**نضت ملابسها فاضطجع عليها**
**أدت له، ذلك المتوحش، وظيفة المرأة**[٢]

ومن هذا النص نستدل على أثر باغيات المعبد ووظيفتهن لنقل الحضارة باستخدام سلطة الجنس، وهذه القدسية للجنس تتكرر في النصوص الرافدينية[٣] التي نلمس منها قدسية الرمز الجنسي عند الملك والكاهنة اللذين يشتركان بطقس الزواج المقدس؛ فإذا كانت الكاهنة لها حق ممارسة هذا الطقس مع الملك بهذه القدسية، فإن قدسية الجنس وعقيدة الإلهة (إينانا) كان من طقوسها البغاء المقدس، واعتنق سكان بلاد الرافدين فكرة الإلهة (إينانا) التي تجلب البهجة لقلوبهم، ومضمون هذه الفكرة: إن ملكهم قد أصبح عاشقاً وزوجاً للإلهة (إينانا) يُشاركها قوتها وقدرتها على الإخصاب، ويُشاركها خلودها، وهذه المشاركة في الإخصاب يتبارك فيها، ويتجدد كل كائن (الرجل والمرأة)، وكل أنواع الحياة في الطبيعة[٤]، ولا توجد أدلةٌ كافيةٌ في حضارة وادي

---

(١) يوسف الحوراني ، البنية الذهنية ، ص١٣٠٤

(٢) ينظر :نائل حنون ،ملحمة جلجامش ،ط١ ،(دمشق ،٢٠٠٦ )،ص٧٨-٨٠ .

(٣)حول هذه النصوص ينظر: صموئيل نوح كريمر ،طقوس الجنس المقدس ،ص٩٥-٩٩ .

(٤) ينظر :فاضل السوداني ،طقوس الخصب الروحي في وادي الرافدين ،الشبكة المعلوماتية ، www.teshkeil.com/taqws.htm

النيل على البغاء المقدس، على الرغم من وجود إشاراتٍ لها، من الممكن أن تكون وافدةً إلى حضارة وادي النيل[١].

### رابعاً: الزواج المقدس

إن طقس الزواج المقدس وارتباطه بالإلهة (إينانا) وأصالته كان في الحضارة الرافدينية على الرغم من أن الأدلة تعود بهذا الطقس إلى عصورٍ مبكرة تعود إلى الألف الرابع[٢]، فقد تميز هذا الطقس بالاستمرارية في الحضارة الرافدينية؛ فنجده في عصر فجر السلالات السومري، وفي عصر الدولة البابلية الحديثة، وكان هذا الطقس يُمثل ارتباط الملوكية وطاعتها لعقائد الخصب وإلهته، وكان الملوك يُحافظون على هذا الطقس ويقدمونه، لأنه يُحقق . في اعتقادهم . استمرار الإنتاج وكثرة الخصب[٣]، فقد كانت أولى هموم الذهن الإنساني القديم استمرار هي الخصب في الأرض والنسل والمواشي؛ لذا كانت طقوس التدين لديه هي المرتبطة بالخصب والجنس، إذ كان يعيش بعلاقةٍ مباشرةٍ مع الزراعة والمواشي، وكان استمرار قوة مجتمعاته متوقفاً على كثرة نسل هذه المجتمعات وعوامل الطبيعة والكوارث والحروب التي كانت تعترض حياة الخصب والتكاثر، وصارت أهداف الإنسان ترتبط ارتباطاً جوهرياً بأثره في خصب الأرض والحيوان، وبتكاثر النسل، ويُضاف إلى ذلك البعد العاطفي الذي يُحيط بمشاعر الجنس؛ فيزداد تأثيرها في الإنسان[٤].

ومن دروس شعائر الزواج المقدس التي تطورت باندماج الزواج المقدس بعيد (الأكيتو) هو انقياد الملك للكاهن، فبعد وصول الإله إلى بيت (الأكيتو) يدخل كبير الكهنة ويخلع عنه تاجه وشارات الملوكية، ويضعها أمام تمثال الإله، ويركع الملك أمام الإله، ويُردد اعترافاً يُؤكد فيه أنه لم يُذنب ولم يُهمل، وأنه عمل على حماية بابل وإقامة الطقوس والشعائر الدينية على أتم وجهٍ، بعد ذلك يقوم الكاهن بصفع الملك على وجهه وفرك إذنه، وكانت قوة الصفعة تأكيداً لرضا

---

(١)ينظر :المبحث الثاني ،الفصل الرابع ،من الرسالة .

(٢) صموئيل نوح كريمر ،طقوس الجنس المقدس ،ص٨٩ .

(٣)ينظر :المبحث الأول ،الفصل الرابع ،من الرسالة .

(٤)يوسف الحوراني، البنية الذهنية، ص٢٤٤.

الإلـه (مـردوخ) وبركتـه [١]، وهـذا إنمـا يـدل علـى تسـليم الملـوك لحكـم الآلهـة وخضـوعهم للسـلطة الدينيـة، ويرمـز أخذ شـارات الملوكيـة وإعادتهـا إلـى التجديد فـي الطبيعـة وأثـر آلهـة الخصـب فـي التجديد والانبعاث.

وعلى الرغم من وجود أدلةٍ على وجود فكرة الزواج المقدس في حضارة وادي النيل لم يظهر هذا الطقس في كل عصور حضارة وادي النيل، ولم يأخذ الأهمية نفسها[٢] مثلما في الفكر الرافـديني؛ ممـا يعنـي أن طقـس الـزواج المقـدس هـو إبـداعٌ رافـدينيٌّ لتـوافر السـبق والتفـوق والاستمرارية في ممارسة هذا الطقس على غير ما هو موجودٌ في حضارة وادي النيل.

### خامسا: الأعياد

كانتْ الإلهـة (إينانـا) والآلهـة الذكريـة الرئيسـة فـي الحضـارة الرافدينيـة هـي التـي تُقام لهـا أعيـاد الخصب، ومن متابعة هذه الأعياد يتضح أنها تعود إلى عقيدةٍ دينيةٍ واحدةٍ هي عقيدة الخصب مع تغيراتٍ محدودةٍ في بعضٍ من وظائف الآلهة أو أسمائها في هذه العقيدة، ولكن هذه العقيدة بقيت مرتبطـةً بإلهـة الخصـب والتجديد والانبعـاث (إينانـا . عشـتار) واسـتمرت هـذه الإلهـة تقـوم بوظيفة إلهة العلاقات الجنسية وقوة الخصب والإنماء والإنتاج[٣] والتجديد والخلود، وهذا ما يُمكن أن نستدل عليه من محاولة (إينانا . عشتار) السيطرة على العالم الأسفل، ومن الممكن أن يكون فشل (إينانـا) بـالتحكم بهذا العالم وهزيمتها أمام الإلهة (إيرشيكيكال) هو فشلها في منح الخلود للبشـر، وإلغـاء المـوت[٤]، أي: إن عقيـدة الإلهـة (إينانـا) هـي عقيـدة الخصـب والخلـود، وإن مـن وظائفها استمرار الحياة، وإنها تحزن بالدمار وهلاك البشر، وهذا ما نجده في المرثية الآتية:

**البقرة تنوح بحزنٍ في مرعاها الصحراوي**

**المرأة المقدسة للإله (آن) تنوح بحزنٍ في مرعاها الصحراوي**

**إي . أنا E-anna المدينة بقدرها المؤلم، ما من أحد يعلم أنها تستطيع أن تكون فرحةً**

---

(١) فاضل عبد الواحد، الأعياد والاحتفالات، حضارة العراق ،ج١ ، ص٢١٧ .

(٢)ينظر :المبحث الثاني ،الفصل الرابع ،من الرسالة .

(٣) ميرسيا الياد ،تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ، ج١ ،ص٨٩ – ٩٠ .

(٤) المصدر والصفحة نفسهما .

**سيدتي، أنت تنتحبين بصوتٍ حزينٍ**

**آهٍ، أنا عبدة لهم الآن**

**النافذة التي نظرت منها تحطمت، حماماتها كلها طارت بعيداً**

**حمامات النوافذ هجرت حافة النافذة، أين طاروا ؟**

**طيورها هجرت أعشاشها، أين أخذوهم ؟**

**شعبها هجر محل سكناه، أين ذهبوا ؟**[١]

ويتبين من هذا النص حزن (إينانا) إلهة الخصب على الدمار وهلاك البشر؛ مما دفع الإنسان الرافديني إلى تقديس الآلهة التي مثلتها في طقوس الخصب (إينانا) التي مارس لها الإنسان طقوسه في ضوء اعتقاده بأن الحياة تُحيط به وتتجسد في كل ما يدور حوله، وتدرج من أقل رابطٍ للطقوس الخاصة بالإلهة، إذ نجده يُطور ويُوسع دائرة هذه الطقوس ليصل بها إلى درجةٍ من الدقة والتنظيم ليبلغ بها غاية الكمال، فيتدرج في عنايته بطعام ومسكن إلهه، ويحرص على بيته وفراشه وضيوفه وطعامه وملبسه؛ ليصل إلى صلواتٍ وتراتيل خاصةٍ يصف فيها جهله وتقصيره تجاه الإله الذي أنعم عليه بنعمة الحياة [٢].

وبما أن إنسان بلاد الرافدين كان متعلقاً بالحياة ونعمها، وخائفاً من الموت ومصيره كانت نظرته لهذا العالم مضطربةً محاولاً بأساطيره أن يبحث عن الخلود الذي يُمكن أن يحصل عليه بارتباطه بإلهة الخصب، ولكن لخوفه من هذا العالم لم يتمكنُ من صياغة فكرةٍ متكاملةٍ عن الخلود، وقد أوجد ذلك عقيدة الخصب، واعتقد أن الأشباح الخاصة بالموتى التي لا تجد العناية بها تُسبب الأذى، وقد تتلبسهم الأرواح أو أشباح موتاهم، وعن طريق الحداد يُعبر أقارب المتوفى ومعارفه في بلاد الرافدين عن أحزانهم ومشاعرهم نحو الميت، فكان الحداد عاملاً مساعداً على تخفيف الحزن والقلق والإحساس بالتوتر الذي يغمر عائلة المتوفى والذي تجسد بأعياد الخصب، أما المتوفى نفسه فكان الحداد والحزن الحاصل بعد وفاته يُعد ضماناً لعدم انقطاع ذكره بين الأحياء بعد موته، وذلك بإقامة الطقوس الجنائزية التي من خلالها يُذكر اسمه،

---

(١) حكمت بشير اسود ،أدب الرثاء في بلاد الرافدين ،ص١٧٢ .

(٢)ينظر :المبحث الأول ،الفصل الرابع ،من الرسالة .

وفضلاً عن ذلك كان الاعتقاد السائد هو أن دموع الأحياء ومراثيهم يُمكن أن توفر للموتى بعضاً من الراحة والطمأنينة(١).

ونجد في أعياد الخصب في حضارة وادي النيل أن هذه الأعياد مرتبطةٌ بعدةٍ عقائد خصب متباينة، فنجد من هذه الأعياد ما هو مرتبطٌ بالإله (مين)، ومنها ما هو مرتبطٌ بالإله (سوبك)، ومنها ما هو مرتبطٌ بالإله (أوزير)، وهذا يدل على أن هناك عدة عقائد خصب في وادي النيل مع مرور الزمن وتطور الفكر الديني وظهورُ المبدأ الأوزيري في الخصب والخلود اختزل الكثير من عقائد حضارة وادي النيل بهذا المبدأ الذي يربط بين الخصب والخلود، ويُعطي الخلود لسكان وادي النيل، بدل حصره بالملوك(٢)، وهذا ما يظهر في أعياد الخصب والخلود التي يرتبط أغلبها بالذهاب إلى المقابر، ويشترك الموتى الطيبون فيها، ومنها عيد (بتاح ـ سوكا ـ أوزيريس) الذي أستقدم إلى طيبة من (ممفيس)، وفيه يُعاد تمثيل رواية الإله الذي قام من الموت، وتقدم فيه للموتى مراكب رمزية تُوجه مقدماتها يوماً نحو (أبيدوس)، ويُقدم مدفن (أوزيريس)، وفي اليوم التالي نحو الاتجاه المعاكس؛ استعداداً لرحلة الضريح، وكان عدد من المتوفين يحصل على امتيازٍ قد لا يحصل عليه آخرون، وهو وضع تماثيل لهم في المعابد؛ للاشتراك في تلقي القرابين، والصلوات المقدمة للآلهة، أو توضع لهم تماثيل في هياكل المقابر تحت إشراف الكهنة(٣).

ومن هذا يتبين لنا أن أعياد للموتى في وادي النيل ترتبط بالإله (أوزير) الذي كان من وظائفه أنه واهب الحياة والخصب والخلود للموتى الطيبين.

---

(١) ينظر: سبتينو موسكاني ، الحضارات السامية القديمة ،ترجمة السيد يعقوب بكر ، (بيروت ،٢٠٠٦ ) ،ص٨٠-٨١ .

(٢) ينظر :المبحث الثاني ،الفصل الرابع ،من الرسالة .

(٣) خالد عبد الملك الحميري،الفكر الديني لبلاد وادي النيل ،ص١١٤-١١٥ .

### أوجه الشبه في كهنة وطقوس وأعياد الخصب

إن الإنسان في كلا الحضارتين يسعى إلى التقرب من القوى الإلهية التي تُوافر له الخصب والخلود مما أدى إلى تشابهٍ في وظائف للكهنة، وطقوس وأعياد الخصب التي يُمكن تقسيم أوجه الشبه بينها على النحو الآتي:

#### أولاً: الكهنة

تُعطي كلا الحضارتين للكاهن وظيفة مهمةً في الحياة وممارسة الطقوس الدينية، وتتشابه مؤسسة الكهنة في أنها تُعنى بالكثير من العلوم، ولها أثرٌ أساسيٌّ في تنظيمات المجتمع، ولكن ما يُميز الحضارة الرافدينية هو أثر النساء في مهنة الكهانة، وظهور هذا الأثر في حضارة وادي النيل بشكلٍ مشابه، لكنه كان في عصر المملكة الحديثة(١)، ومن الممكن أن يكون بسبب الاتصال الحضاري مع وادي الرافدين بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ.

#### ثانياً: الزواج المقدس

إن فكرة الزواج المقدس في بلاد الرافدين تُمثل مرتكزاً لعقائد الخصب، وتوجد إشاراتٌ لها في أعياد الإله (مين) الذي يُعد أقدم الآلهة الذين ظهروا في هيأةٍ بشريةٍ كاملةٍ، وظهر على شكل رسومٍ له بأكبر قطعة آنيةٍ اردوازيةٍ في مقبرة الملك (خع سخموي)(٢)، الذي ذُكر الاحتفال بمولدة في عهد الأسرتين الأولى والثانية، وقد مثل القوة التناسلية في الطبيعة، ولاسيما نمو القمح، وقد ظهر طقس الزواج المقدس في أعياده، وكان الملك قد مثل الإله (مين)، ومثلت الملكة الإلهة (إيزيس)(٣).

والقيام بطقوسٍ شبيهةٍ بطقوس الزواج المقدس فيبلادالرافدين كتقديم الأضاحي والولائم ومشاركة العامة يُمكن أن يكون ذلك بتأثيرٍ رافدينيٍّ، وذلك لأن هناك أدلةً على أن الإله (مين) من أصولٍ غير مصرية ترجع إلى جنوب بلاد العرب وأرتيريا، وعندما انتقل إلى مصر انتقلت

---

(١) ينظر:المبحث الثاني ،الفصل الربع ،من الرسالة ٠

(٢) خع سخموي ،آخر ملوك الأسرة الثانية جاء إلى الحكم بعد فترة اضطرب داخلي نتيجة لنزاع بين الصعيد والدلتا وجعل هذا الملك حورس رمزا له ينظر : سمير اديب ،موسوعة الحضارة المصرية ص٤٠٥ ٠

(٣) احمد امين سليم ،دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى،ص١٩٢ ٠

معه عدد من الإشارات التي تُشير إلى أصله؛ ومنها لقبه (رب بونت)، وبما أن المصرين أطلقوا على بلاد (بونت)[١] اسم (أرض الإله أو الأرض المقدسة) لاعتقادهم بأن الإله (مين) قد جاء منها، وقد يُؤيد هذا الرأي وصف ثور الإله (مين) بأنه الثور الذي جاء من البلاد الأجنبية، وقد حُفر على تماثيل الإله (مين) ثورٌ ذو قرونٍ واقفٍ على شكل هلالٍ فوق ثلاثة تلالٍ تُشبه في شكلها علامة (خاست) الهيروغليفية التي ترمز إلى البلاد الأجنبية[٢] التي جاء منها الإله الثور[٣].

ويذهب الدكتور محمد بيومي مهران إلى أنه يُمكننا أن نعد عبادة (مين) في حضارة وادي النيل من المؤثرات الأجنبية الوافدة عن طريق البحر الأحمر[٤].

وبما أن هناك أدلةً على وصول سكان بلاد الرافدين إلى مناطق جنوب الجزيرة العربية والصومال وأرتيريا منذ عصر جمدت نصر[٥]، فمن الممكن أن يكون طقس الزواج المقدس قد انتقل من بلاد الرافدين إلى تلك المناطق وبعدها إلى وادي النيل.

ولكن الملاحظ على زواج الخصب بشكلٍ واضحٍ في حضارة وادي النيل أنه يظهر في العصور المتأخرة في عصر ألدولة البطلمية متمثلاً بالإله (حورس) والإلهة (حتحور) أو (إيزيس)[٦]،

(١) بلاد بونت :اختلفت آراء الباحثين حولها لكن أرجح الآراء أنها كانت المنطقة الواقعة حول بوغاز باب المندب في جنوب البحر الأحمر على الشاطئين الإفريقي والأسيوي أي تشمل الصومال واريتريا وجنوبي الجزيرة العربية ينظر : سمير اديب ،موسوعة الحضارة المصرية ص٢٤٢ .

(٢) حول الصلات المصرية مع أفريقيا وشبه الجزيرة العربية ينظر : سيد احمد علي الناصري ، دور مصر التاريخي بين شبه الجزيرة العربية وإفريقيا ،(القاهرة ،١٩٩٠ )،ص٥-١٠ .

(٣) احمد أمين سليم ،دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى،ص١٩٢٠

(٤)المصدر نفسه ،ص١٩٢ .

(٥) حول الصلات بين بلاد الرافدين وشبه الجزيرة العربية ينظر: عبد اللطيف احمد علي ،محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ،(بيروت ،د ت ) ،ص٩٤ .،ينظر أيضاً:فاضل عبد الواحد علي،من ألواح سومر إلى التوراة،ط١،(بغداد،١٩٨٩ )،ص١٧٦-١٧٧ .

(٦)روبرت ارموار ،آلهة مصر ،ص٨٥ .، ينظر :

Barbara S Lesko ,The Great Goddesses p 153 .

ويمكن الإشارة إلى أن في هذه الحقبة ازدادت المؤثرات المصرية في بلاد اليونان في العقائد(١).

وبما أن الإله (حورس) يرتبط بالمبدأ الأوزيري وفكرة الخصب والتجديد، فإنه يقوم بوظائف تُشبه وظائف الآلهة الرافدينية في طقوس الخصب، فُيمكن أن يكون هذا الطقس بتأثيرٍ رافدينيٍّ في عقائد الخصب لحضارة وادي النيل، وبما أن تجسيد الآلهة كان في صورٍ إنسانيةٍ، وعبادة الشمس كانت عقيدةً ظهرت في بلاد الرافدين، وانتقلت إلى سوريا، وأثرت في المعتقدات الدينية في وادي النيل (بطريقٍ مباشر أو غير مباشرٍ) وأصبحت أساساً للمعتقدات الدينية في وادي النيل(٢).

### ثالثاً: الطقوس والقرابين

هناك تشابهٌ في الكثير من الطقوس والقرابين المقدمة للآلهة، ومنها تقديس الماء في الحضارتين، وتطهير الكهنة بالماء قبل ممارسة الشعائر، ونقل الآلهة في الزوارق عبر الماء(٣)، وتقديم قرابين ماديةٍ حيوانيةٍ ونباتيةٍ، وكانت حيوانات القربان تُحرق على منصاتٍ خاصةٍ ليصعد دخان المحرقة إلى مساكن الآلهة ويُزودهم بالغذاء اللازم لهم، ولدينا في ملحمة (جلجامش) وصفٌ حيويٌّ لكيفية صنع هذه المحارق، فبعد أن حطت السفينة ببطل الطوفان البابلي (أوتنابشتم) على قمة جبل بعد تراجع الطوفان نقرأ ما يأتي:

**فأطلقت الجميع إلى الجهات الأربعة، وقدمت أضحيةً**

**سكبت خمر القربان على قمة الجبل**

**وضعت سبعة قدورٍ وسبعةً أخر**

---

(١)ينظر :ابواليسر فرح ،تاريخ مصر في عصري البطالمة واليونان ،ط١،(القاهرة ،٢٠٠٢ )،ص٨٧-٩٢ .ينظر ايضاً:
S.A sayce,d.d,ll,d THE Rellgions of Anclent Egypt and Babyl onie, Edinburgh ,1903 p ,76.

(٢) ينظر: bid , p 87 .

(٣)ينظر :المبحث الثاني ،الفصل الرابع ،من الرسالة .

**جمعت تحتها القصب الحلو وخشب الأرز والآس**

**شمت الآلهة الرائحة الزكية**

**فتجمعت على الأضحية كالذباب**[١]

**رابعاً : فكرة الخصب والخلود**

إن فكرة الخصب والخلود هي معتقد رافديني أوجد عقيدةً ناضجةً للخصب، وحاول أن يربط بين الخصب والخلود، ولكنه مع إنضاجه عقيدة الخصب لم يُنضج عقيدة الخلود[٢]، في حين نجد حضارة وادي النيل تتكون من مجموعةٍ من الأديان التي يرتبط بالكثير منها الخصب، ولكنها لم تتمكن من إبداع معتقد الخصب كما حصل في وادي الرافدين، والمرجح أن المعتقد الرافديني وصل إلى وادي النيل وأثر في الفكر المصري وظهور المبدأ الأوزيري، لكن المصرين أضافوا إلى عقيدة الخصب عقيدة الخلود التي تظهر من انتقال السكان في الأعياد إلى المقابر، وأخذهم الأطعمة والهدايا[٣].

ومن الممكن أن تكون البيئة والاستقرار هما الذان دفع سكان بلاد وادي النيل إلى التوجه بالمعتقد إلى الخلود والانتقال بمعتقدهم من المادية إلى التجريد[٤]، أما سكان بلاد الرافدين فقد آمنوا بحتمية الموت، وأن السعادة هي في الدنيا، وطاعة الآلهة تُطيل أعمارهم، وتُبعد عنهم الأمراض، ولكنهم لم يصلوا إلى فكرة الخلود مع أنهم حاولوا أن تطوير معتقد الخلود لكنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه سكان وادي النيل من ارتباط الخصب والتجديد بالانبعاث والخلود.

---

(١) فراس السواح ،الأسطورة والطقس ،الشبكة المعلوماتية http://www.maaber.org/eleventh_issue/mythology1.htm،

(٢) ينظر :المبحث الأول ،الفصل الرابع ،من الرسالة ٠

(٣) ينظر :المبحث الثاني ،الفصل الرابع ،من الرسالة٠

(٤) ينظر :

S.A sayce,d.d,ll,d , the rellgions of anclent Egypt and babyl p 32-33.

وهذا ما يُفسر لنا طقوس الحزن والبكاء في بلاد الرافدين، ومن هذه الطقوس والأعياد نستدل على أسبقية الحضارة الرافدينية بعقيدة الخصب، واستمرارية هذا المعتقد في الفكر الرافديني، في حين نجد من طقوس الخصب في وادي النيل تعدد معتقدات الخصب، وتغير هذه المعتقدات مع مرور الزمن والمؤثرات المباشرة وغير مباشرة للحضارة الرافدينية، حتى تمكن المعتقد الأوزيري الذي يُشبه عقيدة الخصب الرافدينية في أصل الفكرة مع اختلافٍ قليلٍ، لكن الإبداع الذي أضافته حضارة وادي النيل هو من بلورة معتقد الخلود ودمجه بالخصب متمثلا بـ(أوزرير) إله الخصب والتجديد والانبعاث والخلود.

# الاستنتاجات

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يأتي:

١. مع انتشار الدمى الأنثوية التي ركز فيها على مواطن الخصوبة عند المرأة في مناطق متنوعةٍ من العالم القديم، تُعد عقيدة الخصب . بآلهتها وطقوسها وأساطيرها وأعيادها . إبداعاً رافدينياً منذ أن ظهرت أولى تماثيل الخصب في العصر الحجري الحديث في القرى الزراعية في شمال بلاد الرافدين إلى أن نضجت تلك العقيدة في الألف الرابع قبل الميلاد في جنوب بلاد الرافدين.

٢. إن الإبداع الرافديني في عقائد الخصب تطورٌ مهمٌ في الفكر الإنساني بالانتقال من المجسد إلى المجرد، أي: من الخوف من الطبيعة وفواعلها والتقرب إليها إلى الانتقال إلى عبادة قوةٍ مجردةٍ للخصب، وملكة للآلهة هي (إينانا . عشتار) واهبة الحياة والمسؤولة عن خصب الطبيعة والإنسان، كما دلت على ذلك رموز هذه الإلهة التي تطورت مع التطور الفكري في بلاد الرافدين من تماثيل أنثويةٍ إلى رموزٍ تدل على حزمة القصب، إلى النجمة التي تدل على القوة الآلهة علامة الدنكر.

٣. تغير النظير الذكري لإلهة الخصب، وتنوع هذا النظير مع القوى التي تشترك بالخصب مع هذه الإلهة وتطور هذا النظير من قوىً ترمز إلى الظواهر التي تشترك مع الأرض بالخصب كالثور رمز القوة والإله الذي يُمثل الماء الإله (إنكي) إله الماء والإله (دموزي) الإله الراعي المسؤول عن تكاثر القطعان، وعدم تحديد إله خصب ذكريٍّ واحدٍ، ومع تطور الفكر الديني أوجد إنسان بلاد الرافدين نظريةً تُشابه الدولة الكونية مع الدولة الإنسانية، وتصور كل إلهٍ يُمارس العلاقات الجنسية والخصب مع إلهة أنثى، لكن الإلهة (إينانا) هي القوة التي ترعى وتُديم العلاقات الجنسية والخصب، وتختلف وظائف الآلهة الذكرية في الخصب تبعاً لوظائفهم في مجمع الآلهة، ومع تطور هذه العبادة ومعرفة الإنسان أهمية معتقد الخصب لتوفير غذائه وتكاثره أعطى للإلهة (إينانا) نواميس الحضارة وملوكية الآلهة، كما ذكرت ذلك أسطورة (إنكي، وإينانا).

٤. كذلك من وظائف الإلهة (إينانا) الانبعاث من الموت، كما دلت على ذلك أسطورة نزول (إينانا) على غير الرأي السائد والقائل بأن (دموزي) إله الانبعاث والخلود، فمع أن هذا الإله . نتيجةً لحب إينانا له . مُنح الخلود في العالم الأسفل، وأصبح إلهاً من آلهة العالم الأسفل، وهو ملكٌ من ملوك أوروك، لكنه لم يكن إله الانبعاث والخلود بل إن (إينانا) هي إلهة الانبعاث.

٥. سبقت طقوس الزواج المقدس واستمراريتها في الحضارة الرافدينية أي حضارةٍ أخرى، بما فيها وادي النيل، ومن الممكن أن يكون الإبداع الرافديني لعقائد الخصب يعود إلى طبيعة الحكم والديمقراطية البدائية التي ابتدعت في أرض الرافدين على غير وادي النيل الذي كان فيه يسود فيه النظام الفردي في الحكم وتأليه الملوك.

٦. مع تعدد العقائد والآلهة في وادي النيل خضعت لتأثيرات رافدينبية منذ عصر جمدت نصر الذي شهد اتصالاً حضارياً بين الحضارتين. ومع إن بعض عقائد الخصب في وادي النيل من إبداعٍ مصريٍّ، مثل عبادة الإله (خنوم)، لكن أهم عقائد الخصب المصرية هي عقيدة الإله (أوزير) بتأثيرٍ رافدينيٍّ.

٧. ظهرت عقيدة (أوزير) مع سقوط المملكة القديمة وظهور الدولة الوسطى، واستمرت في التطور حتى العصر البطلمي، وكان انتشارها في وادي النيل اختزالاً للكثير من العقائد المصرية، وذلك بسبب رغبة الشعب بهذه العقيدة التي تمنحه الخلود مع (أوزير) على غير عبادة الإله (رع) التي تمنح الخلود للملوك حصراً.

٨. كان الاختلاف الرئيس بين عقائد الخصب في الحضارتين هو معتقد الخلود و ارتباطه بالخصب الذي لم يتمكن سكان بلاد الرافدين من إبداعه مع محاولاتهم ذلك لكنهم لم يطمئنوا للموت، ولم يثقوا بالخلود؛ بخلاف سكان وادي النيل الذين أبدعوا الخلود، وأوكلوا به إله الخصب (أوزير) فأصبح إله الخصب والانبعاث والخلود وقاضي الأموات.

٩. إن من أسباب الاختلاف بين جنس (إينانا) الأنثى مع (أوزير) الذكر هو اختلاف تسمية الأرض بين الحضارتين، ففي اللغة الهيروغليفية كانت الأرض تُسمى تسميةً ذكريةً، ولأن (أوزير) هو واهب الحياة المرتبط بالأرض اكتسب التسمية الذكرية على خلاف (إينانا) الأنثى.

١٠. إن للبيئة أثراً مهماً في العقائد الدينية، وهذا ما تجلى بوضوحٍ في عقائد الخصب المصرية، وإبداع عقيدة الخلود وارتباطها بإله الخصب، فتمتع وادي النيل ببيئةٍ راتبةٍ، ووضعٍ سياسيٍّ مستقرٍّ على غير ما موجود في بلاد الرافدين، وكان السبب في هذا الاختلاف.

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس (التوراة)، (القاهرة: جي ،سي بسنتر ١٩٩٢م).

أولاً :المصادر والمراجع العربية

**أ–الكتب**


إبراهيم ، نبيلة:

١. الأسطورة، الموسوعة الصغيرة ،(بغداد،منشورات وزارة الثقافة والإعلام ،١٩٧٩ ) .

ابن البراج ، القاضي:

٢. المهذب ، ( قم ، ١٤٠٦هـ ) ، ج ١ .

أبن منظور ، جمال الدين أبي الفضل محمد :

٣. لسان العرب ،ط٤ ،دار صادر ،(بيروت ،٢٠٠٥ ) ، باب الخاء ، ج٤ .

أبو رحمة ، محمد :

٤. الإسلام والدين المصري القديم دراسة مقارنة بين الدين القديم والأديان السماوية ،ط١،(القاهرة ،حابي للنشر،٢٠٠١ ) .

الأحمد ، سامي سعيد:

٥. المدخل إلى تاريخ العالم القديم ،القسم الأول (العراق القديم) ،(بغداد ،١٩٧٨ )،ج١ .

٦. الحضارة العراقية في الأديان والمعتقدات ، من كتاب العراق في موكب الحضارة،الأصالة والتأثير،(بغداد ،١٩٨٨ ).

٧. المعتقدات الدينية في العراق القديم ،ط١ ،(بغداد ،دار الشؤون الثقافية ،١٩٨٨ ) .

٨. حضارات الوطن العربي القديمة أساسا للحضارة اليونانية ،ط١،(بغداد ،بيت الحكمة،٢٠٠٢ ) .

أحمد ،محمد خليفة حسن:

٩. الأسطورةوالتاريخ في التراث الشرقي القديم دراسة في ملحمة جلجامش ، ط١(بغداد،١٩٨٨ ).

اديب ،سمير:

١٠. أهم المعالم الأثرية في منطقة الجيزة ،(القاهرة ،١٩٩٧) .

١١. موسوعة الحضارة المصرية القديمة ،ط١،(القاهرة ،٢٠٠٠ ).

ارموار روبرت:

١٢. آلهة مصر القديمة وأساطيرها ،ترجمة مروة الفقي ،ط١ ،(القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة،٢٠٠٥ ) .

إسماعيل ،بهيجة خليل:

١٣. الكتابة ، من كتاب حضارة العراق(بغداد ،١٩٨٥ ) ،ج١ ٠
اكرم ،سليمة:
١٤. حيوانات محبوبة مومياوات الحيونات من مصر القديمة (القاهرة ،د ت ) ٠
أمام ،أمام عبد الفاتح :
١٥. معجم ديانات وأساطير العالم ،(القاهرة ، مكتبة مدبولي، د ت )،مج ١ ٠
اور ، فرانسيس:
١٦. حضارات العصر الحجري القديم ،ترجمة سلطان محيسن ،ط٢ ،(دمشق ،١٩٩٥ )٠
اوبنهايم ، ليو:
١٧. بلاد مابين النهرين ،ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق ،(بغداد،دار الرشيد للنشر ١٩٨١) ٠
ب ، كوملان:
١٨. الأساطير الأغريقية والرومانية ، ترجمة أحمد رضا ، ( القاهرة ، ١٩٩٢ ) ٠.
بارندا ،جفري:
١٩. المعتقدات الدينية لدى الشعوب ،ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام،عالم المعرفة (الكويت،١٩٩٣ )٠
بارو ،اندرية:
٢٠. سومر وفنونها وحضارتها،ترجمة عيسى سليمان وسليم طه التكريتي،(بغداد ،١٩٨١ )٠
باقر ، طه:
٢١. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،(بغداد، ١٩٧٣ ) ،ج١،ج٢ ٠
٢٢. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢ ،(بغداد، ١٩٥٦ ) ،ج٢ ٠
٢٣. مقدمة في أدب العراق القديم ،ط١ ،( بغداد ،١٩٧٦ ) ٠
٢٤. ملحمة جلجامش اوديسة العراق الخالدة ،(بغداد ، ١٩٨٠ )٠
باقر، طه ،وآخرون:
٢٥. تاريخ العراق القديم ،(بغداد،مطبعة جامعة بغداد ،١٩٨٠ )،ج٢ ٠
بودج ، واليس:
٢٦. الساكنون على النيل ، ترجمة : نوري محمد حسين ، ط١ (بغداد ، مطبعة الديواني، ١٩٨٩).
٢٧. الديانة الفرعونية أفكار المصريين عن الحياة الأخرى،ترجمة نهاد خياطة ،ط٣ ،(دمشق،٢٠٠٠ )٠
بروديل ، فرناند:

٢٨. تاريخ وقواعد الحضارات ،ترجمة حسين شريف ،(القاهرة ،١٩٩٩ ) ٠

برونوفسكي ،جاكوب:

٢٩. التطور الحضاري للإنسان ،ترجمة احمد مستجير،(القاهرة ،١٩٨٧ )٠

٣٠. بريتشاد ،جيمس:

٣١. نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم ،ترجمة عبد الحميد زايد ،(القاهرة ،دت )،ج١ ٠

بريستد ،جيمس هنري:

٣٢. تطور الفكر والدين في مصر القديمة ،ترجمة زكي السوس (القاهرة ،١٩٦١ ) .

٣٣. فجر الضمير ،ترجمة سليم حسن ،(القاهرة ،د ت ) ٠

بشور ،امل مخائيل:

٣٤. تاريخ الإمبراطوريات السامية في بابل واشور ،(طربلس –لبنان ،٢٠٠٨ ) ٠

البصري ،ايلاف سعد علي:

٣٥. وظيفة الإبلاغ في الرسوم الجدارية العراقية والمصرية القديمة دراسة تحليلية مقارنة ،ط١ ،(بغداد،دار الشؤون الثقافية العامة ،٢٠٠٨ ) ٠

بصمة جي ، فرج :

٣٦. كنوز المتحف العراقي، (بغداد ، ١٩٧٢).

بغدو ،عبد المسيح حنا:

٣٧. مائة وخمسون عاماً من البحث الأثري في الجزيرة السورية ،ط١ ،(دمشق ،٢٠٠٩)

بنوا ، لوك:

٣٨. إشارات ورموز وأساطير ،ترجمة ،فايز كم نقش ،ط١ ،(بيروت ،٢٠٠١ ) ٠

بوترو ، جين واوثو ادزارد وادام نكنشتاين:

٣٩. الشرق الادنى الحضارات المبكرة ،ترجمة عامر سليمان ،( الموصل ،١٩٨٦)٠

بوتيرو ،جان:

٤٠. بلاد الرافدين الكتابة والعقل والإلهة ،ترجمة البير ابونا ،ط١ ،(بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ،١٩٩٠ ) ٠

٤١. الديانة عند البابليين ترجمة وليد الجادر، ط ١ ،( دمشق، مركز الإنماء الحضاري، ٢٠٠٥)٠

بير ، مونتيه:

٤٢. الحياة اليومية في مصر من عصر الرعامسة من القرن الثالث عشر الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، ترجمة عزيز مرقس منظور ، ( القاهرة ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ، د.ت)

بيكى ،جيمس:

٤٣. الآثار المصرية في وادي النيل ،ترجمة لبيب حبشي وشفيق فريد ،(القاهرة ،١٩٩٣ )،ج١ ٠

جابر ، محمد مدحت:

٤٤. بعض جوانب جغرافية الأعمار في مصر القديمة،(القاهرة ،١٩٨٥ ) ٠

الجبوري ،تركي عطيه:

٤٥. الكتابات والخطوط القديمة ،(بغداد ،١٩٨٤ ) ٠

الجبوري، صلاح سلمان رميض:

٤٦. أدب الحكمة في وادي الرافدين ، ط١ ، ( بغداد ، ٢٠٠٠ ) ٠ .

جواد ،حسن فاضل:

٤٧. ، حكمه الكلدانيين،ط١ ،( بغداد،بيت الحكمة ،٢٠٠١ ) ،ج٢ ٠

الجوراني ، وداد جاسم:

٤٨. الرحلة إلى الفردوس والجحيم في أساطير العراق القديم ،ط١ ،(بغداد ،١٩٩٨ )٠

حسن ، سليم:

٤٩. مصر القديمة مدينة مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الاهناسي،(القاهرة ،١٩٩٢ )، ج٢،ج٣ ٠.

الحسيني ،السيد:

٥٠. نهر النيل في مصر منحنياته وجزره ،(القاهرة ،١٩٩١ ) ٠

حنون ، نائل:

٥١. عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين،ط٢ ،(بغداد ،١٩٨٦ ) ٠

٥٢. عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة، ط١ ،( عمان ،٢٠٠٢) ٠

٥٣. عقائد الحياة والموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة (دمشق ٢٠٠٥ ) ٠

٥٤. شريعة حمورابي ،(دمشق،دار المجد ،٢٠٠٥ )،ج٥ ٠

٥٥. المدافن والمعابد في حضارة وادي الرافدين القديمة دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسمارية والآثار ،ط١ ،(دمشق ،دار الخريف،٢٠٠٦ )،ج١ ٠

٥٦. حينما في العلى قصة الخليقة البابلية ،ط١،(دمشق٢٠٠٦ دار الزمان ، ،) ٠

٥٧. ملحمة جلجامش ،ط١ ،(دمشق ،٢٠٠٦ ) ٠

جبري ،عبد المنعم:

٥٨. المرأة عبر التاريخ البشري ،ط١ ،(دمشق،دار صفحات ،٢٠٠٧ )٠

الحوراني ، يوسف:

٥٩. البنية الذهنية في الشرق المتوسطي الأسيوي القديم ،(بيروت ،١٩٧٨ )٠

خشيم ، علي فهمي:

٦٠. آلهة مصر العربية ،ط١ ،(دار الجماهيرية مصراته،ليبيا ،١٩٩٠ ) ٠ .

دالي ، ستيفاني:

٦١. أساطير من بلاد مابين النهرين ،ترجمة نجوى نصر ،ط١ ،(بيروت ،١٩٩٧ ) ٠

الدباغ ،تقي:

٦٢. البيئة الطبيعة والإنسان ،حضارة العراق ،(بغداد ،١٩٨٥ )،ج١ ٠

٦٣. الثورة الزراعية والقرى الأولى ،حضارة العراق ،(بغداد ،١٩٨٥ )ج١ ٠

٦٤. الفكر الديني القديم ، ط ١ ، ( بغداد ، ١٩٩٢ ) ٠

الدريد سيريل:

٦٥. الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ،ترجمة مختار السويفي ،ط٣،(القاهرة،١٩٩٦ )٠

دولابورت ، ل:

٦٦. بلاد مابين النهرين ،ترجمة مارون الخوري (بيروت ،١٩٧١) ٠

ديماس ، فرانسوا:

٦٧. آلهة مصر ،ترجمة زكي السوس ،(القاهرة،١٩٩٨ )٠

ديورانت ول وايريل:

٦٨. قصة الحضارة (الشرق الأدنى) ، ترجمة : محمد بدران ، (بيروت : دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت) ، ج٢ ٠

رو ، جورج:

٦٩. العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين ،،(بغداد،دار الحرية ،١٩٨٤ ) ٠

رزقانه ،ابراهيم احمد وآخرون:

٧٠. حضارة مصر والشرق القديم ،(القاهرة ، د.ت) . .

رشيد ، صبحي انور:

٧١. ،تاريخ الفن في العراق القديم ،فن الأختام الاسطوانية ،(بيروت ،١٩٦٩ )،ج١ ٠

٧٢. تماثيل الاسس السومرية ،(بغداد،١٩٨٠) ٠

رشيد ، فوزي:

٧٣. الديانة ، من كتاب حضارة العراق (بغداد ،١٩٨٥) ،ج١ ٠

روثن ،مرغريت:

٧٤. علوم البابليين،ترجمة يوسف حبى،(بغداد،دار الرشيد ،١٩٨٠ ) ٠

ريك ،جان اول:

٧٥. مركز المرأة في قانون حمورابي وفي القانون الموسوي ،ترجمة سليم العقاد ،(القاهرة ،١٩٢٦ ) ٠

زكريا ،انطون:

٧٦. النيل في عهد الفراعنة والعرب ،ط١ ،(القاهرة ،١٩٩٥ )٠

زودن ، ف٠فون :

٧٧. مدخل إلى حضارات الشرق القديم ،ترجمة فاروق إسماعيل ،ط١،(دمشق ،٢٠٠٣)٠

ساكز ، هاري:

٧٨. عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان ،( جامعة الموصل ، ١٩٧٩) ٠

سبيزر اي. اي:

٧٩. حضارة وادي الرافدين نور لا يخبو ،ترجمة كاظم سعد الدين ،(بغداد ،٢٠٠٤ ) ٠

سعد الله ، محمد علي:

٨٠. تطور المثل العليا في مصر القديمة ،(الإسكندرية ،١٩٨٩ ) ٠

السعدي ،حسن محمد محي الدين:

٨١. حكام الأقاليم في مصر الفرعونية،(الإسكندرية ،١٩٩١ ) ٠

سعفان ، كامل:

٨٢. ،معتقدات أسيوية (العراق –فارس الصين – الهند – اليابان )،ط١ ،(القاهرة ،١٩٩٩ ) ٠

سعيد، خليل:

٨٣. معالم من حضارة وادي الرافدين ،ط١،(بغداد ،١٩٨٤ )٠

٨٤. النذور والقرابين في العراق القديم ،(بغداد ،د ت) ٠

السقاف ،ابكار :

٨٥. الدين في مصر القديمة ،(القاهرة ،دت ) ٠

سلمان ، عبد علي :

٨٦. الانثروبولوجيا الاجتماعية ،(الموصل ،١٩٨٥ ) ٠

سلمان ،حسين احمد:

٨٧. كتابـة التـاريخ فـي وادي الرافـدين فـي ضـوء النصـوص المسـمارية ،ط١ ،(بغـداد، دار الكتاب ، ٢٠٠٨ )

سليم ،احمد امين:

٨٨. العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنـى القديم ،(القاهرة ،٢٠٠٠ ) ٠

٨٩. دراسـات فـي تـاريخ وحضـارة الشـرق الأدنـى القديم مصـر والعراق دراسـة حضـارية ،ط٢ ،(بيروت ،٢٠٠٩ ) ٠

السواح ، فراس:

٩٠. ، لغز عشتار الإلوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة ، ( دمشق ، ١٩٩٣ ) ٠

٩١. الأسطورة والمعنى ، ( دمشق ، ١٩٧٧ ) ٠

٩٢. مغامرة العقل الأولى (دمشق ،١٩٩٣ )٠

٩٣. مدخل إلى نصوص الشرق القديم ، ط١( دمشق ٢٠٠٦ ) ٠

سوسه ، أحمد:

٩٤. تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء المشاريع الزراعية ،(بغداد،١٩٨٣ )ج١ ٠

سونيرون ،سيرج:

٩٥. كهان مصر القديمة ،ترجمة زينب الكردي ،(القاهرة ،١٩٧٥ ) ٠

السويفي ، مختار:

٩٦. ،أم الحضارات ملامح عامة لأول حضارة صنعها الإنسان ،ط١ (القاهرة ،١٩٩٩ )

الشتله ،ابراهيم يوسف:

٩٧. جذور الحضارة المصرية(القاهرة ،د ت ) ٠

الشواف ، قاسم :

٩٨. ديوان الأساطير ،ط١ ،(بيروت ،١٩٩٦ )،الكتاب الأول ٠

شورتر ، الن:

٩٩. ،الحياة اليومية في مصر القديمة ،ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم،(القاهرة ،١٩٩٧ )

شوقي ،حسن:

١٠٠. الدر المكنون في جدث الملك توت عنخ امون ،ط١،(القاهرة ،د ت ) ٠

الشوك ، علي:

١٠١. ،الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ،(لندن ،١٩٨٧ ) ٠

صاحب ، زهير:

١٠٢. ،الفنون السومرية ،ط١،(بغداد،دا ايكال للطباعة ،د ت) ٠

صادق ، شكري:

١٠٣. تاريخ الفنون الجميلة عند قدماء المصريين ،(القاهرة ،د ت ) ٠

صالح، احمد:

١٠٤. التحنيط فلسفة الخلود ،ط١،(القاهرة ،٢٠٠٠) ٠

الطعان ، عبد الرضا :

١٠٥. الفكر السياسي في العراق القديم ،(بغداد ،د ت ) ٠

عبد الحليم ، نبيلة محمد:

١٠٦. معالم التاريخ الحضاري والسياسي لمصر الفرعونية (القاهرة ،د ت )٠

عبد القادر، عبد الناصر محمد نوري:

١٠٧. الأسطورة وعلم الأساطير،عن الموسوعة البريطانية ،( بغداد ، ١٩٨٦ )٠

عبد الله ، محمد صبحي:

١٠٨. العلاقات العراقية المصرية في العصور القديمة ،(بغداد ،د ت ) ٠

العبيدي ، محمد جاسم محمد حسن:

١٠٩. التوظيف الميثيولوجي لسياق فن الفخار القديم ، (بغداد ،٢٠٠٥ ) ٠

١١٠. الإشكال النحتية على سطوح الآنية الفخارية الرافدينية والخزفية العراقية المعاصرة ،ط١ ،(بغداد ،٢٠٠٩ )٠

عصفور ، محمد أبو المحاسن:

١١١. معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ،(بيروت ،١٩٨٧) ٠

عقراوي ،ثلما ستيان :

١١٢. المرأة ودورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين ، ( بغداد ، دت ) ٠

علي ، عبد اللطيف احمد:

١١٣. محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ،(بيروت ،دت ) ٠

علي، فاضل عبد الواحد:

١١٤. عشتار ومأساة تموز ،(بغداد ،١٩٧٣ ) ٠

١١٥. الطوفان في المراجع المسمارية،(بغداد ،١٩٧٥) ٠

١١٦. الأعياد والاحتفالات ، من كتاب حضارة العراق (بغداد،١٩٨٥ )،ج١ ٠

١١٧. من ألواح سومر إلى التوراة ،ط١ ،(بغداد، دار الشؤون الثقافية،١٩٨٩) ٠

١١٨. سومر أسطورة وملحمة،(بغداد ،٢٠٠٠ ) ٠

علي، فاضل عبد الواحد وعامر سليمان

١١٩. عادات وتقاليد الشعوب القديمة،(الموصل ،١٩٧٩ ) ٠

فالبيل ، دومنيك:

١٢٠. الناس والحياة في مصر القديمة،ترجمة ماهر جويجاتي،ط٢،(القاهرة ،٢٠٠١ ) ٠

فخري ،احمد:

١٢١. دراسات في تاريخ الشرق القديم مصر والعراق –سوريا–اليمن–ايران مختارات من الوثائق التاريخية ،ط٢ ،(القاهرة ،١٩٨٠ ) ٠

فرانكفورت ،هنري وآخرون:

١٢٢. ما قبل الفلسفة الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى ،ترجمة جبرا ابرهيم جبرا،ط٢ ،(بيروت،١٩٨٠ )٠

فرح ،ابواليسر:

١٢٣. تاريخ مصر في عصري البطالمة واليونان ،ط١،(القاهرة ،٢٠٠٢ ) ٠

فرح، نعيم :

١٢٤. موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ،(دمشق ،دت)٠ .

فريزر ،جيمس:

١٢٥. الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين ،ترجمة احمد أبو زيد، (القاهرة ،١٩٧١ )،ج١ ٠

فريشاور ،بول:

١٢٦. الجنس في العالم القديم ،ترجمة فائق دحدوح ،ط٢ ،(دمشق،دار نينوى ،١٩٩٩ )

فضل الله ، مهدي:

١٢٧. بدايات التفلسف الإنساني، الفلسفة ظهرت في الشرق ،ط١ ،(بيروت ،١٩٩٤ )،ص٧١ ٠

الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم:

١٢٨. القاموس المحيط ،( بيروت ،١٩٩٩ ) ، ج ١ ٠

القمني ،سيد:

١٢٩. رب الثورة أوزير وعقيدة الخلود في مصر القديمة ،ط٢(القاهرة ،١٩٩٩

كاسيرر ،ارنست:

١٣٠. ،الدولة والأسطورة ،ترجمة احمد حمدي محمود ،(القاهرة ،١٩٧٥ )

كريمر ، صموئيل:

١٣١. الأساطير السومرية دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الإلف الثالث قبل الميلاد ، ترجمة يوسف داود عبد القادر ، ( بغداد،مطبعة المعارف ، ١٩٧١ ) ٠
١٣٢. السومريون تاريخهم حضارتهم ،ت فيصل الوائلي ،(الكويت ،١٩٧٣ )٠
١٣٣. هنا بدأ التاريخ ، ترجمة ناجية المراني ، ( بغداد ، ١٩٨٠ ) ٠
١٣٤. طقوس الجنس المقدس عند السومريين ،ترجمة نهاد خياطة ،ط٤ ،(دمشق ،٢٠٠٦ ) ٠
١٣٥. من ألواح سومر ،ترجمة طه باقر ،مكتبة المثنى(بغداد ،د ت) ٠

كريمر، صموئيل نوح ،وآخرون:

١٣٦. أساطير العالم القديم ، ترجمة احمد عبد الحميد يوسف ،(القاهرة ،١٩٧٤ ) ٠

كلارك ، رندل:

١٣٧. الرمز والأسطورة في مصر القديمة ،ترجمة احمد صليحة ،(القاهرة ،١٩٩٩ )٠

كونتينو ، جورج:

١٣٨. الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ،ت سليم طه التكريتي و برهان طه التكريتي (بغداد ،١٩٧٩ ) ٠

كييرا ،ادوردا :

١٣٩. كتبوا على الطين، ترجمة محمود حسين الامين،( بغداد،١٩٦٤ )٠

لابات، رينيه:

١٤٠. المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين مختارات من النصوص البابلية ،ترجمة الاب البير ابونا و وليد الجادر ،(بغداد،مطبعة التعليم العالي ،١٩٨٨ ) ٠
١٤١. قاموس العلامات المسمارية،ترجمة الأب البير ابونا و وليد الجادر وخالد اسماعيل ،(بغداد ،٢٠٠٤ ) ٠

لالويت ، كلير:

١٤٢. نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة ،ترجمة ماهر جويجاتي ،ط١ ،(القاهرة ،١٩٩٦ ) ،مج ٢ ٠

لوبون، غوستاف:

١٤٣. السنن النفسية لتطور الامم ،ترجمة عادل زعيتر ،ط٢ ،(القاهرة ،١٩٥٧ ) ٠

لوركر ، مانفرد:

١٤٤. معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة ،ترجمة صلاح الدين رمضان ،(القاهرة،٢٠٠٠ )٠

لوسيف، اليكسي:

١٤٥. فلسفة الأسطورة ،ترجمة منذر بدر حلوم ،ط١ ،(اللاذقية –سوريا ،٢٠٠٠ ) ٠

لويد ، سيتون:

١٤٦. اثار بلاد الرافدين ،ترجمة سامي سعيد الأحمد ،(بغداد، دار الرشيد ،١٩٨٠ ) ٠

لويد، سيتن:

١٤٧. فن الشرق الادنى القديم ترجمة: محمد درويش، بغداد، ١٩٨٨ ٠

ليبنتز ، جوتفريد فيلهمم :

١٤٨. المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي ،ترجمة عبد الغفار مكاوي،(القاهرة ،١٩٧٨ ) ٠

مؤنس ،حسين :

١٤٩. الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، سلسلة عالم المعرفة ،(الكويت ، ١٩٧٨) ٠

الماجدي ، خزعل:

١٥٠. أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ ، ( عمان ، ١٩٩٧ )٠

١٥١. بخور الآلهة ،ط١ ،(عمان ،١٩٩٨ )،ص١١٩ ٠

١٥٢. متون سومر ،ط١ ،(عمان ،١٩٩٨ ) ٠

١٥٣. الدين المصري ،ط١ (عمان ،١٩٩٩ )

محمود ، محمد موسى :

١٥٤. الموسوعة الجغرافية ، ( عمان ، ٢٠٠٨ ).

مدكور ، فاطمة و احمد عبد الفتاح :

١٥٥. قراءة فنية لأثار مصرية،ط١،(القاهرة ،١٩٨٤ ) ٠

المرزوق ،جمال:

١٥٦. الفكر الشرقي القديم ،ط١ ،(القاهرة ،٢٠٠١ )٠

مرى ، مرجريت:

١٥٧. مصر ومجدها الغابر ،ترجمة محرم كمال ،(القاهرة ،١٩٩٨ ) ٠

مظلوم ، طارق عبد الوهاب:

١٥٨. النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث، من كتاب حضارة العراق ، ( بغداد، ١٩٨٥)، ج٤ ٠

مظهر ،سليمان:

١٥٩. أساطير من الشرق ،ط١ ،(القاهرة ،٢٠٠٠ ) ٠

١٦٠. المعموري ، ناجح :
١٦١. ،أساطير الآلهة في بلاد الرافدين ،ط١ ،(دمشق،دار المدى ،٢٠٠٦ ) ٠
مهران ، محمد بيومي:
١٦٢. ،المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم ،(القاهرة ،د ت )،ج١ ٠
مورتكات ،انطوان:
١٦٣. تاريخ الشرق الأدنى القديم ،ترجمة توفيق سليمان ،(دمشق ،١٩٦٧) ٠
١٦٤. الفن في العراق القديم ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي،( بغداد، ١٩٧٥ )٠
موسكاني ،سبتينو :
١٦٥. الحضارات السامية القديمة ،ترجمة السيد يعقوب بكر ، (بيروت ،٢٠٠٦ ) ٠
موسى، محمد العزب:
١٦٦. حكماء وادي النيل ،( القاهرة ،١٩٩٠ ) ٠
ناجي ، عادل:
١٦٧. الأختام الاسطوانية حتى فجر السلالات" ، من كتاب حضارة العراق ، (بغداد – ١٩٨٥)، ج٤ ٠
الناصري ، سيد احمد علي:
١٦٨. دور مصر التاريخي بين شبه الجزيرة العربية وإفريقيا ،(القاهرة ،١٩٩٠ ) ٠
الناضوري ، رشيد:
١٦٩. ،دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق الأدنى القديم وخاصة في مصر وبلاد الرافدين والإقليم السوري والهضبة الإيرانية ابتداء من الثورة الصناعية الأولى حتى نهاية الدولة البابلية الاكدية،(القاهرة،١٩٥٨ )
نخبة من الباحثين:
١٧٠. شريعة حمورابي واصل التشريع في الشرق القديم ،ترجمة أسامة سراس ،ط٢ ،(دمشق، دار علاء الدين،١٩٩٣ ) ٠
هرو ،برت ام:
١٧١. كتاب الموتى الفرعوني ، ترجمة عن الهيروغليفية السير والسن بدج ،ترجمة العربية ،فيليب عطية ،ط١ ،(القاهر ،١٩٨٨) ٠
الهمشري ،منيرة :
١٧٢. ،دبلوماسية البطالمة في القرنين الثاني والأول ق٠ م ،(القاهرة ،د ت ) ٠
هورنونج ،اريك:
١٧٣. ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعدد ،ترجمة محمد ماهر طه ،(القاهرة ،١٩٩٥ )

هايدل ،الكسندر:

١٧٤. الخليقة البابلية قصة النشوء والتكوين عند قدماء العراقيين وانعكاساتها على العهد القديم ، ترجمة ثامر مهدي محمد ،ط١ ،(بغداد ،بيت الحكمة ،٢٠٠١)٠

ودال، أ:

١٧٥. الأصول السومرية للحضارة المصرية،ترجمة زهير رمضان ،ط١،(عمان ،١٩٩٩ )

ول ، هاوكس و ولي:

a. ، ثلاثة فصول مترجمة من كتاب ،ما قبل التاريخ وبدايات المدنية ،ترجمة يسري ألجواهري ،(القاهرة ،دار المعارف ،د ت) ٠

ولكشتاين ،دايان وصموئيل نوح كريمر:

١٧٦. اينانا ملكة الارض والفردوس ،ترجمة شاكر الحاج مخلف ،ط١ ،(بغداد ،٢٠٠٨ )

ويد ،و جوان اوتيس:

١٧٧. ،نشوء الحضارة ، ترجمة لطفي الخوري ، ط١ ، ( بغداد ، ١٩٨٨ )٠

١٧٨. الياد ، ميرسيا:

١٧٩. تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ،ت عبد الهادي عباس ، ( دمشق ، ١٩٨٦ )،ج١

١٨٠. المقدس والمدنس ،ترجمة عبد الهادي عباس ،ط١ ،(دمشق ،١٩٨٨ ) ٠

١٨١. مظاهر الأسطورة ،ت نهاد خياطة ،ط١ ،(دمشق ،١٩٩١ ) ٠

١٨٢. الأساطير والأحلام والإسرار،ترجمة حسيب كاسوحة ،(دمشق ،٢٠٠٤ ) ٠

**ب –الدوريات والبحوث**

باقر ،طه:

١٨٣. معابد العراق القديم، مجلة سومر، الجزء الأول ، مج ٣، (بغداد، دائرة الآثار والتراث ،١٩٤٧) ٠

حنون ، نائل:

١٨٤. شخصية الإلهة إلام ودور الإلهة أينانا ، سومر، الجزء الاول ، مج ٣٤ ،(بغداد، دائرة الآثار والتراث، ١٩٧٨) ٠

رشيد ، صبحي أنور:

١٨٥. "دمى من أشور من متحف الشرق الأدنى في برلين"،مجلة سومر،الجزء الأول ، المجلد:٣٧،(بغداد، دائرة الآثار والتراث ،١٩٨١ ) ٠

عبد الله ،عدنان مكي:

١٨٦. نشأة وتطور القرية في العراق (٦٠٠٠٠ –٤٠٠٠ ق٠م )،سومر،الجزء الأول، مج ٣٩ ،(بغداد ،دائرة الآثار والتراث ،١٩٨٣ ) ٠

علي ،فاضل  عبد الواحد:

١٨٧. أعراس الإله تموز ومأساته في طقوس الزواج المقدس والحزن الجماعي،سومر، الجزء الأول ،مج ٢٨،(بغداد، دائرة الآثار والتراث ،١٩٧٢ ) ٠

١٨٨. أناشيد الزواج المقدس لتموز ونشيد الأناشيد لسليمان ،سومر الجزء الأول ،مج ٣٤ ،(بغداد، دائرة الآثار والتراث ،١٩٧٨ ) ٠

غيبسون ،م ،نيبور:

١٨٩. مدينة انليل المقدسة اله سومر واكاد الأعلى ترجمة عيد مرعي ،مهد الحضارات ،العدد الأول ،(دمشق، ٢٠٠٦ ) ٠

كسار ، أكرم عبد:

١٩٠. قراءة في نتاجات الإنسان الفنية الأولى"، سومر، الجزء الأول ، مج٣٩،(بغداد، دائرة الآثار والتراث، ١٩٨٣) ٠

١٩١. مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العراق القديم منذ أواخر الإلف السادس قبل الميلاد حتى بداية النصف الثاني من الإلف الخامس قبل الميلاد ،سومر الجزء الأول ،مج ٤٥ ،(بغداد، دائرة الآثار والتراث، ١٩٨٧ ) ٠

**ج- الرسائل والاطاريح الجامعية :**

الأسود ،حكمت بشير مجيد :

١٩٢. أدب الرثاء في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة الموصل،٢٠٠٢ ٠

الاغا ،وسناء حسون يونس حسن:

١٩٣. الطين في حضارة وادي الرافدين ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة الموصل ،٢٠٠٤ ٠

امين ، سعد عمر:

١٩٤. القرابين والنذور في العراق القديم ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الاداب ، جامعة الموصل ،٢٠٠٥ ٠

الانصاري ، داليا فوزي:

١٩٥. ،الأسرة العراقية القديمة في ضوء النصوص المسمارية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٣ .

البياتي ، سوسن هادي جعفر:

١٩٦. أساطير العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ،جامعة تكريت ، ٢٠٠٤ .

توفيق ، قيس حازم:

١٩٧. العواصم الأشورية دراسة تاريخية في طبيعة المدن الأشورية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة بغداد ،٢٠٠٨ .

الجواري ،هيثم احمد حسين عبو:

١٩٨. ،نصوص الفأل البابلية في ضوء المصادر المسمارية ،كلية الاداب ، جامعة الموصل ،٢٠٠٥ .

الحبوبي ، شيماء ماجد كاظم:

١٩٩. ،الحيوية والاستمرارية في عقائد بلاد الرافدين القديمة حتى ٥٣٩ ق ٠م ،رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب ، جامعة بغداد ،٢٠٠٧ .

حسين ،ليث مجيد :

٢٠٠. الكاهن في العهد البابلي القديم،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة بغداد،٢٠٠٣ .

الحسيني ،عباس علي عباس:

٢٠١. مجتمع الآلهة في الديانة المصرية القديمة ،أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية التربية، جامعة القادسية ،٢٠٠٤ .

الحميري ،خالد عبد الملك:

٢٠٢. ،الفكر الديني لبلاد وادي النيل منذ عصر التأسيس وحتى عام ٣٣٢ق ٠م ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ،جامعة بغداد ،٢٠٠٢م

الحيالي ، فيحاء مولود علي:

٢٠٣. الواح فخارية من مواقع حوض حمرين من العصرالبابلي القديم دراسة فنية حضارية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة بغداد ،٢٠٠٦ ٠

خضوري ، نور حكمت:

٢٠٤. فلسفة الحياة ما بعد الموت بالأساطير القديمة ،رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب ، جامعة بغداد ،٢٠٠٥ ٠

خليل ، غيث حبيب:

٢٠٥. وادي الرافدين في عصر فجر السلالات ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة بغداد ،٢٠٠٤ ٠

الذهب ،اميرة عيدان:

٢٠٦. الكاهنات في العهد البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب ، جامعة بغداد ،١٩٩٩

الراوي، شيبان ثابت:

٢٠٧. الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي الحديث، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ،٢٠٠١ ٠

الزراعي ،أحمد علي الطيب:

٢٠٨. المعبودات الكونية في كل من مصر واليمن القديم دراسة مقارنة ،كلية الآداب ، جامعة أسيوط ،٢٠٠٩ ٠

الزنكي ،انتصار ناجي عبد:

٢٠٩. الأوضاع السياسية والإدارية في مصر في عصر الأهرام،رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب ،جامعة بغداد ،٢٠٠٤ ٠

الشاكر ،فاتن موفق فاضل علي:

٢١٠. رموز أهم الآلهة العراقية القديمة دراسة تاريخية دلالية،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة الموصل ،٢٠٠٢

الشمري ، طالب منعم حبيب :

٢١١. ،الوضع السياسي في الشرق الأدنى القديم بين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد،أطروحة دكتوراه غير منشوره ،كلية الآداب ، جامعة بغداد،١٩٩٦

شناوه ، مهند عاشور:

٢١٢. مجمع الإلهة في حضارة وادي الرافدين ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة بغداد ،٢٠٠٠

الشيخ ،عادل عبد الله :

٢١٣. بدء الزراعة وأولى القرى في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٥ ٠

عبد المنعم ،ايناس بهي الدين:

٢١٤. المعبودات المصرية القديمة التي اتخذت هيئة الكبش منذ بداية العصور التاريخية وحتى نهاية الدولة الحديثة ،رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآثار، جامعة القاهرة،٢٠٠٢ ٠

العزاوي ،ادهام حسن فرحان:

٢١٥. العبادات الفلكية عند العرب قبل الإسلام دراسة تاريخية،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية ، جامعة تكريت ،٢٠٠٦ ٠

العساف ،إسراء عبد السلام مصطفى موسى :

٢١٦. ،فن النحت في العصر السومري الحديث ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة الموصل ،٢٠٠٥ ٠

نايل ،نهى محمود:

٢١٧. ،الدلالات الرمزية والقيم الفنية لتيجان الالهة في النقوش المصرية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان ،٢٠٠٣ ٠

النجاري ،غسان مردان حجي:

٢١٨. العناصر الزخرفية في الفن الآشوري الحديث،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة الموصل، ٢٠٠٣٠

النجم ،حسين يوسف حازم:

٢١٩. اقتصاد القرى الزراعية خلال العصرين الحجريين الحديث والمعدني في العراق،أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب، جامعة الموصل،٢٠٠٦ ٠

يحي ،اسأمه عدنان:

٢٢٠. الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم ،أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب جامعة بغداد ،٢٠٠٧ ٠

يوخنا ،دوني جورج:

٢٢١. أساليب الصناعات الحجرية في تل الصوان ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥ ٠

٢ ــالكتب الأجنبية

222. A.AlZiebari , F.A.Ail, ,INTROUCTION TO THESTUDY OF ANCIENT LANGUAGES ,Mousl
223.Black, Jeremy and Anthony Green ,Gods,Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia ,UNIVERSITY of TEXAS
224.Budge , E.A.wallis ,the liturgy of funerary offerings ,the Egyptian texts wlth English translations , (London ,1909).

225.CIRLOT, J.E. ,DICTIONARy OF SYMBOLS ,Second Edition ,British Library ,2001
226. Aldred, Cyril, Egypt to the End of the old kingdom (London, 1965).
6- Durkheim E, The Elementary forms of the Religious Life ,(London 1947)
227. Budge,E.A.wallis ,Egyptian magic ,London ,1901
228. Thoms , E.O.James, The cult of the mother Goddess,(London: 1985

229. Elise J, The Cultures of prehistoric Egypt, Vol. II (London, 1960), Baumgartel ,

230. Frankfort ,H ,THE Kingship and the gods ,Chicago ,1955

231.George , and seele ,Keith .C,when Egypt Ruled The East , (Chicago Stindorff ,1942),

232.Green ,J , A. Black, ,Gods Demon and Symbols of Ancient Mesopotamia, London1998
233. Engnell,Ivan ,Divine kingship ,in the ancient near east ,Uppsala ,1943 .
234. Baikie, James, , The Ancient East and its story , London.
235.James, E.O, The Worship of Sky God, Comparative Study in Semitic and indo European Religion London-1963.
236.JASTROW ,MORRIS ,THE RELIGION ,BABYLONIA AND ASSYRIA ,BOSTON U.S. A
237.-Jordan, Michael , Dictionary of Gods and Goddesses, Second Edition, New York, 2004,
238.Kamil , Jill, The Ancient Egyptians a popular Introduction to life in the pyramid Age, (Egypt: 1988).

239.Kramer , S.N., "Death and the nether world According to Sumerian literary Texts", (IRAQ, 22 , 1960).

240.LANGDON , S M.A.THE H. WELD _ BLUNDELL COLLECTION IN THE ASHMOLEAN MUSEUM .OXFORD UNIVERSITY PRESS
241. Cottrell,Leonard , Lost Cities of Babylon , London: 1975 .
242.Lesko , Barbara S ,The Great Goddesses of Egypt ,University of Oklahoma
243.Lssar ,Aris.,mattanyah zohar, climate change –Environment and history of the near east 2nd edition, Isral .
244,Lurker , Manfred ,The Routledge Dictionary of Gods and Goddesses, Devils and Demons.NewYork .2005.
245.Mallowan M.E.L : Twenty Five years in Mesopotamia Discovery . London 1965
246.Mertz ,Barbara, Temples, Tombs and Hieroglyphs (The story of Egyptology), (London, 1964)
247.Pahlow ,Edwin W. ,Man's Great Adventure An Introduction to World History New York ,1932 .
248.Pinch , Geraldine , Egyptian Mythology ,California ,United States of America ,2002
249.Ricsard L Litke ,ARECONST RUCTION OF THE ASSYROBABYLONIAN , GODLISTS ,Printed in the Unted states of AMERICN .
250.Robinson, C. A., Ancient: History , the Macmillan Company , New York ,1958.
251.sayce,S.A d.d,ll,d , THE Rellgions of Anclent Egypt and babyl onie,Edinburgh ,1903 .
252.Wallis , E. A., Budge,The Book of the Dead, England, 1922.

٣-مصادر الانترنيت

٢٥٣٠روزيلا ديفيد، قرابين الإلهة سبب موت كهنة مصر القديمة ،الشبكة المعلوماتية
http://www.toutankharton.com/montada/viewtopic

٢٥٤٠فاضل السوداني ،طقوس الخصب الروحي في وادي الرافدين ،الشبكة المعلوماتية

www.teshkeil.com/taqws.htm،
٢٥٥فراس السواح ،الأسطورة والطقس ،الشبكة المعلوماتية

http://www.maaber.org/eleventh_issue/mythology1

٢٥٦قصي منصور تركي ،اسم العراق بين المدلول الجغرافي والسياسي في العصور القديمة ،الشبكة المعلوماتية ،
http//program-sqweebs .com/vb/archive/index.php/t45htm
٢٥٧محمد العبيدي ، الام الهة الخصب والبركة والتكاثر ،الشبكة المعلوماتية

http://www.iraqfineart.com/jethoralfan14.htm

٢٥٨محمود محمد رزق ،دراسة مقارنة حول المؤثرات المتبادلة بين مصر والعراق منذ عصور ما قبل الاسرات حتى مطلع الدولة القديمة من خلال الادلة الاثرية ، الشبكة المعلوماتية http://knol.google.com/k

١. روزيلا ديفيد، قرابين الإلهة سبب موت كهنة مصر القديمة ،الشبكة المعلوماتية
http://www.toutankharton.com/montada/viewtopic

٢. فاضل السوداني ،طقوس الخصب الروحي في وادي الرافدين ،الشبكة المعلوماتية
www.teshkeil.com/taqws.htm،

٣. فراس السواح ،الاسطورة والطقس ،الشبكة المعلوماتية
http://www.maaber.org/eleventh_issue/mythology1

٤. قصي منصور تركي ،اسم العراق بين المدلول الجغرافي والسياسي في العصور القديمة ،الشبكة المعلوماتية ،
http//program-sqweebs .com/vb/archive/index.php/t45htm

٥. محمد العبيدي ، الام الهة الخصب والبركة والتكاثر ،الشبكة المعلوماتية
http://www.iraqfineart.com/jethoralfan14.htm

٦. محمود محمد رزق ،دراسة مقارنة حول المؤثرات المتبادلة بين مصر والعراق منذ عصور ما قبل الاسرات حتى مطلع الدولة القديمة من خلال الادلة الاثرية ،
الشبكة المعلوماتية http://knol.google.com/k

رموز الآلهة الرئيسة في وادي الرافدين مأخوذ من
Black, Jeremy and Anthony Green ,Gods,Demons and Symbols.بتصرف

| ت | اسم الإله | رسم الرمز | معناه | الرمز | العصر الذي ورد فيه |
|---|---|---|---|---|---|
| ١. | **آنو** | | اله السماء | ١. حزمة القصب المعقوفة .<br>٢. عمود (او وتد) ينتهي بحلقة جانبية .<br>٣. التاج المقرن . | الطبقة الرابعة من الوركاء ، ج نصر<br>الطبقة الثالثة من الوركاء ، ج نصر<br>الطبقة الثالثة من الوركاء واسـ ظهوره الى نهاية العصر البـ الوسيط |
| ٢. | انليل | | اله الهواء | التاج المقرن | |
| ٣. | انكي/ايا | | اله الأرض | ١. الماء المتدفق من كتفي الاله او من بين يديه (الاناؤ الفوار)<br>٢. السلحفاة<br>٣. السمكة الماعزة | العصر السومري القديم واسـ ظهوره الى نهاية العصر البـ الحديث<br>العصر الشبيه بالكتابي ، العصـ الاكدي ، بابل وسيط<br>عصر سلالة اور الثالثة ، العصـ الاشوري |

رموز الآلهة الرئيسة في وادي الرافدين مأخوذ من

Black, Jeremy and Anthony Green ,Gods,Demons and Symbols.بتصرف

| ت | اسم الإله | رسم الرمز | معناه | الرمز | العصر الذي ورد فيه |
|---|---|---|---|---|---|
| | | | | ٤. صولجان ينتهي براس جدي او كبش | العصر البابلي الوسيط ، بـ حديث |
| | | | | ٥. التاج المقرن | الطبقة الثالثة من الوركاء واسـ ظهوره الى نهاية العصر البـ الوسيط |
| ٤. | ننار/سين | | اله القمر | ١. الهلال | منذ عصور ما قبل التاريخ اسـ الى نهاية العصر البابلي الحديث |
| | | | | ٢. القرص الدائري | سلالة اور الثالثة ، بابلي قد بابلي وسيط ، بابلي حديث |
| | | | | ٣. الهيئة البشرية للاله سين موضوعا داخل هلال | العصر الاشوري الحديث |
| | | | | ٤. الهلال على عامود | ط٤ من الوركاء قديم واسـ ظهوره الى نهاية العصر البـ الحديث |
| ٥. | اوتو/ شمش | | اله الشمس | ١. المنشار | العصر الاكدي ، بابلي قديم |
| | | | | ٢. القرص ذو النجمة الرباعية الملتهبة | ظهر منذ العصور المبكرة واستمر نهاية العصر البابلي الحديث |
| | | | | ٣. القرص فوق سارية | جمدة نصر ، بابلي قديم |
| | | | | ٤. اللهيب المنبعث من اكتاف الاله شمش | العصر الاكدي ، بابلي قديم |
| | | | | ٥. الكف | منذ عصور ما قبل التاريخ و نهاية العصر البابلي القديم |
| | | | | ٦. النجمة في نهاية رمح أو (مسحاة) | عصر جمدة نصر ، العصر الاك ، بابلي قديم |

رموز الآلهة الرئيسة في وادي الرافدين مأخوذ من
Black, Jeremy and Anthony Green ,Gods,Demons and Symbols.بتصرف

| ت | اسم الإله | رسم الرمز | معناه | الرمز | العصر الذي ورد فيه |
|---|---|---|---|---|---|
| | | | | ٧. القرص المجنح | العصر الاكدي ، سلالة اور الثال العصر البابلي القديم والاشو الحديث والبابلي المتاخر |
| | | | | ٨. الميزان | الاكدي ، البابلي القديم والاشوري |
| | | | | ٩. المحراث | فجر السلالات السومرية ، الاكد البابلي القديم |
| | | | | ١٠.علامة الدائرة | عصر حسونة واستمر ظهوره في العص التالية ، جمدة نصر ، اور الثالثة الع البابلي القديم |
| | | | | ١١. علامة الوردة | عصر حسونة |
| | | | | ١٢. العمودان المتقاطعان على هيئة علامة الزائد | منذ عصر جمدة نصر وحتى نه العصر الاشوري الحديث |
| | | | | ١٣. اربع مثلثات متقابلة بالراس | الالف الخامس ق.م |
| | | | | ١٤.الصولجان المتعدد الرؤوس | العصر البابلي القديم |
| | | | | ١٥. الاسد | عصر فجر السلالات والعص الاكدي ، البابلي القديم |
| | | | | ١٦. الفرس | العصور المبكرة ، البابلي الق والوسيط والاشوري الوسيط |

رموز الآلهة الرئيسة في وادي الرافدين مأخوذ من

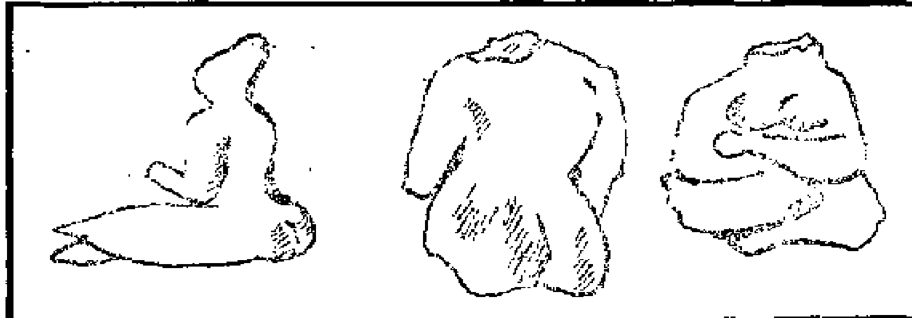
Black, Jeremy and Anthony Green ,Gods,Demons and Symbols.بتصرف

| ت | اسم الإله | رسم الرمز | معناه | الرمز | العصر الذي ورد فيه |
|---|---|---|---|---|---|
| ٦. | انانا/عشتار | | الهة الحب والحرب | ١. حزمة القصب ذو النهاية المعقوفة بشكل حلقي يتدلى منها شريط متموج | الطبقة الرابعة من الوركاء وجـ نصر وعصر فجر السلالات |
| | | | | ٢. الهيئة البشرية للالهة انانا/عشتار وهي مدججة بالسلاح | العصر الاكدي ، العصر البـ القديم ، العصر الاشوري الحديث |
| | | | | ٣. النجمة الثمانية | عصر فجر السلالات ، العصر الاكد العصر البابلي الوسيط ، العصر الاشو الحديث ، العصر البابلي الحديث |
| | | | | ٤. النجمة الثمانية داخل القرص | العصور المبكرة ، عصر لارسا ، الع البابلي الوسيط ، العصر الاشوري الحد |
| | | | | ٥. الوردة | عصر الوركاء ، البابلي الوسيط ، الع الاشوري الحديث ، العصر البابلي المتا |

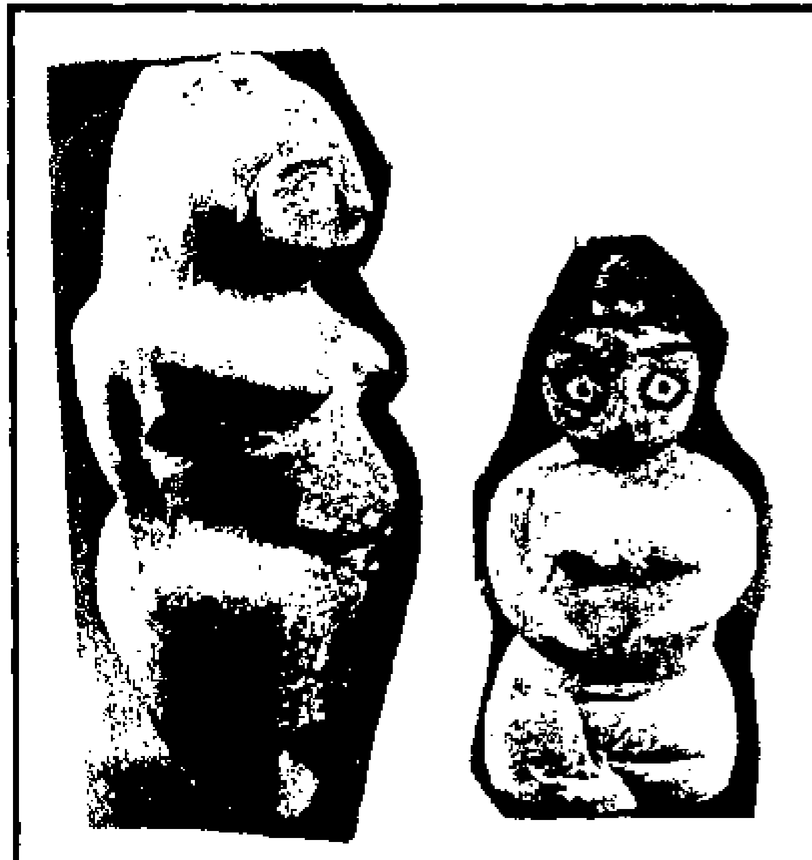
رموز الآلهة الرئيسة في وادي الرافدين مأخوذ من
Black, Jeremy and Anthony Green ,Gods,Demons and Symbols.بتصرف

| ت | اسم الإله | رسم الرمز | معناه | الرمز | العصر الذي ورد فيه |
|---|---|---|---|---|---|
| | | | | ٦. الصفة العارية | الإلف السادس ق.م عصر الصوان ، وحسونة وحلـ والعبيد |

الرسوم والإشكال التوضيحية في الحضارتين



شكل رقم (١) إلهة جرمو مأخوذ من خزعل الماجدي،أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ



شكل رقم (٢) المرأة في وضع الحمل ماخوذ من خزعل الماجدي ،اديان ومعتقدات ماقبل التاريخ



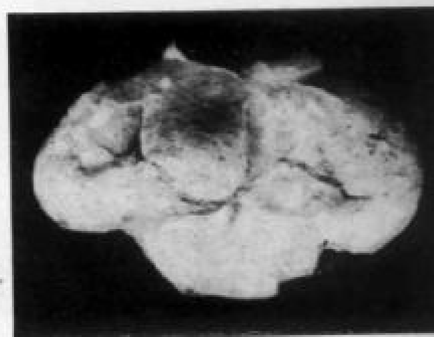
a. Seated figurine. Ht. 4·0 cm. Level I.

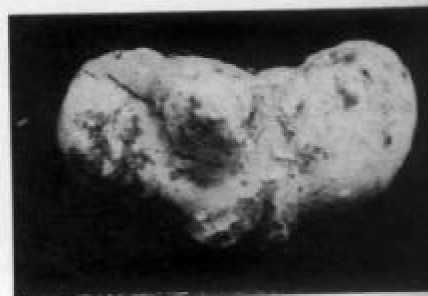


b. Stone figurine. Tell es-Sawwan.



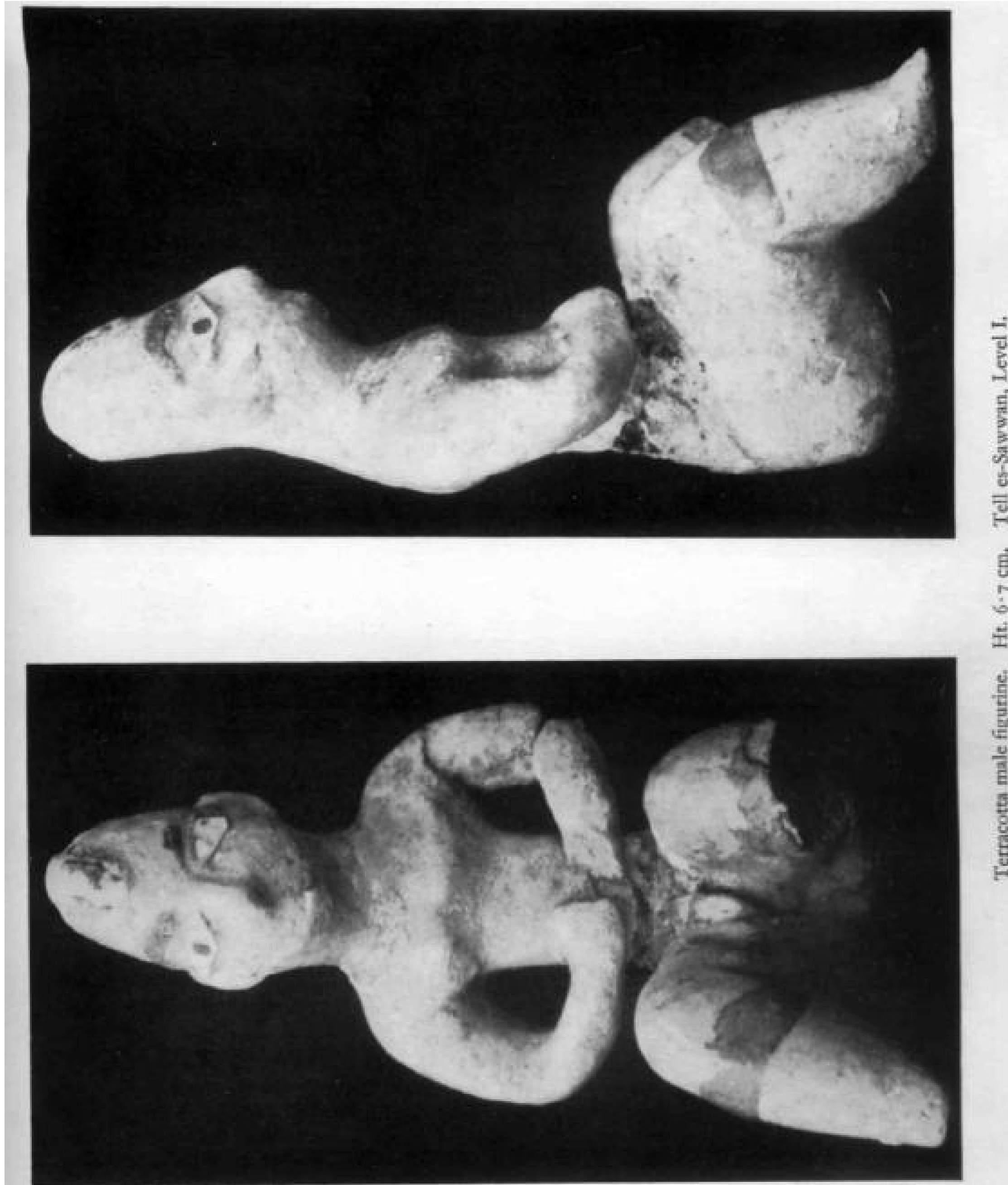
c. Gypsum figurine. Ht. 6 cm. Level III.





d–e. Clay figurine fragments. Levels II-I

شكل رقم (٣) دمى من عصر حسونه ،عادل عبد الله الشيخ ،بدء القرى الزراعية




شكل رقم (٤)تماثيل من تل الصوان يظهر فيها العضؤ الجنسي ماخوذه من سيتون لويد ،اثار بلاد الرافدين



شكل رقم (٥) لتمثال يمثل امرأة وآخر يمثل ذكر يركز فيهما على الاعضاء التناسلية ماخوذ منJermey Black,Gods Demons



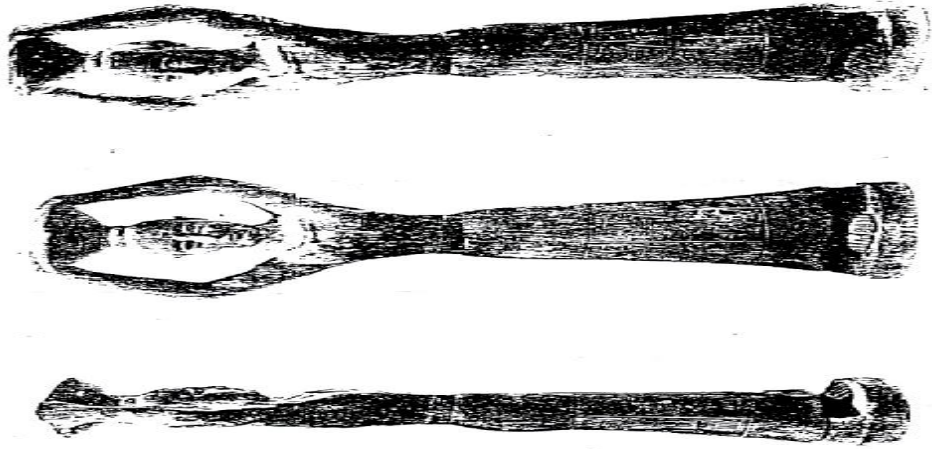
شكل رقم (٦) تمثال فتاة الوركاء مأخوذ من انطوان مورتكات ،الفن في العراق القديم



شكل رقم (٧) تماثيل تل اسمر سيتون لويد ،اثار بلاد الرافدين



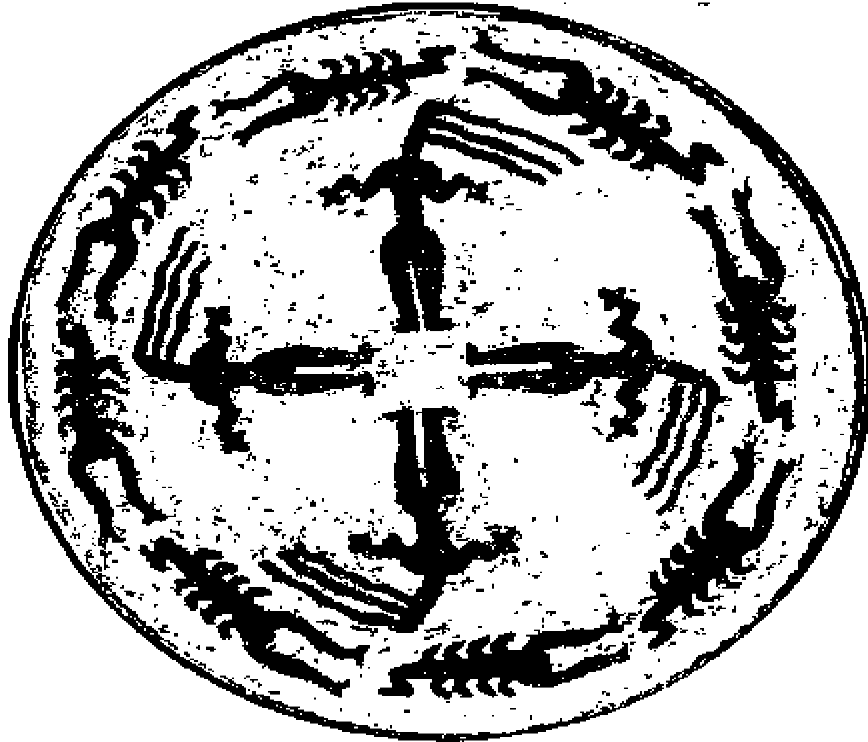
شكل رقم (٨) تمثالُ الجدي وورقة العنب ،ماخوذ منJermey Black,Gods Demons



شكل رقم (٩) تماثيل الاسس السومرية، ماخوذ من صبحي انور رشيد



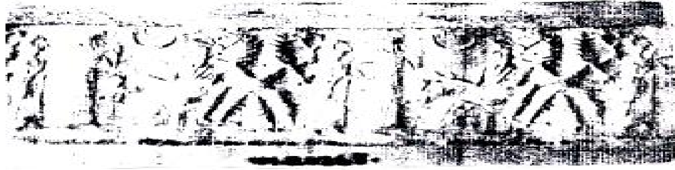
شكل رقم (١٠ ) إناء الوركاء ألنذري ماخوذ من زهير صاحب ،الفنون السومرية



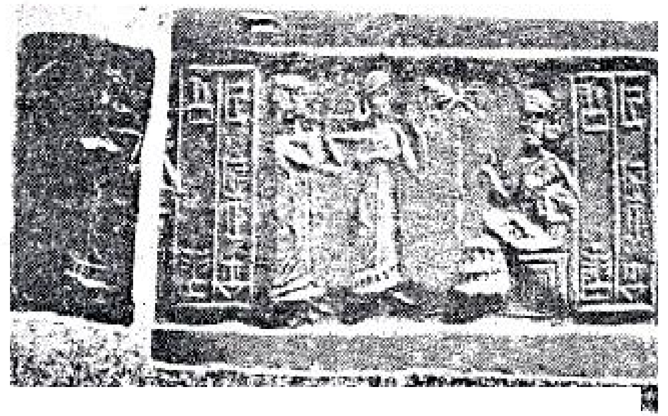
شكل رقم (١١) منظرُ النساءِ الأربع العاريات وهن يرقصن ماخوذ من خزعل الماجدي ،اديان ومعتقدات ماقبل التاريخ



شكل رقم (١٢) منظرُ السمك ،ماخوذ منJermey Black,Gods Demons

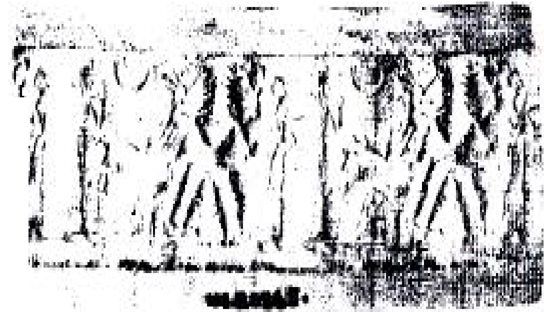








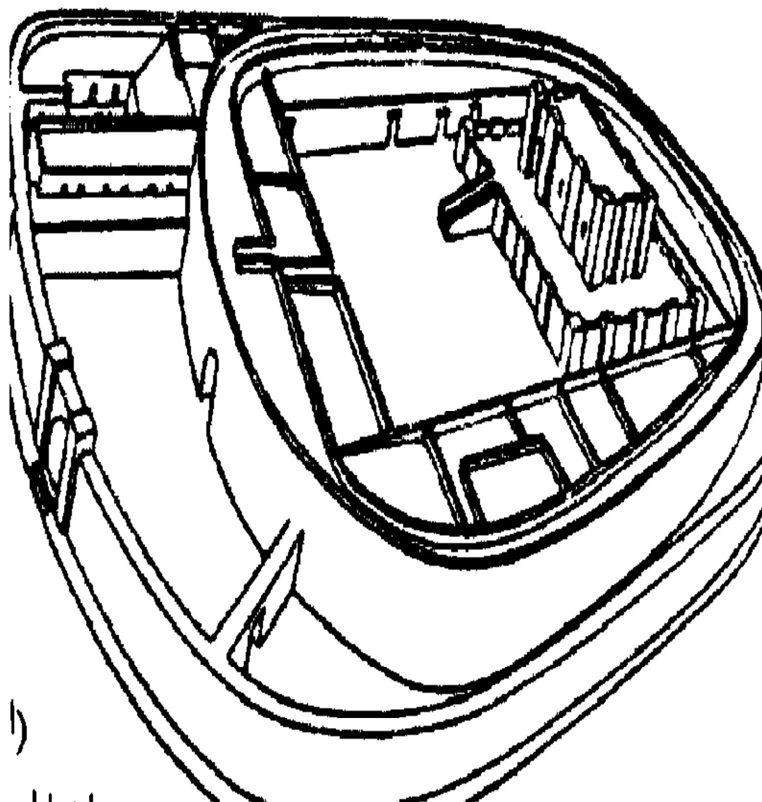








شكل رقم (١٣) مشاهد دينية على الاختام الاسطوانية مأخوذ من صبحي انور رشيد تاريخ الفن في العراق القديم (الأختام الاسطوانية )



شكل رقم (١٤) معبد الكلسي في الوركاء ماخوذ من فراس السواح ،لغز عشتار

جدول يبين الأصل الرافديني للكتابة الهيروغليفية مأخوذ من اودل الأصول السومرية للحضارة المصرية

**اللوحة (١٨)**

**الأصل السومري للهيروغليفيات المصرية . ب**

| السومرية | | | المصرية | | |
|---|---|---|---|---|---|
| صورة الرمز | اللفظ | المعنى | صورة الرمز | اللفظ | المعنى |
| | أسَرو | السيد أو الآله أسارو، الملقب ابن الشمس . مصور بعين تحت العرش | | أسَرَ، أسِرَ | الإله أوزيريس الإله ـ الأب في عبادة الشمس . مصور بعين تحت العرش |
| | بَك | طير الرب بل رب الرياح ـ الصقر | | بك | صقر ـ الشمس علامة حورس إله الشمس، «المحلق» «المرتفع عالياً» |
| | بان | خلق طفل، يربي مصور بثديين | | باذ (ت) | صدر مصور بثديين |
| | بَرَ | منزل، قصر، معبد مصور ببيت محصن بقضبان مغروزة على نحو متلاصق | | پَر | منزل، بيت تخطيط بيت أو قاعة |
| | بُز | آلهة النباتات سيدة الأرل مصورة بأفعى | | أوْز، وَز | آلهة النباتات مصورة بورقة بردي تقليدية |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | دا ، تا | يد (اليد اليمنى) | | دا، دا (ت) طات | يد (اليد اليمنى) |
| | دا | يضع ، يعد ، يحط ، يتوسل ، يسد | | دا | يضع ، يعد ، يحط |
| | داغ ، تاغ | خنجر ، جرح ، ضربة | | داس | سكين ، حاد ، حد جرح |
| | دي ، دِ | حرارة ، حداد مصور بفرن ذي لهيب | | تا | حرارة متقدة مصور بتنور ذي لهيب |

## اللوحة (١٩)

## الأصل السومري للهيروغليفيات المصرية . جـ

| السومرية | | | المصرية | | |
|---|---|---|---|---|---|
| صورة الرمز | اللفظ | المعنى | صورة الرمز | اللفظ | المعنى |
| | إر | مقلاع، استعجال حبل | | أي ر، يار | مقلاع، حبل |
| | إس | منزل | | ي س، أس | بناء، مكان مقدس (ضريح، مزار) |
| | إسي | سمو، رب، ملك مصور بعرش وملك بمعنى «متوج» | | أس، آ سـ (ت) | مقعد، عرش مكتب |
| | غان، كان، خا | وعاء (علبة) كذلك اسم رب الطين أو الأرض، رب النباتات لقب بكس | | خنم | دورق حجري وكذلك اسم خالق الطين، إله القمح، اللحم، الشراب، شكل من «رع» |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | غار، قار | ماعون، بضائع، أثاث، وعاء- جرة | a. b. c. | كار | ماعون، بضائع، أثاث، وعاء، جرة طاسة (سلطانية) |
| | غي، غن جي | قصب، قيادة | | ج . . . ، ي . . . ، | قصب |
| | إن | بيت من حجارة | | ي ن ب، ج ن ب | سور، بناء |
| | إزي، أسي | نار، توهج، حرق قبس من نار | | زا إزر | مثقب النار |
| | كات | يد مرفوعة، يحمي ينقذ | | كا | يد مرفوعة، كذلك شدة الاستشعار بالنفس، خجل |
| | قا، كو، كوا | سمك | | خو | سمك |

**اللوحة (٢٠)**

**الأصل السومري للهيروغليفيات المصرية - د**

| صورة الرمز (السومرية) | اللفظ | المعنى | صورة الرمز (المصرية) | اللفظ | المعنى |
|---|---|---|---|---|---|
| | خا | شمس غاربة، مجد | | خا | شمس غاربة، مجد |
| | خا | كمال، تمام، عظمة نوع من القصب | | خا، خ | كرة معلمة بالقصب نبات |
| | خار، هار | حفرة، ثقب | | خان، هان | مجرفة |
| | خات | فأس قتال، هراوة رمح، سيف | | خا | فأس قتال، هراوة، رمح |
| | خات، كسات | هراوة، عصا الراعي كسّر، ضرب، خشب | | خا (خات) | هراوة مخرّزة (أي ذات نتوءات معدنية) |
| | مَ | يصنع، ينصب، يضع، يقيم، مخلص، يبعث الطمأنينة بالنفس | | مآ | عادل (مستقيم الأخلاق) مستقيم |

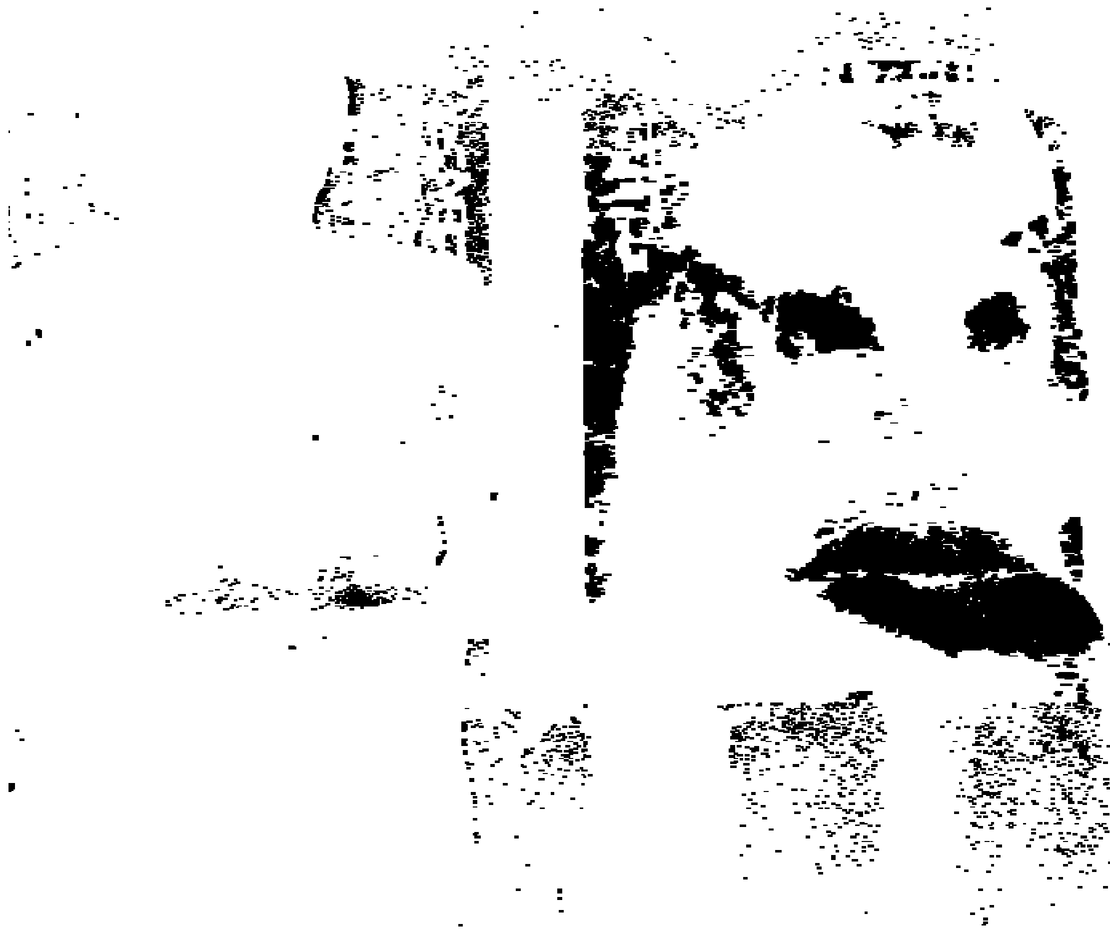
| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | مَر | يخترق، يعصر، يحوّل (صورة مِثقب) | | مَر، مِر | يخترق، يثقب (صورة مِثقب) |
| | مَر، آمَر | حيوان فتي، ابن، طفل، سليل | | أو، أوثا أور | طفل، وريث جنين، تحبل، مُهر |
| | مِي، آ | ماء (بالأكدية مو) | | مو، ماو مِي | ماء |
| | نُن | إله الماء، أيا إله المياه العميقة | | ن | عرّفت بأنها الحرف ن الماء الأزلي وجدول ماء |
| | پاد، باد | خبز، طعام | | پوت | خبز، كعك، عجين |

اللوحة (٢١)

الأصل السومري للهيروغليفيات المصرية . هـ

| السومرية | | | المصرية | | |
|---|---|---|---|---|---|
| صورة الرمز | اللفظ | المعنى | صورة الرمز | اللفظ | المعنى |
| | پر ، پُور | قاعدة ، أساس أرضية ، منصة | و | ب | أساس ، منصة ، كتلة من خشب أو حجر |
| و | را (رع) | شمس ، لامع ، مشرق ، إله الشمس مصوّرة بقرص أو دائرة مجنحة | و | را (رع) | شمس ، إله الشمس |
| و | سات | أرض ، بلد ، جبل مصورة بثلاث تلال | | سات ، سَمَت | أرض غربية ، تلال صحراوية ، (ثلاث تلال) |
| و | ساب | قلب ، وسط ، باطني (داخلي) | | اب | قلب ، وسط ، ما بين داخلي |
| و | سار | حديقة ، مزرعة ، مستنقعات خضراء | | سا | حديقة ، نباتات ، بستان خميلة ، مرج ، أخضر |

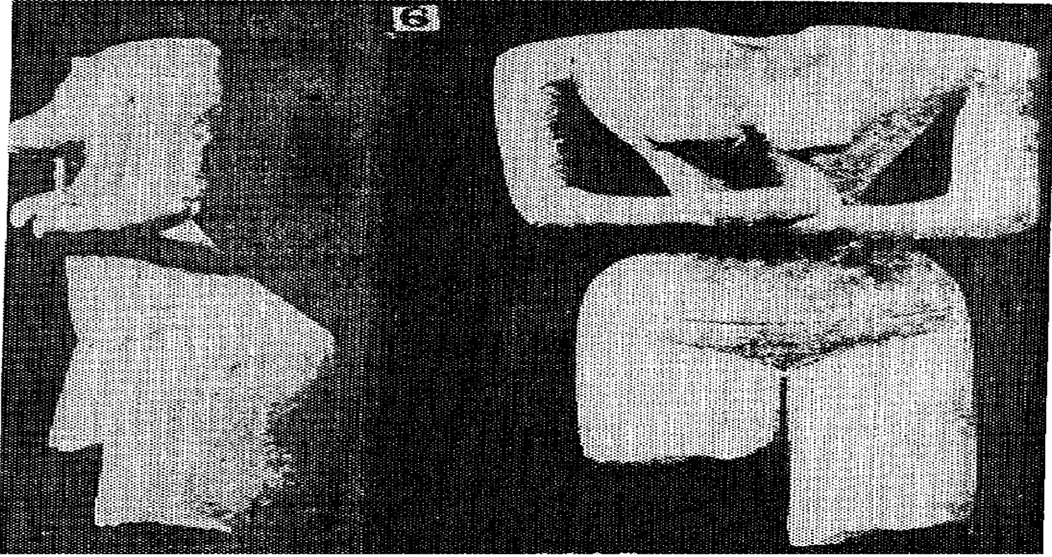
| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | سِر، صِر | أفعى | | | أفعى، حية |
| | ـ أو | يذهب، يأتي، يحضر (زوج أرجل أو أقدام) | | أو | يذهب، يأتي، يزور، يعود (أوج أرجل أوأقدام) |
| | كي، غي قي | أرض (كومة تراب) | | قاي، خي، خوي | أرض، أرض مرتفعة |
| | نا | حجر | | نا | نوع من الحجارة، حجر كريم، تعيين الحجارة |
| | أر، أرو | كلب (تخطيط لرأس كلب مع الرقبة) | | أهر | كلب (مصور بكلب ضخم من كلاب الحراسة) |



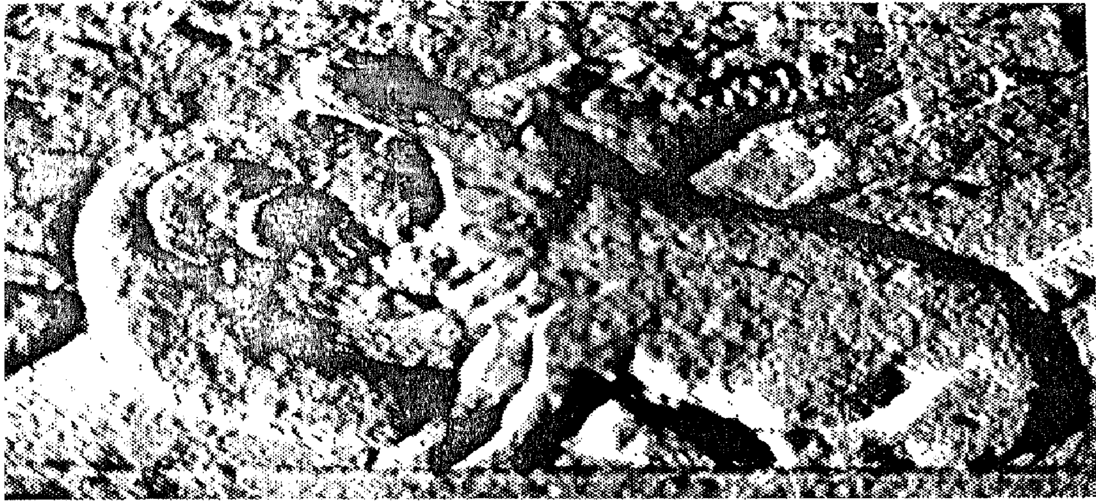
شكل رقم (٥٣) تمثال الملك رع حتب وزوجته نفرت ماخوذ من سيريل الدريد ،الحضارة المصرية



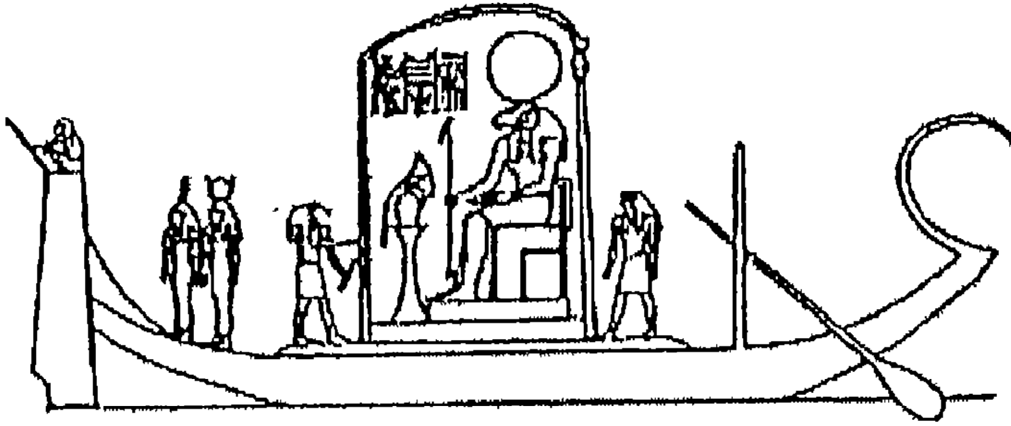
شكل رقم (٥٤) مقبض السكين في جبل العرق ماخوذ من الشبكة المعلوماتية **محمود محمد رزق،** دراسة مقارنة حول المؤثرات المتبادلة بين مصر والعراق منذ عصور ما قبل الاسرات http://knol.google.com/k



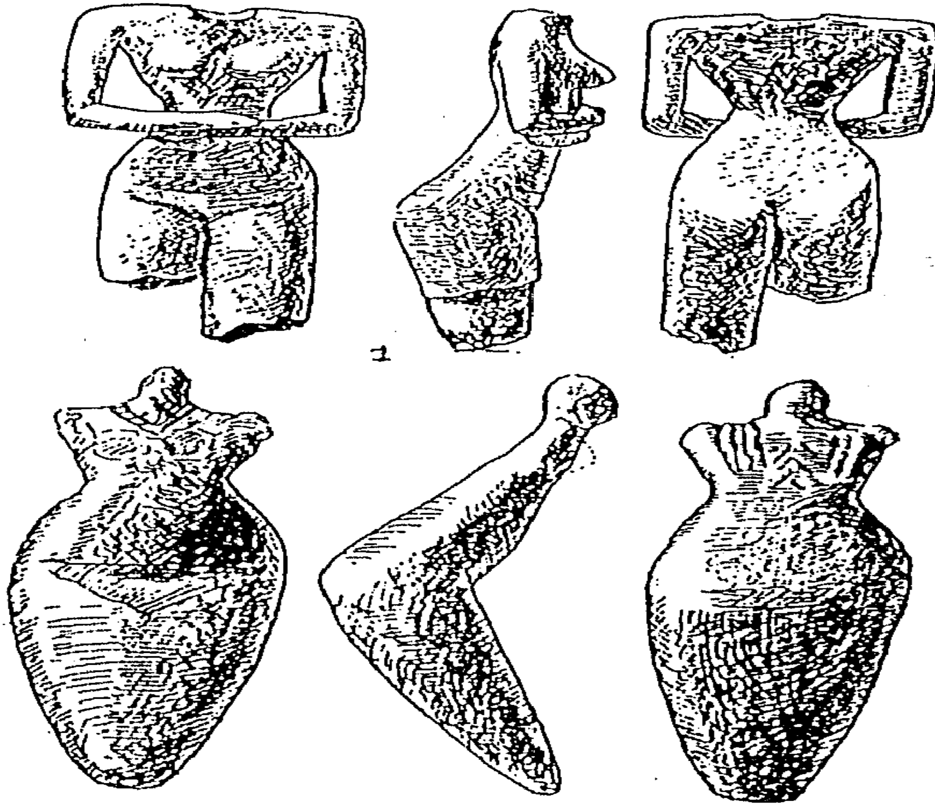
شكل رقم (١٥) تمثال غادة البداري ماخوذ من ابراهيم يوسف الشنله ،جذور الحضارة المصرية



شكل رقم (١٦)نقش بارز من مقبرة سقارة يبين فرس نهر مع تمساح، ماخوذ من ابراهيم يوسف الشتله ،جذور الحضارة المصررية



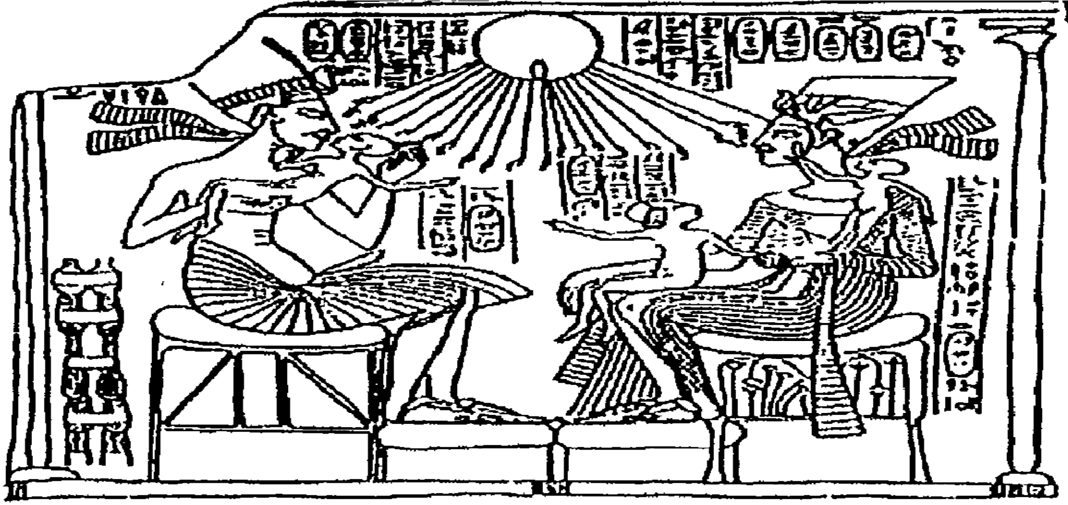
شكل رقم (١٧) قارب الشمس يظهر فيه الاله رع ووزيره تحوت ماخوذ من خزعل الماجدي ،الدين المصري



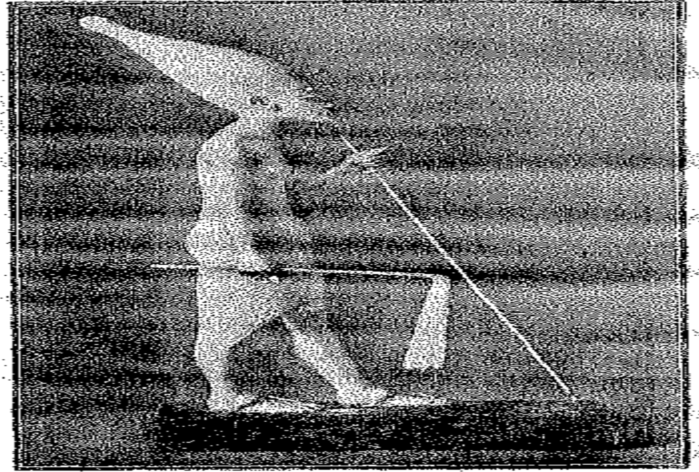
شكل رقم (١٨)تماثيل الالهة الام ماخوذ من ابراهيم يوسف الشتله ،جذور الحضارة المصرية



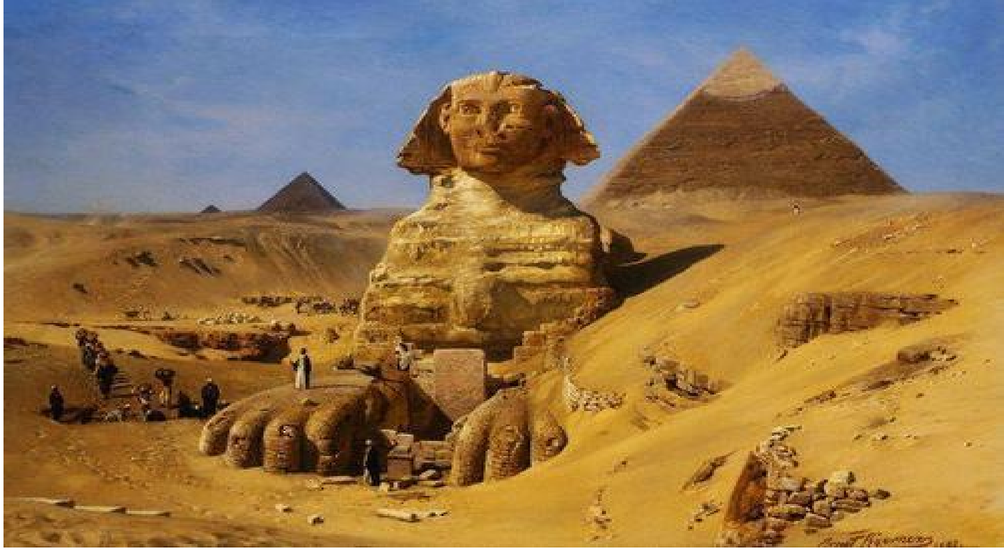

شكل رقم (١٩) صورة تبين احدى دفنات الحيوانات (الماعز )بمنطقة هليوبوليس وحرص اهلي المنطقة على وضع الاواني الفخارية المملوه بالقرابين مع الماعزتكريما له ماخوذ من ابراهيم يوسف الشتله ، جذور الحضارة المصرية



شكل رقم (٢٠)نقش فيه الملك والشمس رمز الالوهية ماخوذ من خزعل الماجدي ، الدين المصري



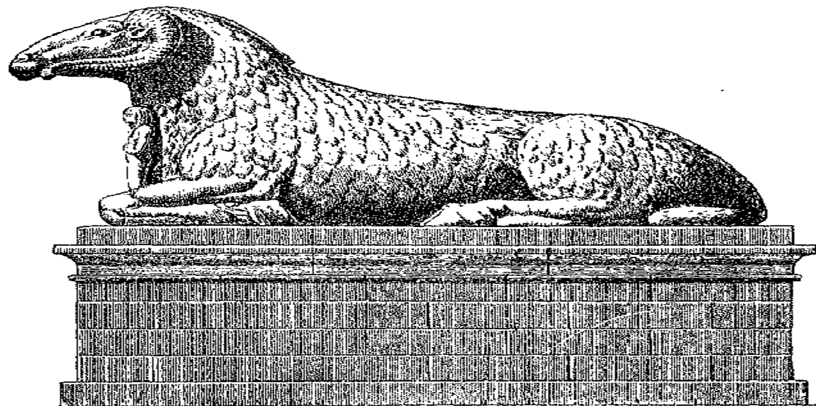
شكل رقم (٢١)الملك توت عنخ امون قابظا على سوطه ومخصرته الذهبية ماخوذ من حسن شوقي ،الدر المكنون في جدث الملك توت عنخ امون



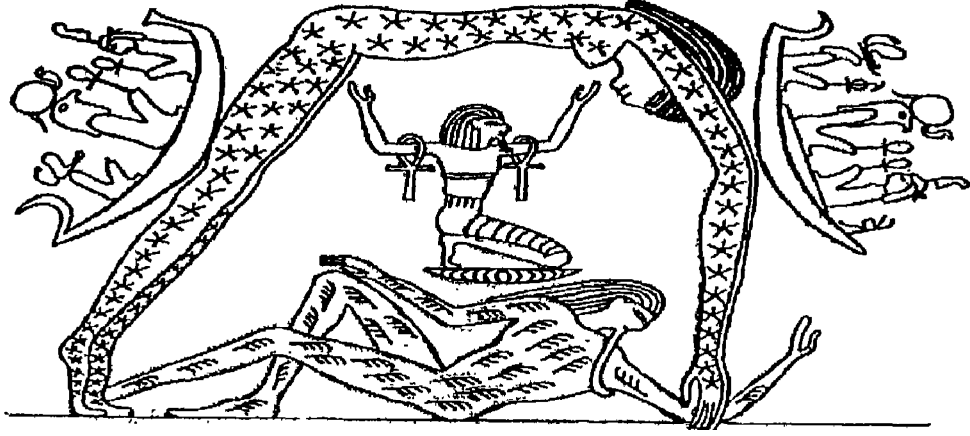
شكل رقم (٢٢) ابو الهول والاهرامات ماخوذ من الشبكة المعلوماتية www.toutankharton.com



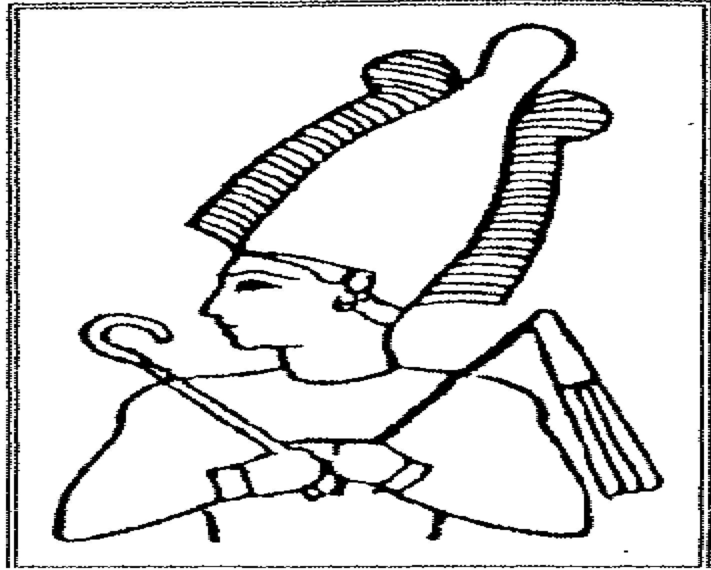
شكل رقم (٢٣) الاله رع ماخوذ من خزعل الماجدي ،الدين المصري



شكل رقم (٢٤) الاله امون في صورة كبش ماخوذ من شكري صادق ،مرشد الطالبين الى تاريخ الفنون الجميلة عند قدماء المصريين ٠



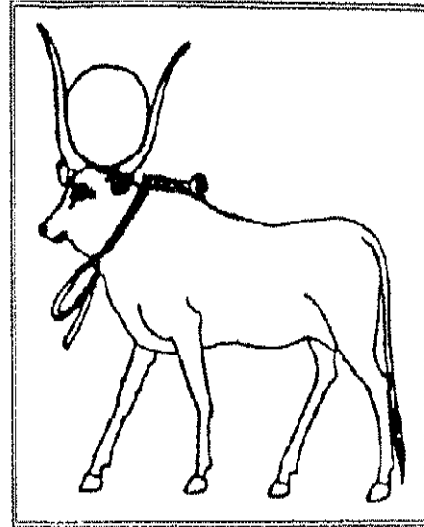
شكل رقم (٢٥) تجسي الالهة التي تمثل السماء والأرض والهواء والرطوبة ماخوذ من Barbara S Lesko ,The Great Goddesses



شكل رقم (٢٦) الاله اوزريس يحمل شارات الملوكية ماخوذ من نهى محمود نايل ،الدلالات الرمزية والقيم الفنية



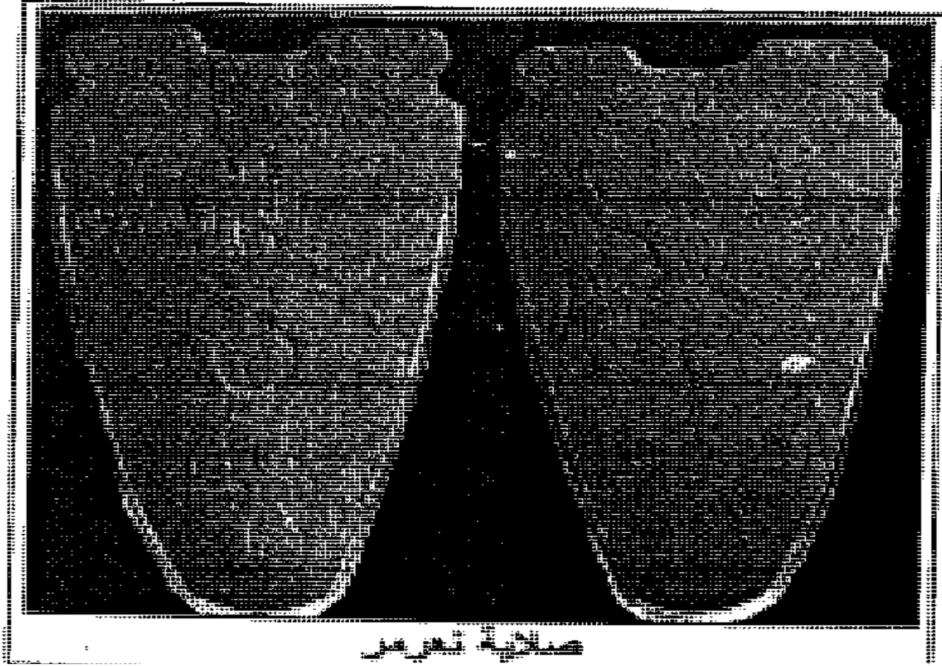
شكل رقم (٢٧)الاله اوزريس في الرسوم الجنائزية ، ماخوذ من برت ام هرو ،كتاب الموتى الفرعوني



شكل رقم (٢٨) من رموز الالهة حتحور ،ماخوذ من نهى محمود نايل ،الدلالات الرمزية والقيم الفنية



شكل رقم (٢٩) من رموز الالهة حتحور، ماخوذ من نهى محمود نايل ،الدلالات الرمزية والقيم الفنية




شكل رقم (٣٠ ) صلاية نارمر ماخوذ
من سمير اديب ،موسوعة الحضارة المصرية القديمة



شكل رقم (٣١)من رموز الالهة ايزيس

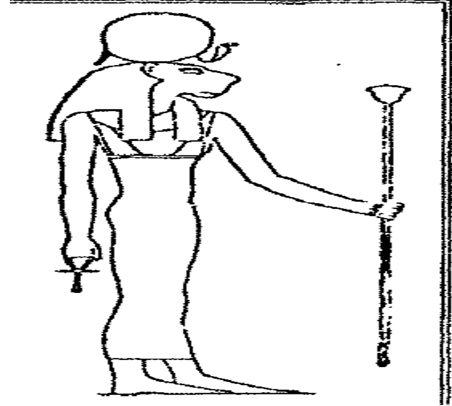
ماخوذ من خزعل الماجدي ،الدين المصري

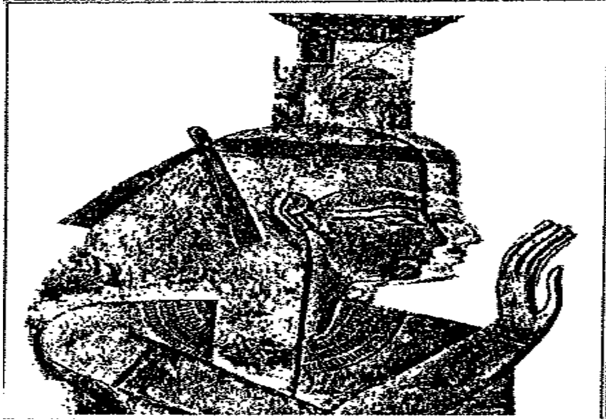


شكل رقم (٣٢) من رموز الالهة ايزيس

ماخوذ من نهى محمود نايل

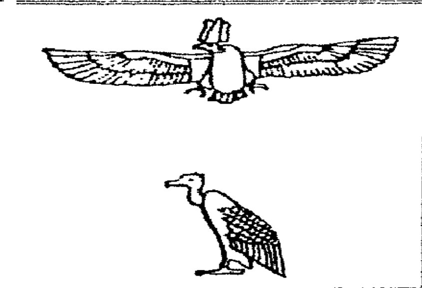
الدلالات الرمزية والقيم الفنية

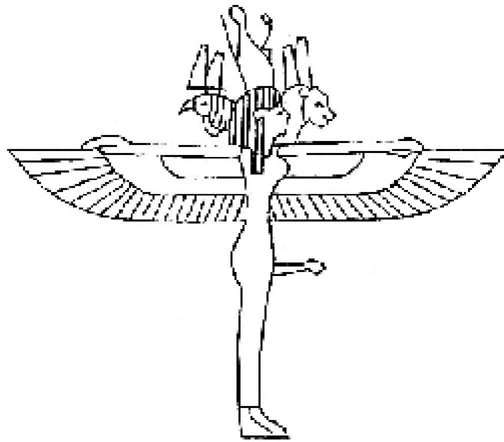




شكل رقم (٣٣)الالهة سخمت ماخوذ من نهى محمود نايل ،الدلالات الرمزية

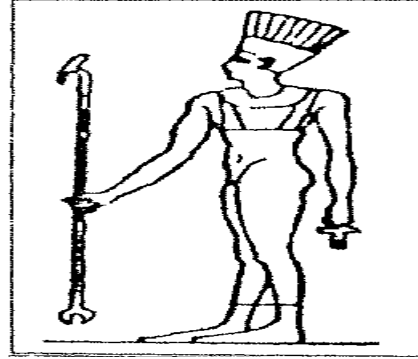
شكل رقم (٣٤) الالهة نفتيس ماخوذ من نهى محمود نايل ،الدلالات الرمزية





شكل رقم (٣٥) الالهة نخبت ماخوذ من نهى محمود نايل من الدلالات الرمزية والقيم الفنية

شكل رقم (٣٦) الالهة موت ماخوذ Barbara S Lesko ,The Great Goddesses

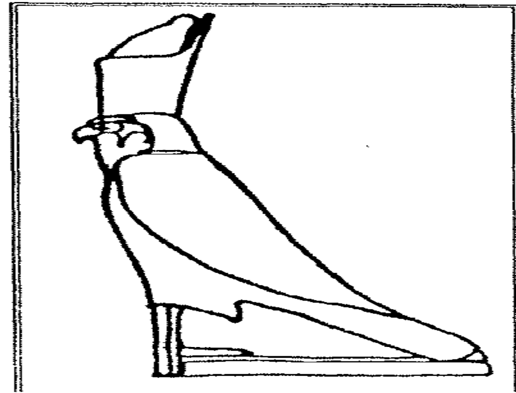


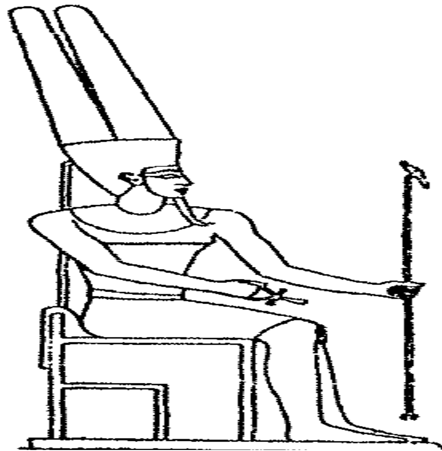


شكل رقم (٣٧) الالهة عنقت ماخوذ من نهى محمود نايل

شكل رقم (٣٨ ) الالهة بست ماخوذ من جميس بيكي ،اثار وادي النيل

الدلالات الرمزية والقيم الفنية



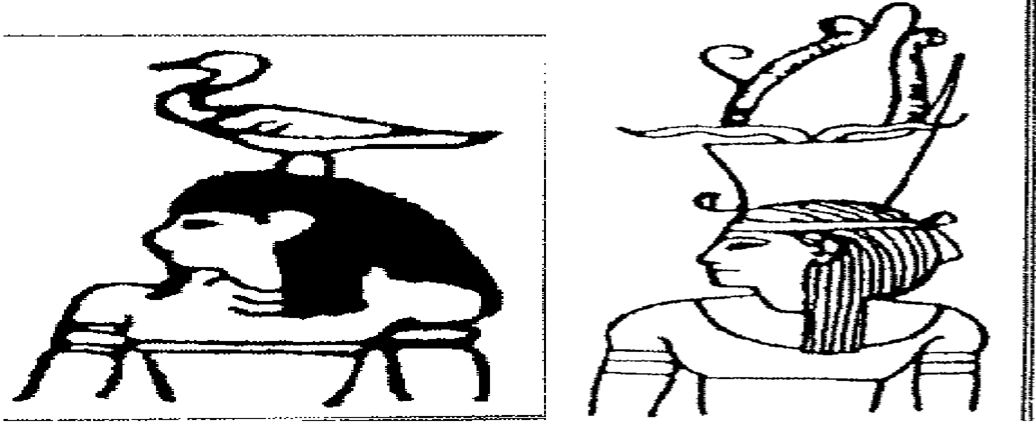


شكل رقم (٣٩) الاله حورس ماخوذ من نهى محمود نايل

الدلالات الرمزية والقيم الفنية

شكل رقم (٤٠)الاله امون ماخوذ من نهى محمود نايل

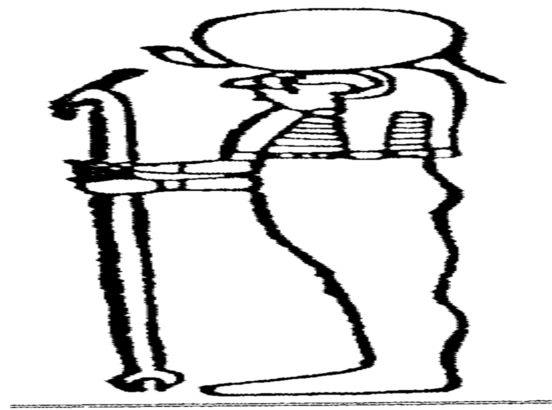
الدلالات الرمزية والقيم الفنية



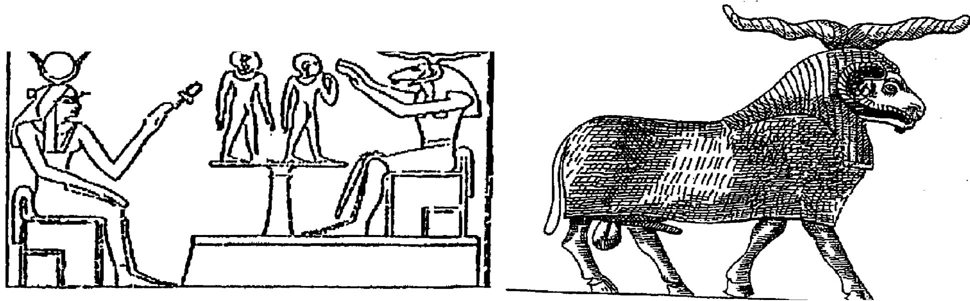
شكل رقم (٤١) الاله جب ماخوذ من نهى محمود نايل  شكل رقم (٤٢) الاله جب ماخوذ من نهى محمود نايل

،الدلالات الرمزية

الدلالات الرمزية



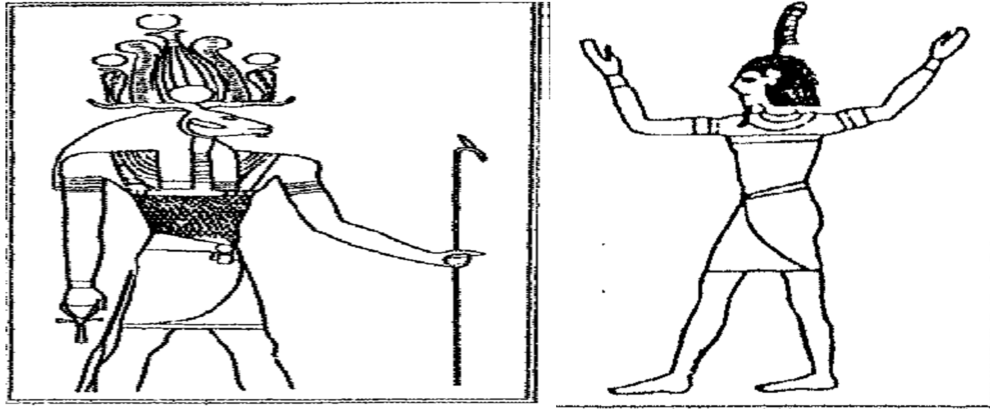
شكل رقم (٤٣) من رموز الاله رع ماخوذ من نهى محمود نايل الدلالات الرمزية والقيم الفنية



شكل رقم (٤٤)من رموز الاله خنوم  ماخوذ من ايناس بهى الدين عبد النعيم     شكل (٤٥) الاله خنوم ماخوذ

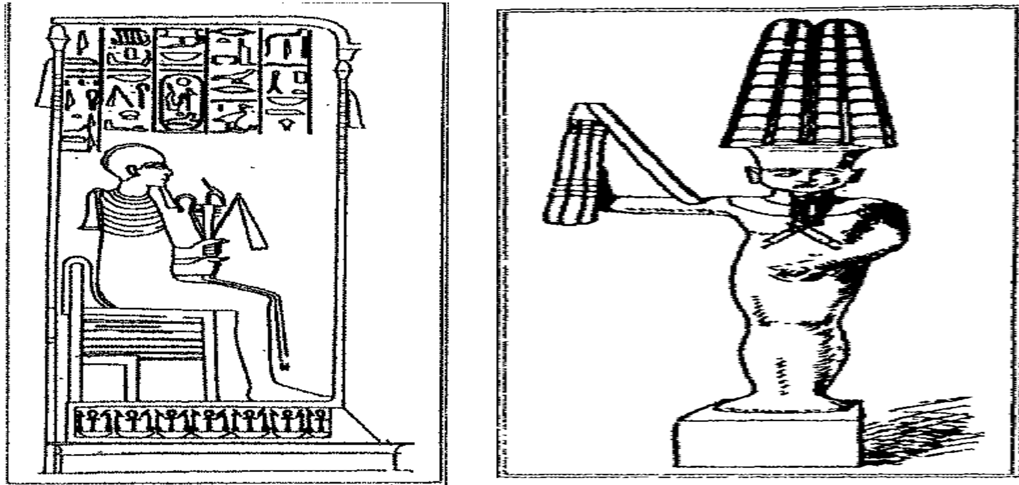
من خزعل الماجدي ،الدين المصري

،المعبودات المصرية القديمة



شكل رقم (٤٦) الاله شو ماخوذ من نهى محمود نايل الدلالات الرمزية والقيم الفنية

شكل رقم (٤٧) الاله حراشف ماخوذ من نهى محمود نايل ،الدلالات الرمزية

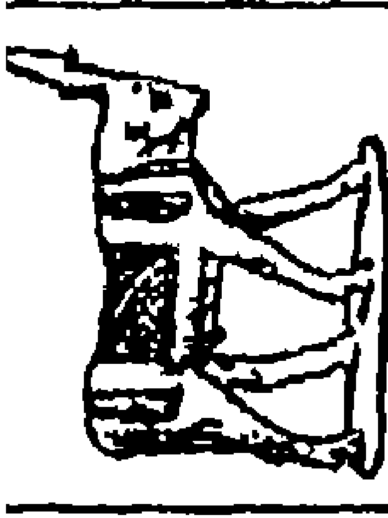


شكل رقم (٤٨) الاله مين ماخوذ من نهى محمود نايل الدلالات الرمزية والقيم الفنية

شكل رقم (٤٩) الاله بتاح ماخوذ من نهى محمودنايل ،الدلالات الرمزية



شكل (٥٠)الاله بس ماخوذ من نهى محمود نايل ، الدلالات الرمزية والقيم الفنية الماجدي



شكل رقم (٥١) العجل ابيس ماخوذ من خزعل الدين المصري



شكل رقم (٥٢) اوزير وايزيس وحورس ،ماخوذ من الشبكة المعلوماتية الموسوعة الحرة

wikipedia.org/wiki